

آية الله العظمى تكاثر النيران

# تكملة الأحكام

شرح مختصر في أحكام الحج والعمرة

بمناهج الكون في الفقه  
إعداد: محمد بن عبد الوهاب

الجزء الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# نفحات الولاية: شرح عصري جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصر مكارم شيرازي

نشرت في الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابي طالب ( عليه السلام )

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٢٠	نفحات الولاية المجلد ٨
٢٠	اشارة
٢٠	الخطبة ٢٠١
٢٠	اشارة
٢٠	نظرة إلى الخطبة
٢١	الشرح والتفسير: سبيل النجاة
٢٣	الخطبة ٢٠٢
٢٣	اشارة
٢٣	نظرة إلى الخطبة
٢٤	الشرح والتفسير: لوعة على عليه السلام عند قبر الزهراء عليها السلام
٢٤	تأملات
٢٤	اشارة
٢٤	١. فاطمة الزهراء عليها السلام على لسان رسول الله صلى الله عليه و آله
٢٧	٢. حرمة بيت الزهراء عليها السلام فى القرآن والستة
٢٧	٣. انتهاك حرمة بيت الزهراء عليها السلام
٣١	٤. القبر الطاهر لفاطمة الزهراء عليها السلام
٣١	٥. زمان شهادة بضعة التبي
٣٢	الخطبة ٢٠٣
٣٢	اشارة
٣٢	نظرة إلى الخطبة
٣٢	الشرح والتفسير الدنيا ممر
٣٤	تأمل: الإكثار من هذه العبارة

٣٤	الخطبة ٢٠٤
٣٥	اشارة
٣٥	نظرة إلى الخطبة
٣٥	الشرح والتفسير: الابتعاد عن طلاب الدنيا
٣٧	الخطبة ٢٠٥
٣٧	اشارة
٣٧	نظرة إلى الخطبة
٣٧	القسم الأول
٣٧	الشرح والتفسير: حجج طلحة والزبير
٣٩	القسم الثاني
٣٩	الشرح والتفسير: حكم الله
٤٠	تأملات
٤٠	١. علة التسوية في العطاء
٤٣	٢. مكانة المشورة
٤٤	٣. طلحة وحلم الخلافة
٤٤	الخطبة ٢٠٦
٤٤	اشارة
٤٥	نظرة إلى الخطبة
٤٥	الشرح والتفسير: الدعاء بدل السب!
٤٦	تأمل: السب واللعن
٤٧	الخطبة ٢٠٧
٤٧	اشارة
٤٧	نظرة إلى الخطبة
٤٧	الشرح والتفسير: حفظ نسل النبي صلى الله عليه و آله

٤٨	تأمل: شبهات وردود
٤٨	الخطبة ٢٠٨
٤٩	اشارة
٤٩	نظرة إلى الخطبة
٤٩	الشرح والتفسير: رفاق السلاح الجهال
٥٠	تأمل: التضحية بالفرصة الكبرى
٥١	الخطبة ٢٠٩
٥١	اشارة
٥١	نظرة إلى الخطبة
٥١	القسم الأول
٥١	اشارة
٥١	الشرح والتفسير: الدار الواسعة
٥٢	تأمل: الدار الواسعة في الروايات
٥٢	القسم الثاني
٥٢	اشارة
٥٢	الشرح والتفسير: دم الهروب من الدنيا
٥٤	تأملات
٥٤	١. دم عموم الافراط والتفريط
٥٤	٢. التصوف ونتائجه
٥٤	٣. الانتفاع بالطيبات
٥٤	الخطبة ٢١٠
٥٤	اشارة
٥٧	نظرة إلى الخطبة
٥٧	القسم الأول

٥٧	اشارة
٥٧	الشرح والتفسير: نقد الروايات
٥٨	القسم الثاني
٥٨	اشارة
٥٩	الشرح والتفسير: وضع المنافقين للحديث
٦٠	تأملات
٦٠	١. المنافقون على عهد النبي صلى الله عليه و آله
٦٠	٢. المنافقون بعد النبي صلى الله عليه و آله
٦١	٣. عدالة الصحابة
٦٢	القسم الثالث
٦٢	اشارة
٦٢	الشرح والتفسير: أحاديث الناسخ والمنسوخ
٦٣	تأمل: النسخ في أحكام الشرع
٦٤	القسم الرابع
٦٤	اشارة
٦٤	الشرح والتفسير: حفظة الحديث
٦٥	الخطبة ٢١١
٦٥	اشارة
٦٦	نظرة إلى الخطبة
٦٦	القسم الأول
٦٦	اشارة
٦٦	الشرح والتفسير: بداية خلق الكون
٦٧	القسم الثاني
٦٧	اشارة

٦٧	الشرح والتفسير: خلق الجبال
٦٨	الخطبة ٢١٢
٦٨	اشارة
٦٩	نظرة إلى الخطبة
٦٩	الشرح والتفسير: جزاء المتخلفين
٧٠	الخطبة ٢١٣
٧٠	اشارة
٧٠	نظرة إلى الخطبة
٧٠	الشرح والتفسير: قبسات من صفات الله ورسوله
٧٢	الخطبة ٢١٤
٧٢	اشارة
٧٣	نظرة إلى الخطبة
٧٣	القسم الأول
٧٣	اشارة
٧٣	الشرح والتفسير: النسب الطاهر للنبي صلى الله عليه و آله
٧٤	القسم الثاني
٧٤	اشارة
٧٥	الشرح والتفسير: حفظه علم الله
٧٦	القسم الثالث
٧٦	اشارة
٧٦	الشرح والتفسير: المهتدون
٧٧	تأمل: الحاجة إلى المرشد في السير والسلوك
٧٨	الخطبة ٢١٥
٧٨	اشارة



٧٩	نظرة إلى الخطبة
٧٩	القسم الأول
٧٩	اشارة
٧٩	الشرح والتفسير: اللهم كل شيء لك
٨٠	القسم الثاني
٨٠	اشارة
٨٠	الشرح والتفسير: نعم المكملة
٨١	الخطبة ٢١٦
٨١	اشارة
٨١	نظرة إلى الخطبة
٨٢	القسم الأول
٨٢	اشارة
٨٢	الشرح والتفسير: سعة حجم الحقوق
٨٣	تأمل: الثواب استحقاق أم تفضل؟
٨٤	القسم الثاني
٨٤	اشارة
٨٤	الشرح والتفسير: حق الوالى والرعية
٨٦	القسم الثالث
٨٦	اشارة
٨٦	الشرح والتفسير: ضرورة التعاون فى أداء الحقوق
٨٨	تأمل: الحكومات الشعبية
٨٩	القسم الرابع
٨٩	اشارة
٨٩	الشرح والتفسير: الشكر على الواجب

٩٠	تأملان
٩٠	١. المدح والثناء
٩١	٢. أسنة التملق
٩١	القسم الخامس
٩١	اشارة
٩٢	الشرح والتفسير: لا تتملقوا أمامي
٩٣	الخطبة ٢١٧
٩٣	اشارة
٩٣	نظرة إلى الخطبة
٩٤	الشرح والتفسير: تحمل الصعاب
٩٥	الخطبة ٢١٨
٩٥	اشارة
٩٥	نظرة إلى الخطبة
٩٦	الشرح والتفسير: جنايات أصحاب الجمل في البصرة
٩٦	الخطبة ٢١٩
٩٦	اشارة
٩٧	نظرة إلى الخطبة
٩٧	الشرح والتفسير: المشهد المروع بعد الجمل
٩٨	تأملان
٩٨	١. حبّ دنيا وعواقبه المشؤمة
٩٩	٢. الكفاءة الشرط الاوّل لكل عمل
٩٩	الخطبة ٢٢٠
٩٩	اشارة
٩٩	نظرة إلى الخطبة

- ٩٩ ..... الشرح والتفسير: سالك طريق الحق
- ١٠٠ ..... تأمل: مقامات السير والسلوك
- ١٠١ ..... الخطبة ٢٢١
- ١٠١ ..... اشارة
- ١٠٢ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٠٢ ..... القسم الأول
- ١٠٢ ..... اشارة
- ١٠٢ ..... الشرح والتفسير: التفاخر الفارغ بدل الاعتبار!
- ١٠٤ ..... القسم الثاني
- ١٠٤ ..... اشارة
- ١٠٥ ..... الشرح والتفسير: العالم العجيب بعد الموت
- ١٠٦ ..... القسم الثالث
- ١٠٦ ..... اشارة
- ١٠٧ ..... الشرح والتفسير: أحوال الأموات!
- ١٠٨ ..... القسم الرابع
- ١٠٨ ..... اشارة
- ١٠٨ ..... الشرح والتفسير: عقبات الموت لانستوعب في الالفاظ
- ١١٠ ..... تأمل: ممر يرده الجميع
- ١١١ ..... الخطبة ٢٢٢
- ١١١ ..... اشارة
- ١١١ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١١١ ..... القسم الأول
- ١١١ ..... اشارة
- ١١١ ..... الشرح والتفسير: أدلة السائرين على الطريق

- ١١٢ ..... تأملان
- ١١٣ ..... ١. ما المراد من أيام الله؟
- ١١٣ ..... ٢. الإلهامات الغيبية
- ١١٣ ..... القسم الثاني
- ١١٣ ..... اشارة
- ١١٤ ..... الشرح والتفسير: أولياء الله وأهل الذكر
- ١١٥ ..... القسم الثالث
- ١١٥ ..... اشارة
- ١١٥ ..... الشرح والتفسير: مصير السائرين على الصراط
- ١١٧ ..... تأمل: ذكر الله والذاكرون
- ١١٨ ..... الخطبة ٢٢٣
- ١١٨ ..... اشارة
- ١١٨ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١١٨ ..... القسم الأول
- ١١٨ ..... اشارة
- ١١٨ ..... الشرح والتفسير: الرحمة بالنفس؟
- ١٢٠ ..... القسم الثاني
- ١٢٠ ..... اشارة
- ١٢٠ ..... الشرح والتفسير: رحمة الله ومعصية العبد؟
- ١٢١ ..... القسم الثالث
- ١٢١ ..... اشارة
- ١٢١ ..... الشرح والتفسير: الدنيا أعظم واعظ
- ١٢٢ ..... تأمل: الدنيا الممدوحة والمذمومة
- ١٢٣ ..... القسم الرابع

- ١٢٣ ..... اشارة
- ١٢٣ ..... الشرح والتفسير: الاستعداد لسفر الآخرة .....
- ١٢٤ ..... الخطبة ٢٢٤
- ١٢٤ ..... اشارة
- ١٢٤ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٢٥ ..... القسم الأول
- ١٢٥ ..... اشارة
- ١٢٥ ..... الشرح والتفسير: إرتكاب الظلم .....
- ١٢٦ ..... القسم الثاني
- ١٢٦ ..... اشارة
- ١٢٦ ..... الشرح والتفسير: قصة الحديد المحماء .....
- ١٢٧ ..... تأملان
- ١٢٧ ..... ١. نظرة إلى شخصية عقيل .....
- ١٢٨ ..... ٢. التسوية بين المسلمين فى بيت المال .....
- ١٢٨ ..... القسم الثالث
- ١٢٩ ..... اشارة
- ١٢٩ ..... الشرح والتفسير: قصة المنافق الأشعث بن قيس .....
- ١٣١ ..... تأمل: من هو الأشعث بن قيس؟ .....
- ١٣١ ..... الخطبة ٢٢٥
- ١٣١ ..... اشارة
- ١٣٢ ..... نظرة إلى الخطبة (الدعاء) .....
- ١٣٢ ..... الشرح والتفسير: الغنى عن شرار الخلق! .....
- ١٣٢ ..... تأمل: الآثار السيئة للفقير .....
- ١٣٤ ..... الخطبة ٢٢٦

- ١٣٤ ..... اشارة
- ١٣٤ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٣٤ ..... القسم الأول
- ١٣٤ ..... اشارة
- ١٣٤ ..... الشرح والتفسير: تقلب احوال الدنيا
- ١٣٥ ..... تأمل: دار محفوفة بالبلاء
- ١٣٦ ..... القسم الثاني
- ١٣٦ ..... اشارة
- ١٣٦ ..... الشرح والتفسير: جيران متباعدون
- ١٣٨ ..... تأمل: عاقبة الإنسان بعد الموت
- ١٣٨ ..... القسم الثالث
- ١٣٨ ..... اشارة
- ١٣٩ ..... الشرح والتفسير: المصير المحتوم
- ١٣٩ ..... الخطبة ٢٢٧
- ١٣٩ ..... اشارة
- ١٣٩ ..... نظرة إلى الخطبة (الدعاء)
- ١٤٠ ..... القسم الأول
- ١٤٠ ..... اشارة
- ١٤٠ ..... الشرح والتفسير: انس العباد
- ١٤٠ ..... القسم الثاني
- ١٤٠ ..... اشارة
- ١٤١ ..... الشرح والتفسير: الله كهف الورى
- ١٤١ ..... تأمل: أدعية المعصومين عليهم السلام المهذبة
- ١٤٢ ..... الخطبة ٢٢٨

- ١٤٢ ..... اشارة
- ١٤٢ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٤٣ ..... الشرح والتفسير: مالك الأشر
- ١٤٣ ..... الخطبة ٢٢٩
- ١٤٣ ..... اشارة
- ١٤٤ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٤٤ ..... الشرح والتفسير: الإندفاع العجيب لبيعة الإمام عليه السلام
- ١٤٥ ..... تأمل: البيعة الفريدة المطلقة
- ١٤٦ ..... الخطبة ٢٣٠
- ١٤٦ ..... اشارة
- ١٤٦ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٤٦ ..... القسم الأول
- ١٤٦ ..... اشارة
- ١٤٦ ..... الشرح والتفسير: سر السعادة والفلاح
- ١٤٧ ..... القسم الثاني
- ١٤٧ ..... اشارة
- ١٤٧ ..... الشرح والتفسير: المعبر الذى لا مفر منه
- ١٤٩ ..... القسم الثالث
- ١٤٩ ..... اشارة
- ١٥٠ ..... الشرح والتفسير: الدنيا الغرارة!
- ١٥١ ..... القسم الرابع
- ١٥١ ..... اشارة
- ١٥٢ ..... الشرح والتفسير: الزهاد الحقيقيون
- ١٥٢ ..... الخطبة ٢٣١

١٥٢	.....	اشارة
١٥٢	.....	نظرة إلى الخطبة
١٥٣	.....	الشرح والتفسير: التبي صلى الله عليه و آله حصد العداء من الصدور
١٥٤	.....	الخطبة ٢٣٢
١٥٤	.....	اشارة
١٥٤	.....	نظرة إلى الخطبة
١٥٤	.....	الشرح والتفسير: غنائم المقاتلين
١٥٥	.....	الخطبة ٢٣٣
١٥٥	.....	اشارة
١٥٥	.....	نظرة إلى الخطبة
١٥٥	.....	القسم الأول
١٥٥	.....	اشارة
١٥٥	.....	الشرح والتفسير: نحن امراء الكلام
١٥٦	.....	تأملان
١٥٦	.....	١. عجائب اللسان
١٥٧	.....	٢. امراء الكلام
١٥٨	.....	القسم الثاني
١٥٨	.....	اشارة
١٥٨	.....	الشرح والتفسير: خصائص البيئة الملوثة
١٥٩	.....	الخطبة ٢٣٤
١٥٩	.....	اشارة
١٦٠	.....	نظرة إلى الخطبة
١٦٠	.....	الشرح والتفسير: أساس الاختلاف
١٦٢	.....	تأملان



- ١٦٢ ..... ١. صلة الروح بالجسم
- ١٦٢ ..... ٢. الاختيار وصلة الروح بالجسد
- ١٦٢ ..... الخطبة ٢٣٥
- ١٦٣ ..... اشارة
- ١٦٣ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٦٣ ..... الشرح والتفسير: عظم مصيبة رحيل النبي صلى الله عليه و آله
- ١٦٤ ..... تأملان
- ١٦٤ ..... ١. البكاء على الأعزة
- ١٦٥ ..... ٢. تجهيز النبي صلى الله عليه و آله
- ١٦٥ ..... الخطبة ٢٣٦
- ١٦٥ ..... اشارة
- ١٦٥ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٦٦ ..... الشرح والتفسير: ذكر الحبيب
- ١٦٦ ..... تأمل: قصة الهجرة
- ١٦٧ ..... الخطبة ٢٣٧
- ١٦٧ ..... اشارة
- ١٦٧ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٦٧ ..... القسم الأول
- ١٦٨ ..... اشارة
- ١٦٨ ..... الشرح والتفسير: اغتنام الفرصة
- ١٦٩ ..... القسم الثاني
- ١٦٩ ..... اشارة
- ١٦٩ ..... الشرح والتفسير: كيفية اغتنام الفرصة
- ١٧٠ ..... الخطبة ٢٣٨

- ١٧٠ ..... اشارة
- ١٧٠ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٧٠ ..... القسم اول
- ١٧٠ ..... اشارة
- ١٧٠ ..... الشرح والتفسير: أتباع معاوية
- ١٧١ ..... تأمل: جهل أهل الشام
- ١٧١ ..... القسم الثاني
- ١٧١ ..... اشارة
- ١٧١ ..... الشرح والتفسير: أفضل اختيار وأسوأه
- ١٧٣ ..... الخطبة ٢٣٩
- ١٧٣ ..... اشارة
- ١٧٣ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٧٣ ..... الشرح والتفسير: آل محمد أركان الدين
- ١٧٤ ..... الخطبة ٢٤٠
- ١٧٥ ..... اشارة
- ١٧٥ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٧٥ ..... الشرح والتفسير: خطأ آخر من أخطاء عثمان
- ١٧٦ ..... الخطبة ٢٤١
- ١٧٦ ..... اشارة
- ١٧٦ ..... نظرة إلى الخطبة
- ١٧٧ ..... الشرح والتفسير: شَمروا واستعدوا للجهاد
- ١٧٨ ..... تأمل: آفات النهم والترف
- ١٧٨ ..... خصائص هذا الشرح
- ٢١٣ ..... تعريف مركز



- أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة القصيرة إلى ثلاثة أمور مهمّة تشكل كلّ واحدة منها جزءاً من هذه الخطبة:
١. إنّها تدعو السائرين على طريق الحقّ إلى الثقة بالنفس بحيث وألاً يشعروا بوحشة من هذا الطريق رغم قلّة سالكيه.
  ٢. أشارت إلى أصل اسلامي مهم وهو أنّ الرضا بأعمال الآخرين يجعل الإنسان شريكاً لهم في تلك الأعمال، وإن لم يكن له من تدخل في تلك الأعمال.
  ٣. يوصى بانتخاب طريق الحقّ الواضح والشفاف واليّن من أجل الوصول
- نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦
- إلى الهدف والحذر من سلوك الطرق المظلمة المتلويّة التي تنتهي إلى الغي والضلال.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٧

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعَهَا قَصِيرٌ، وَجُوعَهَا طَوِيلٌ.  
 أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرَّضَى وَالسُّخْطُ. وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةً ثُمَّودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمْ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرَّضَى، فَقَالَ سَيِّبِحَانَهُ:  
 «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ» [٢] فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخُسْفَةِ خَوَارَ السَّكَّةُ  
 الْمُحَمَّاهُ فِي الْأَرْضِ الْخَوَارَةَ.  
 أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ!

### الشرح والتفسير: سبيل النجاة

يواسى الإمام عليه السلام- في هذا الموضوع العميق المعنى- السائرين على النهج أن لا يشعروا قلوبهم أدنى تردّد بسبب قلّة سالكيه، فيقول: «أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ».

ثم يشير إلى تبرير ذلك فيقول: «فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعَهَا [٣] قَصِيرٌ، وَجُوعَهَا طَوِيلٌ». في إشارة إلى أن أهل الطريق القويم إن كانوا قلّة فإنما يعزى ذلك إلى مغريات الدنيا، فقد شبه الإمام عليه السلام الدنيا في هذا الكلام العميق المعنى

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٨

بمائدة الطعام الغناء التي ملئت بالأطعمة ذات القيمة القليلة أو العديمة القيمة من الناحية الغذائية؛ ولكنها زينت بالبهرجة والزخرف، وقد اجتمع حولها طلاب الدنيا متناسين أنّ أطعمتها إنّما تشبعهم لأمد قصير يتبعه جوع طويل.

ولعل هذا «الجوع الطويل» إشارة إلى الحزن والحسرة الأبدية التي تطال المتهافتين على الدنيا عند الموت وبعده وفي مشهد القيامة، ومدى الأسى الذي يعتريهم على تقصيرهم في هذه الدنيا.

والواقع أنّ عبارة الإمام عليه السلام هذه العظيمة المعنى هي اقتباس من آيات القرآن الكريم، فقد جاء في الآية ١٠٠ من سورة المائدة: «قُلْ لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ».

بالإضافة إلى الآيات التي تتحدّث عن الأكثرية الجاهلة، عديمة الإيمان، غير العاقلة، الفاسقة، الجاحدة وأمثال ذلك.

ثم ذكر الأمر الثاني؛ الأمر الذي من شأنه حلّ الكثير من المسائل العقائدية والاجتماعية تكمن في أنّ الذي يميز الجماعات البشرية، الاتجاهات الفكرية ونوازع القلوب، وإن كانوا أفراداً معينين في ظرف معين؛ حيث ينضوى معهم كلّ من تضامن معهم فكراً وارتضاهم قلبياً.

قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَى وَالسُّخْطُ [٤]».

وعليه فليس سبب الاشتراك في النتيجة مجرد الاشتراك في العمل أو إعداد مقدماته والإعانة على الإثم فحسب؛ بل يترتب هذا الاشتراك على الرضى القلبي، ومن هنا وردت صراحة هذه العبارة في الزيارة: «وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ» [٥]. وقد مرّ علينا في الخطبة الثانية عشرة التي مضى شرحها في الجزء الأول أنّ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٩

عليّاً عليه السلام لما سمع أحد أصحابه بعد معركة الجمل وقد تمنى أن يكون أخوه شهد معهم المعركة فيشترك معهم في تحقيق ذلك النصر. فقال له عليه السلام: «فَقَدْ شَهِدْنَا، وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَزَعْفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ».

ولعل هذا الكلام يفتح لنا أفقاً جديداً في المطالعات الإسلامية ويحث الجميع على ضرورة مراقبة الروابط القلبية والرضى والسخط الباطني.

ويحظى هذا المطلب بدرجة من الأهمية بحيث أشارت إليه العديد من روايات المعصومين عليهم السلام؛ فقد ذكر المرحوم الشيخ الحر العاملي في كتاب «الوسائل» في أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باباً تحت عنوان: «وَجُوبُ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِالْقَلْبِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ تَحْرِيمُ الرِّضَا بِهِ وَوَجُوبُ الرِّضَا بِالْمَعْرُوفِ» أورد فيه سبعة عشر حديثاً بهذا الخصوص؛ ومنها حديث مفضل عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ بِالْمَشْرِقِ فَرَضِيَةً بِقَتْلِهِ رَجُلًا بِالْمَغْرِبِ لَكَانَ الرَّاظِي عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَرِيكَ الْقَاتِلِ» [٦].

وزبدة القول، ليس مجرد العمل أو التعاون في مقدماته سبب الاشتراك في النتائج المترتبة على ذلك العمل في الشريعة الإسلامية فحسب؛ بل للرضا القلبي مثل هذا الأثر.

ثم استشهد الإمام عليه السلام بدليل محكم من القرآن المجيد لإثبات هذه الحقيقة فقال:

وَإِنَّمَا عَقَرْنَا نَاقَةَ ثَمُودَ وَاحِدٍ بَيْنَمَا عَمَّ الْعَذَابُ جَمِيعَ قَوْمِ ثَمُودَ كَوْنَهُمْ رَضُوا جَمِيعاً بِعَمَلِ ذَلِكَ الْفَرْدِ، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: «فَعَقَرُوهَا فَأَصَبِحُوا نَادِمِينَ» عقر القوم الناقة فلما نزل العذاب ندم الجميع «وَإِنَّمَا عَقَرَ [٧] نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَى، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: «فَعَقَرُوهَا فَأَصَبِحُوا نَادِمِينَ» [٨] فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٠

خَارَتْ [٩] أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السَّكَّةِ [١٠] الْمُحَمَّاءِ [١١] فِي الْأَرْضِ الْخَوَارَةِ».

يشير كلام الإمام عليه السلام إلى معجزة صالح عليه السلام، نبي قوم ثمود، فلما طلب منه قومه معجزة، خرجت بقدره الله ناقة من صخرة فآمنت طائفة بينما أنكر ذلك أغلب القوم، وأوصاهم نبيهم ألا يتعرضوا لتلك الناقة بسوء فيأخذهم العذاب، فلم يأبهوا بقول النبي وعمدوا إلى الناقة فعقروها، فأتتهم زلزلة عظيمة فانشقت الأرض وابتلعت الكفار وبيوتهم.

والمعروف أنّ قاتل هذه الناقة شقى يدعى «غدار بن سالف»؛ إلّا أنّ العبارة وردت في الآية القرآنية بصيغة الجمع «فَعَقَرُوهَا»، لأنهم رضوا جميعاً بعمله وقد عبروا عن هذا الرضى من خلال دعوته وتشجيعه على الإتيان بذلك العمل الشنيع كما ورد ذلك في الآية ٢٩ من سورة القمر: «فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ».

العبارة «خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السَّكَّةِ الْمُحَمَّاءِ» إشارة إلى أنّ حديدية المحراث إذا احميت في النار انغمرت سريعاً في الأرض لاسيما في الأرض الرخوة، نعم، فقد انغمرت منطقتهم وما عليها بهذه السرعة في جوف الأرض إثر ذلك الزلزال العظيم.

ثم حذر الإمام عليه السلام في القسم الثالث من هذه الخطبة، عامّة الناس فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي النَّيِّ [١٢]!»..

المراد من «الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ» الطريق الذي عرضه القرآن والسنة والدليل العقلي والذي يهدى الناس إلى ماء الحياة المعنوية وأولئك الذين يضلون الطريق إنما يحرمون من الهدى ويموتون على الكفر والإلحاد.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١١

ومما لا شك فيه أن منهج وطريق الإمام عليه السلام أحد مصاديق «الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ» والبينه الواضح، ذلك لأنه بمنزلة نفس النبي وأعلم الأمة بمنهجه وطريقه، وهذا ما صرح به الإمام عليه السلام في الخطبة ٩٧ إذ قال: «وَأِنِّي لَعَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّ وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ».

ومن البديهي أن الإنسان الذي يسير على الطريق القويم المعلوم إنما يبلغ اثناء الطريق بعض المنازل ذات المياه الوفيرة، ومن يزل عن الطريق عادة ما يجد نفسه في الصحارى الجرداء القاحلة فيهلكه العطش.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٣

## الخطبة ٢٠٢

### إشارة

رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ دَفْنِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ،  
كَالْمُنَاجَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ [١٣] و [١٤]

### نظرة إلى الخطبة

كلام الإمام عليه السلام هذا بليغ إلى درجة؛ الكلام الذي يعكس حرقه قلب الإمام عليه السلام

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٤

حين دفنه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، والذي يتضمن بث الشكوى الأليمة والمفجعة ولوعة الفؤاد التي تعكس شكوى الإمام عليه السلام للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بشأن مصائب فاطمة الزهراء عليها السلام من جهة ومصابه بسبب فراق الزهراء عليها السلام من جهة أخرى، وجانب من الحقائق التاريخية المهمة في صدر الإسلام بصورة غير مباشرة؛ لكنه يعكسها بصيغته بليغة وعميقة وسيرد شرح ذلك في ختام تفسير هذا الكلام.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٥

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكِ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنِّي صَبْرِي، وَرَقَّ عَنِّي تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي النَّاسِ لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزُّ، فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ، «فَأَنَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!» [١٥] فَلَقَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةَ، وَأَخَذَتِ الرَّهِيْنَةَ! أَمَا حُزْنِي فَسَوْمَدٌ، وَأَمَا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ التِّي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتَبْنُكَ ابْنُكَ بِتَضَافُرٍ أُمَّتِكَ عَلَيَّ هَضْمَهَا، فَأَخْفَهَا

السُّؤَالِ، وَاسْتَحْبِوْهَا الْحَالِ؛ هَذَا وَلَمْ يُطَلِّ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَمَا سَلَامٌ مُودِّعٌ، لَا قَالٍ وَلَا سَائِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَائِهِ، وَإِنْ أَقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ.

### الشرح والتفسير: لوعة على عليه السلام عند قبر الزهراء عليها السلام

قال الإمام عليه السلام هذا الكلام الأليم والمفجع حين وسد بيده الشريفه البدن الطاهر لسيدة النساء الزهراء البتول عليها السلام فى القبر، وهو الكلام الدال - من جهة - على عظمة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن جهة أخرى مدى لوعة على عليه السلام على فراقها الأليم.

اختار الإمام عليه السلام أروع وأفضل مخاطب فى بيان هذه العبارات؛ أى رسول الله صلى الله عليه وآله ليشكو له ذلك المصاب، فابتدأ كلامه قائلاً: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي، وَعَنْ نَفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦

ابْتَيْتَكَ النَّازِلَةَ فِي جَوَارِكِ، وَالسَّرِيْعَةَ اللَّحَاقِ بِكَ».

ورغم أن مضمون كلام الإمام عليه السلام، شكوى أليمة ومفجعة؛ إلا أن أدب الخطاب يقتضى أن يستهله بتحية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والسلام عليه.

تفيد العبارة: «النَّازِلَةَ فِي جَوَارِكِ» أن قبر سيده النساء عند قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهذا يدعم نظريته من يرى أن الزهراء عليها السلام إنما دفنت فى بيتها.

طبعاً يمكننا أن نعتبر الدفن فى البقيع على أنه إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله أو أن نعتبر المراد بالجوار هو الجوار الروحي والمعنوي فى الجنة؛ غير أن المعنى الأول أنسب لظاهر العبارة ويؤيد ذلك العديد من الروايات.

أورد المرحوم الكليني روايته تقول: إن أحد الصحابة أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام عن قبر فاطمة عليها السلام فقال: «دُفِنَتْ فِي بَيْتِهَا فَلَمَّا زَادَتْ بُنُو أُمَّيَّةَ فِي الْمَسْجِدِ صَارَتْ فِي الْمَسْجِدِ» [١٦].

العبارة: «السَّرِيْعَةَ اللَّحَاقِ بِكَ» إشارة عميقة المعنى لهول مصائب الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام التى ساقتها فى ربيع عنفوان شبابها إلى الدار الأبدية فتكون المدة التى أعقبت التحاقها بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله طبق بعض الروايات ٤٥ يوماً وطبق البعض الآخر ٧٥ يوماً وطبق روايته أخرى ٩٥ يوماً، كما قيل حسب بعض الروايات غير المشهورة ٤ أشهر و ٦ أشهر وهذا ما سنتطرق له فى مبحث التأملات بالإضافة إلى موضع قبرها.

ثم واصل الإمام عليه السلام خطابه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله قائلاً: «قَلِّ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنْ صِدْفَيْتِكَ [١٧] صِدْفِي، وَرَقِّ عَنْهَا تَجَلْدِي [١٨]، إِلَّا أَنْ فِي النَّاسِ [١٩] لِي بِعَظِيمِ فَرْقَتِكَ،

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٧

وَفَادِحِ [٢٠] مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعُ تَعَزُّ [٢١]».

يشير إلى أن مصيبة الزهراء عليها السلام وإن كانت أليمة للغاية؛ لكن ألم مصيبتك كان أعظم وأعمق وتحملها هون احتمال هذه المصيبة، قطعاً كان مصاب على عليه السلام برحيل النبي أعظم، وإن كانت فاطمة الزهراء زوجة عظيمة المنزلة انعدم مثلها؛ فقد كان النبي بمنزلة أبي على عليه السلام وإضافة إلى ذلك، كان بالنسبة لعلى القائد والمرشد والمعلم والأستاذ وبالتالي كل شيء لعلى، ومن هنا ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلى عليه السلام: «يَا أَبَا الرَّيْحَانِيَيْنِ ... عَنْ قَلِيلٍ يَنْهَدُ رُكْنَاكَ».

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله قال على عليه وآله: «هَذَا أَحَدُ رُكْنِي الَّذِي قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ».

وقال حين استشهدت الصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام: «هَذَا الرُّكْنُ الثَّانِي الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ» [٢٢].

ثم أضاف الإمام عليه السلام في شرحه لهذا الكلام قائلاً: «فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ [٢٣] فِي مَلْحُودَةٍ [٢٤] فَبَرِكْ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ، فَاِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!».

ذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى أن «نفس» هنا تعني الدم (لأن أحد معاني النفس هو الدم) وقالوا: إن قليلاً من الدم خرج من فم النبي عند وفاته وجرى على صدر علي عليه السلام؛ ولكن هذا المعنى يبدو مستبعداً، على كل حال تفيد القرائن (كما تدل الخطبه ١٩٧) أن رأس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حين وفاته كان في حجر علي عليه السلام ففاضت روحه الطاهرة فمرت على صدر علي عليه السلام ونحره، رغم ما ذكره بعض

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٨

محدثي العاقبة من أن عائشة قالت: «كان رأس رسول الله صلى الله عليه وآله في حجرى لما فاضت روحه» [٢٥]؛ فليس هنالك من دليل معتبر على هذا الكلام ولعله من قبيل العديد من الروايات التي سعوا من خلالها لنسب فضائل علي عليه السلام الواحدة تلو الأخرى لغيره.

آنذاك عاد الإمام ثانياً لشرح مصيبة الزهراء عليها السلام فخطب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قائلاً: «فَلَقَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةَ، وَأَخَذَتِ الرَّهِيْنَةَ! أَمَا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ [٢٦]، وَأَمَا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ [٢٧]، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ».

هذه العبارة التي تعكس مدى لوعة علي عليه السلام إزاء حادثة شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام تشير بوضوح إلى مدى قيمة سيده النساء لدى علي عليه السلام وعمق الارتباط العاطفي والمعنوي والروحي بينهما.

التعبير ب«وديعه» إشارة إلى مافعله رسول الله صلى الله عليه وآله حين أخذ بيد فاطمة ووضعها بيد علي عليه السلام وقال: «يَا أَبَا الْحَسَنِ هَذِهِ وَدِيعَةُ اللَّهِ وَوَدِيعَةُ رَسُولِهِ عِنْدَكَ فَاحْفَظْ اللَّهَ وَاحْفَظْنِي فِيهَا وَإِنَّكَ لِفَاعِلُهُ» [٢٨].

ويرى البعض أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال ذلك ليله زفاف الزهراء عليها السلام، وذهب بعض الشراح إلى أن التعبير بالوديعه هنا يشير إلى أن أرواح الناس في الأبدان شبيهة بالوديعه والأمانة التي تسترد عند الوفاة، إلّا أن هذا التفسير يبدو مستبعداً هنا. ويمكن أن يكون التعبير ب«الرهينة» حيث إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أخذ من علي عليه السلام عهد الخلافة والوصاية والوفاء وكانت كريمة الزهراء عليها السلام رهينة إزاء ذلك.

وقد استعمل هذا التعبير كون الصديقة أعظم نعمة من الله على علي عليه السلام.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩

وتفسير العبارة: «أَمَا حُزْنِي فَسِرْمَدٌ» واضح، فالإمام عليه السلام لا يكاد يذكر البتول حتى تتجدد أحزانه وآلامه وهو الحزن الذي خيم على جميع تفاصيل حياة الإمام علي عليه السلام.

والعبارة: «وَأَمَا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ» كناية عن أنني أعيش أغلب الليالي على ذكر تلك الصديقة الطاهرة، وأن ذكرها ليسلب من عيني النعاس، وخير شاهد على ذلك الأشعار التي أنشدها بعد فراق فاطمة الزهراء عليها السلام:

نَفْسِي عَلَى زَفْرَانِهَا مَحْبُوسَةٌ يَا لَيْتَهَا حَرَجَتْ مَعَ الزَّفْرَاتِ

لَا خَيْرَ بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا أَبْكِي مَخَافَةَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي [٢٩]

آنذاك أشار الإمام عليه السلام إلى جانب من مصائب فاطمة الزهراء عليها السلام المفجعة فقال:

«وَسَتَّبْتُكَ ابْتِئَاكُ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفَهَا [٣٠] السُّؤَالُ، وَاسْتَخْبِرَهَا الْحَالُ؛ هَذَا وَلَمْ يَطْلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ».

الظاهر أن هذه العبارات المقتضبة من أمير المؤمنين علي عليه السلام بغية رعاية الأدب عند قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولا يخوض فيها ولا يشرحها، والتي تشير إلى الأحداث المأساوية التي أعقبت رحيل النبي؛ من قبيل الهجوم على بيت الصديقة الطاهرة



فاطمة الزهراء عليها السلام، وإضرار النار في البيت، وإسقاط جنينها المحسن وحمل الإمام على عليه السلام إلى المسجد بالقوة من أجل البيعة وهذا ما سنتناوله في ختام هذا البحث، وهي الأحداث التي لم ترد بصيغة مركزة في مصادر الإمامية والعجيب أنها ذكرت صراحة في مصادر العامة.

والمفردة «تضافر» من مادة «ضفر» (على وزن ضعف) تعنى التعاون والتعاقد للقيام بعمل، إشارة إلى أن فئة من الأمة كانت شريكه في ارتكاب تلك الجرائم، ولما كان الأعم الأغلب قد لاذ بالصمت الذي يعنى تأييد ذلك الفعل نسب إلى جميع

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠

الأئمة، و «هضم» تعنى فى الأصل الظلم والكسر، والمفردة «عهد» هنا بمعنى الزمان ولها معانٍ أخرى.

كما يحتمل أن يكون المراد من هذا العهد هو العهد الذى أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن خلافته على عليه السلام وحفظ حرمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما ابنته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وجعلهم عدل القرآن بمقتضى حديث الثقلين وأمثال ذلك؛ أى لم تمض مدّة طويلة على تلك العهود حتى نسيت طائفه من الامية كل شىء وإرتكبت أفظع الجرائم التى تذهل العقول.

ثم اختتم خطبته مخاطباً النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و فاطمة الزهراء عليها السلام قائلاً: «وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامٌ مُودِعٌ، لَأَقَالَ [٣١] وَلَا سِمْ [٣٢]، فَإِنْ أَنْصَرِفَ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ».

ورد فى رواية «الكافى» فى ذيل هذا الكلام: «واه واهاً وَالصَّبْرُ أَيْمُنٌ وَأَجْمَلٌ وَلَوْ لَا غَلْبَةُ الْمُسَيِّئِينَ لَجَعَلْتُ الْمَقَامَ وَاللَّبَثَ لِرَامًا مَعْكُوفًا وَلَا عَوْلَتْ إِعْوَالَ الثُّكْلَى عَلَى جَلِيلِ الرَّزِيَّةِ فَبِعَيْنِ اللَّهِ تُدْفَنُ ابْنَتُكَ سِرًّا وَتُهَضَّمُ حَقَّهَا وَتَمْنَعُ إِرْتَهَا وَلَمْ يَتَبَاعَدِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخْلُقْ مِنْكَ الذِّكْرُ وَإِلَى اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُشْتَكَى وَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْسَنَ الْعَزَاءِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا السَّلَامُ وَالرِّضْوَانُ» [٣٣].

ويتضح بجلاء من هذه العبارات وما ورد فى «نهج البلاغة» مدى شدة المصائب التى جرّعها الفسقة أهل البيت عليهم السلام وبضعة النبي صلى الله عليه وآله عقب تلك المدّة الوجيزة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله التى هزّت علياً عليه السلام بصفته جبل الحلم والصبر وجعلته يبكى بكاء الثكلى، والعجيب أن أسناد ذلك الهجوم البربرى على بيت الرسالة ورد فى مصادر العامة بصورة مستفيضة.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢١

## تأملات

### إشارة

برغم قصر المدّة التى عاشتها فاطمة الزهراء، الصديقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين؛ غير أن سيرتها وفضائلها ومناقبها ومصائبها طويلاً للغاية، وقد أشار بعض شراح نهج البلاغة إلى جانب من ذلك حين تعرضوا لشرح هذه الخطبة، ومن الضرورى أن نشير بدورنا إلى بعض الأمور:

### ١. فاطمة الزهراء عليها السلام على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله

تتمتع الصديقة الطاهرة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة رفيعة، وتتضح عصمتها من الذنوب من خلال ما ورد فيها من أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال فيها:

«فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي» [٣٤].

ومن الواضح أن غضب رسول الله صلى الله عليه وآله مدعاة لأذاه وقد صرح القرآن الكريم بشأن من يؤذيه قائلاً:  
«وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [٣٥].

وليت شعري أى دليل أدل على فضيلتها وعصمتها من حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذى نص على أن رضاها رضى الله  
وغضبها غضبه سبحانه فقال:

«يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويغضب لرضاك» [٣٦].

ولتمتعها بهذه المنزلة العظيمة فهي سيده نساء العالمين فقال لها النبي صلى الله عليه وآله:

«يا فاطمة! ألا تزفين أن تكونى سيده نساء العالمين، وسيده نساء هذه الامم وسيده نساء المؤمنين» [٣٧].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٢

## ٢. حرمة بيت الزهراء عليها السلام فى القرآن والسنة

قال المحدثون: لما نزلت الآية المباركة: «فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» [٣٨]. قرأ رسول الله هذه الآية: «فى بيوت اذن  
الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» فقام إليه رجل: فقال: أى بيوت هذه يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: بيوت الأنبياء.  
فقام إليه أبو بكر، فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله: أهذا البيت منها، مشيراً إلى بيت علي وفاطمة عليها السلام.  
قال صلى الله عليه وآله: نعم، من أفاضلها [٣٩].

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر تسعة أشهر على بيت فاطمة فيسلم عليها وعلى علي عليه السلام [٤٠] ويقرأ هذه الآية: «إنما  
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» [٤١].

البيت الذى كان مركز النور الإلهي وقد أمر الله أن يرفع إنما يتمتع بحرمة عظيمة.

نعم البيت الذى يضم أصحاب الكساء ويشي الله تبارك وتعالى عليه لا بد أن يحظى باحترام قاطبة المسلمين.

وهنا لا بد أن نرى كيفية التعامل مع حرمة ذلك البيت عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وكيف هتكت حرمة ذلك البيت، وقد اعترفوا أنفسهم بذلك صراحة؟

ومن هم أولئك الذين انتهكوا الحرمات، وماذا كان هدفهم؟

## ٣. انتهاك حرمة بيت الزهراء عليها السلام

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣

للأسف رغم كل هذه الوصايا والتأكيدات فإن البعض تجاهل هذه الحرمة وانتهكها، وهذه ليست بالمسألة الهينة التى يمكن التغاضى  
عنها.

وسنذكر هنا نصوصاً من مصادر العامية ليتضح من خلالها أن انتهاك حرمة بيت الزهراء عليها السلام وما تبعه من أحداث، قضية  
تاريخية ومسلمة؛ وليست خرافة؛ ورغم الضغوط الشديدة فى عصر الخلفاء إزاء ذكر وتدوين فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام  
إلماً أن «الشمس لا تحجب بالغربال» فلم تحجب هذه الحقيقة التى بقيت حية فى بطون كتب التاريخ والحديث، وسنراعى الترتيب  
الزمانى فى عرض الوثائق منذ القرون الأولى حتى العصر الحاضر.

الف) ابن أبى شيبه، المحدث المعروف لدى العامة فى كتاب «المصنف»

قال أبو بكر بن أبى شيبه (١٥٩-٢٣٥) مؤلف كتاب «المصنف» بسند صحيح:

«إنه حين بويع لأبى بكر بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله، فيشاورونها

وَيَزِجَعُونَ فِي أَمْرِهِمْ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَٰلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ وَدَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ، فَقَالَ: يَا بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكَ وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا بَعْدَ أَبِيكَ مِنْكَ، وَأَيْمُ اللَّهِ مَا ذَاكَ بِمَانِعِي إِنْ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ عِنْدَكَ أَنْ أَمْرُهُمْ أَنْ يُحْرَقَ عَلَيْهِمُ الْبَيْتُ.

قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ عُمَرُ جَاؤُوهَا، فَقَالَتْ: تَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَرَ قَدْ جَاءَنِي، وَقَدْ حَلَفَ بِاللَّهِ لَنْ عُدُّنَّكُمْ لِيُحْرَقَ عَلَيْكُمُ الْبَيْتُ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَيْمُضِينَ لِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ» [٤٢].

وقد وردت هذه الحادثة بسند صحيح في كتاب «المصنف».

ب) البلاذري، المحدث الكبير عند العامة في كتاب «أنساب الأشراف»

روى أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري (م ٢٧٠) صاحب التاريخ المعروف، هذه الحادثة التاريخية في كتابه «أنساب الأشراف» قائلا:

«إِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ يُرِيدُ الْبَيْعَةَ فَلَمْ يُبَايِعْ، فَجَاءَ عُمَرُ وَمَعَهُ فَتِيلَةٌ فَتَلَقَّتْهُ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤

فَاطِمَةُ عَلَى الْبَابِ.

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَتَرَائِكُ مُحْرِقًا عَلِيًّا بَابِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ أَقْوَى فِيمَا جَاءَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ...» [٤٣].

ج) ابن قتيبة وكتاب «الإمامة والسياسة»

المؤرخ الشهير عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٢-٢٧٦) من أساطين الأدب، وكتاب التاريخ الإسلامي ومؤلف كتاب (تأويل مختلف الحديث)، (أدب الكاتب) و... [٤٤] قال في كتاب «الإمامة والسياسة»:

«إِنَّ أَبَا بَكْرٍ (رَضَ) تَفَقَّدَ قَوْمًا تَخَلَّفُوا عَنِ بَيْعَتِهِ عِنْدَ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عُمَرَ فَبَدَّاهُمْ وَهُمْ فِي دَارِ عَلِيٍّ، فَأَبَوْا أَنْ يَخْرُجُوا فَدَعَا بِالْحَطَبِ وَقَالَ:

وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَتَخْرُجَنَّ أَوْ لِأَحْرَقَنَّ عَلِيًّا مَنْ فِيهَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا حَفْصٍ إِنَّ فِيهَا فَاطِمَةَ. فَقَالَ: وَإِنَّ!» [٤٥].

وأضاف ابن قتيبة عقب ذكره لهذه الحادثة البشعة والمؤلمة فقال:

«ثُمَّ قَامَ عُمَرُ فَمَشَى مَعَهُ جَمَاعَةٌ حَتَّى أَتَوْا فَاطِمَةَ فَدَقُّوا الْبَابَ فَلَمَّا سَمِعَتْ أَصْوَاتَهُمْ نَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا يَا أَبْنَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِينَا بَعْدَكَ مِنْ ابْنِ الْخَطَّابِ وَابْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَلَمَّا سَمِعَ الْقَوْمُ صَوْتَهَا وَبُكَاءَها انْصَرَفُوا وَبَقِيَ عُمَرُ وَمَعَهُ قَوْمٌ فَأَخْرَجُوا عَلِيًّا فَمَضَوْا بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالُوا لَهُ: بَايِعْ، فَقَالَ: إِنْ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ فَمَهْ؟

فَقَالُوا: إِذَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ نَضْرِبُ عُنُقَكَ...!» [٤٦].

طبعاً يصعب جداً هضم هذه الحقبة من التاريخ على بعض الموالين للشيخين، لذلك سعى البعض للتشكيك في نسب هذا الكتاب لابن قتيبة، في حين يراه ابن

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥

أبي الحديد الأستاذ البارع في التاريخ، أنه من كتبه وقد روى منه العديد من المطالب، والمؤسف أن هذا الكتاب طالته يد التحريف وحذفت بعض مواضعه عند الطباعة، بينما وردت نفس تلك المطالب في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد المعتزلي.

وعده الزركلي في كتاب «الأعلام»، من آثار ابن قتيبة وقال: هنالك رأى للعلماء في هذه النسبة؛ أي أنه ينسب الشك إلى الآخرين وليس لنفسه، كما يراه إلياس سر كيس من كتب ابن قتيبة [٤٧].

د) الطبري وتاريخه

ذكر محمد بن جرير الطبري (م ٣١٠) في تاريخه حادثة هتك حرمة بيت الوحي فقال:

«أَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْزِلَ عَلِيٍّ وَفِيهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَرِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَحْرِقَنَّ عَلَيْكُمْ أَوْ لَتَخْرُجَنَّ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ مُضِلِّتًا بِالسَّيْفِ فَعَثَّرَ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ» [٤٨].

تفيد هذه الحقبه التاريخية أن أخذ البيعة للخليفة تم في ظل التهديد والوعيد وأما قيمة مثل هذه البيعة فمتروكة لإنصاف القراء الأعزاء. (ه) ابن عبد ربه وكتاب «العقد الفريد»

أورد شهاب الدين أحمد المعروف ب (ابن عبد ربه الأندلسي) مؤلف كتاب (العقد الفريد) (م ٤٦٣) بحثاً مسهباً في كتابه بشأن تاريخ السقيفة، فقد قال في فصل من تخلف عن بيعه أبي بكر:

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦

«فَأَمَّا عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ وَالزُّبَيْرُ فَفَعِدُوا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ بَيْتِ فَاطِمَةَ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَبَوَا فَقَاتِلَهُمْ، فَأَقْبَلَ بِقَبْسٍ مِنْ نَارٍ أَنْ يُضْرِمَ عَلَيْهِمُ الدَّارَ، فَلَقِيَتْهُ فَاطِمَةُ فَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَجِئْتَ لِنُحْرُقَ دَارَنَا؟! قَالَ: نَعَمْ، أَوْ تَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلْتُ فِيهِ الْأُمَّةُ!» [٤٩].

تم إلى هنا الفصل الذي صرح فيه بالعزم على انتهاك الحرمه، ونحوض الآن في الفصل الثاني الذي يفيد التطبيق العملي لتيه السوء المبيتة، والحذر من الاعتقاد بأن تيه القوم كانت تقتصر على التهديد والوعيد ليجبروا علياً عليه السلام وصحبه على البيعة وأنهم لم يكونوا يفكرون بتفعيل ذلك التهديد.

وقوع الهجوم

انتهى إلى هنا كلام تلك الطائفة من المؤرخين الذين اقتصروا على الإشارة إلى سوء تيه الخليفة وبطانته، الطائفة التي لم ترد أو لم تستطع عكس الفصول القادمة لتلك الفاجعة بصورة واضحة، في حين أشار البعض الآخر إلى أصل الجريمة؛ أي الهجوم على البيت و... وإليك الآن وثائق الهجوم وانتهاك حرمه بيت الرسالة والوحي، بيت فاطمة الزهراء عليها السلام: (وسنراعي في هذا الفصل أيضاً الترتيب الزمني في نقل المصادر).

(و) أبو عبيد وكتاب «الأموال»

قال أبو عبيد، قاسم بن سلام (م ٢٢٤) في كتابه (الأموال) الموثق عند العامة:

«قال عبد الرحمن بن عوف: عدت أبا بكر في مرضه في بيته، فقال بعد كلام طويل: وددت أني لم أفعل ثلاثاً كنت فعلتهن، كما وددت أني سألت النبي عن ثلاث؛ وإحدى الثلاث التي فعلتها وددت أني لم أفعلها: «وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكْشِفْ

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧

بَيْتِ فَاطِمَةَ وَتَرَكْتُهُ وَإِنْ أَغْلِقَ عَلَيَّ الْحَرْبِ» [٥٠].

قال أبو عبيد لما بلغ هذا الموضوع بدلاً من العبارة: «لم أكشف بيت فاطمة وتركته...»: «كذا وكذا» وقال، لا أود ذكره! ورغم امتناع أبي عبيد، عن ذكر الحقيقة بسبب تعصبه المذهبي أو لعله أخرى؛ غير أن المحققين لكتاب الأموال قالوا في الحاشية: وردت العبارة المحذوفة في كتاب ميزان الاعتدال، كما ذكر الطبراني تلك العبارة في معجمه وابن عبد ربه في العقد الفريد، وغيرهم من المؤرخين. (لابد من الدقة!).

(ز) الطبراني و «المعجم الكبير»

أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠) الذي عدّه الذهبي في ميزان الاعتدال ثقة [٥١]. حيث تحدّث في كتاب (المعجم الكبير) الذي طبع كراراً عن أبي بكر ووفاته:

ود أبو بكر عند وفاته أموراً فقال: وددت أني لم أفعل ثلاثاً وفعلت ثلاثاً وسألت رسول الله عن ثلاث: «أما الثلاث اللّائي وددت أني لم أفعلهنّ، فوددت أني لم أكن أكشف بيت فاطمة وتركته...» [٥٢].

تفيد هذه العبارات أن تهديدات عمر دخلت حيز التنفيذ وفتح باب الدار بالقوة (أو بالنار).

(ح) أيضاً ابن عبد ربّه و «العقد الفريد»

روى ابن عبد ربّه الأندلسي مؤلف كتاب العقد الفريد (م ٤٦٣) في كتابه عن

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٨

عبدالرحمن بن عوف:

«دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ: وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ ثَلَاثًا إِحْدَاهَا:

وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكْشِفْ بَيْتَ فَاطِمَةَ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ كَانُوا أَغْلَقُوهُ عَلَى الْحَرْبِ» [٥٣].

وسيرد علينا أسماء وعبارات سائر الشخصيات الذين نقلوا هذا القسم من كلام الخليفة.

(ط) كلام النظام في كتاب «الوافي بالوفيات»

إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي (١٦٠-٢٣١) الذي لقب بالنظام لجمال كلامه في النظم والنثر، نقل في عدّه كتب تفاصيل الواقعة بعد

الوقوف على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام. فقال:

«إِنَّ عُمَرَ ضَرَبَ بَطْنَ فَاطِمَةَ يَوْمَ الْبَيْعَةِ حَتَّى أَلْقَتِ الْمُحْسِنَ مِنْ بَطْنِهَا» [٥٤].

(ي) المبرّد في كتاب «الكامل»

كتب ابن أبي الحديد: روى الأديب المعروف صاحب المؤلفات المشهورة محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البغدادي (٢١٠-٢٨٥) في

كتاب «الكامل» عن عبدالرحمن بن عوف، قصّة أمانى الخليفة فقال:

«وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ كَشَفْتُ عَنْ بَيْتِ فَاطِمَةَ وَتَرَكْتُهُ وَلَوْ أُغْلِقَ عَلَى الْحَرْبِ» [٥٥].

(ك) المسعودي و «مروج الذهب»

كتب المسعودي (م ٣٢٥) في «مروج الذهب»: لما حضرت أبا بكر الوفاء قال:

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩

فعلت ثلاثاً تمنيت أني لم أفعلها:

«فَوَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فَكَشْتُ بَيْتَ فَاطِمَةَ» وَذَكَرَ فِي ذَلِكَ كَلَامًا كَثِيرًا!!! [٥٦].

ورغم اعتقاد المسعودي بأهل البيت؛ لكنه امتنع هنا عن التعرض لكلام الخليفة ومرّ عليه على نحو الكناية، وبالطبع فإنّ الله يعلم السبب

وعباد الله أيضاً يعلمونه إجمالاً!

(ل) الذهبي وكتاب «ميزان الاعتدال»

روى الذهبي في كتاب «ميزان الاعتدال» عن الحافظ محمّد بن أحمد الكوفي أنه قرأ هذا الخبر على أحمد بن محمد المعروف بـ

(ابن أبي دارم)، المحدث الكوفي (م ٣٥٧):

«إِنَّ عُمَرَ رَفَسَ فَاطِمَةَ حَتَّى أَسْقَطَتْ بِمُحْسِنٍ!» [٥٧].

(م) عبدالفتاح عبدالمقصود وكتاب «الإمام علي»

فقد ذكر الهجوم على بيت الرسالة في موضعين من كتابه ونكتفي بنقل أحدهما:

قال عمر: «وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَيُخْرِجَنَّ أَوْ لَأُخْرِقَنَّهَا عَلَى مَيِّنٍ فِيهَا...! قَالَتْ لَهُ طَائِفَةٌ خَافَتْ اللَّهَ وَرَعَتْ الرُّسُولَ فِي عَقِبِهِ: يَا

أَبَاخُفْص، إِنَّ فِيهَا فَاطِمَةَ...!»

فَصَاحَ لِأَيُّبَالِي: وَإِنْ...! وَأَقْتَرَبَ وَقَرَعَ الْبَابَ، ثُمَّ ضَرَبَهُ وَأَفْتَحَهُ... وَبَدَأَ لَهُ عَلَى... وَرَنَّ حِينَئِذِكَ صَوْتُ الزَّهْرَاءِ عِنْدَ مَدْخَلِ الدَّارِ... فَإِنَّ

هِيَ الْطَائِفِينَ اسْتِغَاثَةً...!» [٥٨].

ونختتم هذا البحث برواية أخرى عن مقاتل بن عطية في كتاب الإمامة والخلافة (وإن كان هنالك الكثير الذي يقال!).

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠

حيث ذكر في هذا الكتاب:

«إِنَّ أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ مَا أَخَذَ الْبَيْعَةَ لِنَفْسِهِ مِنَ النَّاسِ بِالْإِزْهَابِ وَالسَّيْفِ وَالْقُوَّةِ أَرْسَلَ عُمَرَ وَقَتْنُذًا وَجَمَاعَةً إِلَى دَارِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ وَجَمَعَ عُمَرَ الْحَطَبَ عَلَى دَارِ فَاطِمَةَ وَأَخْرَقَ بَابَ الدَّارِ!...» [٥٩].

وردت في ذيل هذه الرواية عبارات يعجز القلم عن بيانها.

النتيجة

بالرغم من كل هذه الوثائق الواضحة وأغلبها من مصادر العامة مازال هناك البعض الذي يستعمل عبارة «اسطورة الشهادة» ويؤمن بأن هذه الحادثة المريرة مصطنعة! ولولا إصرار هذا البعض على نفي هذه الحقائق لما أسهنا إلى هذا الحد في البحث.

#### ٤. القبر الطاهر لفاطمة الزهراء عليها السلام

إن إحدى المصائب العظيمة لبضعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن قبرها الشريف مازال مجهولاً لحد الآن؛ ويرى البعض وحسب طائفة من الروايات أنها دفنت في البقيع، والبعض الآخر أنها دفنت في بيتها إلى جانب مسجد النبي، وآخرون أنها دفنت في الروضة (المسافة الواقعة بين قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومنبره الشريف).

وهذا المطلب يحمل كل محقق على التفكير، ترى، ما العاصفة التي اعترت الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ليخفى القبر الطاهر لبضعة النبي الوحيدة؟ وإن دلت أغلب القرائن على دفنها في بيتها، فالدفن في الروضة لم يكن حيناً آنذاك ومن المستبعد أن يرضى على عليه السلام بهذا العمل، كما لا ينسجم دفنها في البقيع وما ورد في هذه الخطبة، لأن

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣١

العبارة: «النَّازِلَةُ فِي جَوَارِكْ» تشير إلى أن قبرها عليها السلام كان جوار قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

روى المرحوم العلامة المجلسي عن إبراهيم بن محمد الهمداني أنه قال: كتبت للإمام الهادي (علي بن محمد النقي عليهما السلام) أخبرني عن قبر فاطمة عليها السلام! فكتب إلي:

«هِيَ مَعَ جَدِّي صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ» [٦٠].

قال المرحوم الصدوق: الصحيح عندي أنها دفنت في بيتها وحين زاد بنو امية في المسجد أصبحت جزءاً منه [٦١].

ورغم أن قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وآله وسائر القبور هي داخل المسجد؛ ولكنه عزل عن المسجد بواسطة الجدران والشبابيك.

روى في كتاب «عيون أخبار الرضا عليه السلام» عن البنزطي قال: «سألت الرضا عن قبر فاطمة؛ قال:

«دُفِنَتْ فِي بَيْتِهَا فَلَمَّا زَادَتْ بَنُو امِيَّةٍ فِي الْمَسْجِدِ صَارَتْ فِي الْمَسْجِدِ» [٦٢].

وعليه فكل من يقف عند قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الروضة المقدسة ويزور فاطمة الزهراء عليها السلام فإنه ينال إن شاء الله فضيلة زيارتها عن قرب، كما يمكن زيارتها في البقيع برجاء المطلوبة.

#### ٥. زمان شهادة بضعة النبي

لم يقتصر الخلاف على موضع دفن بضعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فحسب، بل هنالك خلاف حتى في تاريخ وفاتها.

ففي الرواية المعروفة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢

«إِنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَكَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ يَوْمًا».

وورد في ذيل الرواية:

«كَانَ سَبَبُ قَوْتِهَا أَنْ قُتِفَتْ مَوْلَى عُمَرَ لَكَرَاهَا بِنَعْلِ السَّيْفِ بِأَمْرِهِ فَأَشَقَّتْ مُحْسِنًا وَمَرِضَتْ مِنْ ذَلِكَ مَرَضًا شَدِيدًا» [٦٣].

وبالنظر إلى أن وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كانت في ٢٨ صفر فإن شهادتها لا بد أن تكون في أحد هذه الأيام الثلاثة؛ الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر من جمادى الأولى (مع الأخذ بنظر الاعتبار احتمال تمامية أو نقصان الأشهر الوسط).

وورد في رواية أخرى أن الصديقه الطاهرة فاطمة عليها السلام توفيت يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الآخرة السنة الحادية عشرة للهجرة [٦٤] وتنسجم هذه الرواية مع الرأي القائل أن فاطمة الزهراء عليها السلام عاشت بعد أبيها ٩٥ يوماً.

وعدّ المرحوم العلامة المجلسي في «زاد المعاد» هذا القول بشأن زمان وفاة الزهراء عليها السلام، معتبراً وقال: وهذا مقبول الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس وآخرين، ورغم منافاة هذه الرواية مع رواية الـ ٧٥ يوماً؛ ولكن حيث تعززها رواية مشهورة ومعتبرة، فلا بد من إقامة مراسم العزاء على الصديقه الطاهرة في اليوم الثالث من جمادى الثانية [٦٥].

كما ورد في رواية غير مشهورة أنها عاشت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ٤٠ يوماً [٦٦].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣

## الخطبة ٢٠٣

### إشارة

فِي التَّرْهِيدِ مِنَ الدُّنْيَا وَالتَّوْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ [٦٧]

### نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة القصيرة والعميقة المعاني إلى بضعة أمور:

١. أن الدنيا دار ممر ليس أكثر وأن الآخرة هي مقر الإنسان الأبدى ولا بد من التزود من الممر لدار المقر.

٢. ينبغي للإنسان أن يحلق بروحه خارج الدنيا قبل أن يزول جسده.

٣. الدنيا دار امتحان ومسرح ابتلاء.

٤. إن الناس ينظرون إلى أموال الإنسان التي يخلفها حين يغادر الدنيا بينما تنظر الملائكة إلى أعماله.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٌ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا أُخْبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ! فَفَدُّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا، وَلَا تُخْلِفُوا كَلًّا فَيَكُونَ قَرْضًا عَلَيْكُمْ.

### الشرح والتفسير الدنيا ممر

أشار الإمام عليه السلام في بداية هذه الخطبة إلى مسألة مهمة بشأن حقيقة الدنيا والآخرة حيث تعدّ الغفلة عنها مصدر شقاء الإنسان وتعاساته، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٌ» [٦٨]، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ».

إن أغلب المشاكل تنبع من كون الإنسان يرى الدنيا دار بقاء، ومن هنا ينهمك بجمع المال والثروة عن أى طريق ومهما كلف الأمر، ويخجل بها إزاء صرفها فى الأمور الخيرية، ولذلك يرتكب العديد من الأفعال السيئة ويسوف التوبة، وقد وردت هذه الحقيقة بعدة تعبيرات فى الروايات لتعتبر الدنيا أحياناً:

«الدنيا قنطرة» [٦٩]، وأخرى: «مَتَجَّرَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ» [٧٠]، وتارة «الدُّنْيَا مَرْزَعَةٌ

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦

الْآخِرَةُ» [٧١] والتي تفيد جميعاً ذات المعنى.

ثم أشار فى هذا السياق إلى أمر آخر فقال: «وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ».

يرى أغلب الشراح أن هذه العبارة تشير إلى عدم التجاهر بالمعصية، لأن المعصية الخفية فى الواقع معصية واحدة، بينما تعتبر المعصية العلنية مضاعفة كونها انتهاك للستار وتلويث للبيئة الاجتماعية؛ إلا أن بعض الشراح اعتبرها إشارة إلى أعمال الخير فإنها أفضل أن يؤتى بها فى الخفاء، والحال العبارة (وَلَا تَهْتِكُوا) لا تتناسب مع هذا المعنى.

على كل حال فإن الله ستر العيوب وغفار الذنوب؛ فمادام العبد لا يهتك الستار فإن الله يستر العيب والذنب.

فقد ورد فى الحديث عن أمير المؤمنين على عليه السلام: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ أَرْبَعُونَ جُنَّةً حَتَّى يَعْمَلَ أَرْبَعِينَ كَبِيرَةً فَإِذَا عَمِلَ أَرْبَعِينَ كَبِيرَةً انْكَشَفَتْ عَنْهُ الْجَنَّةُ». ثم قال الإمام عليه السلام مواصلاً كلامه: «فَيُوحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ أَنْ اسْتُرُوا عَلَى عَبْدِي بِأَجْنِحَتِكُمْ فَتَسْتُرُهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، قَالَ: فَمَا يَدْعُ شَيْئاً مِنَ الْقَبِيحِ إِلَّا قَارَفَهُ حَتَّى يَمْتَدِّحَ إِلَى النَّاسِ بِفِعْلِهِ الْقَبِيحِ، فَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَارَبِّ هَذَا عَبْدُكَ مَا يَدْعُ شَيْئاً إِلَّا مَارَكَبَهُ، وَإِنَّا لَنَسْتَحِي مِمَّا يَصْنَعُ، فَيُوحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ أَنْ ارْفَعُوا أَجْنِحَتِكُمْ عَنْهُ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ أَخَذَ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْهَتُكَ سِتْرُهُ فِي السَّمَاءِ وَسِتْرُهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَارَبِّ هَذَا عَبْدُكَ قَدْ بَقِيَ مَهْتُوكَ السِّتْرِ، فَيُوحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ: لَوْ كَانَتْ لِلَّهِ فِيهِ حَاجَةٌ مَا أَمَرَكَمْ أَنْ تَرْفَعُوا أَجْنِحَتِكُمْ عَنْهُ» [٧٢].

ولعل إرتباط هذه العبارة بالعبارات السابقة أن من أسوأ الذنوب التى تخرب الدار الآخرة للإنسان يكمن فى التجاهر بالمعصية.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٧

ثم واصل الإمام عليه السلام حديثه عن الزهد فى الدنيا مشيراً إلى نقطة ثالثة فقال:

«وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ».

إخراج القلوب، كناية لطيفة عن ترك التعلقات الدنيوية والتهافت على متاعها وحطامها، والتعبير «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ...» تحذير من تقلب هذا العالم بمعنى أيقوا فإن هذه الأجساد ستصبح تراباً فاسعوا لإخراج قلوبكم من هذه الدنيا قبل الأوان فحب الدنيا رأس كل خطيئة.

طبعاً لا- يعنى هذا أن لا- يتمتع المسلمون بحوائج الحياة أو أن تتخلف المجتمعات الإسلامية عن التقدم الاقتصادى ويحتاجون إلى غيرهم، بل المراد التبعية الشديدة التى تضطر الإنسان لخرق القانون ومن هنا عدّ الشراح هذه العبارة إشارة لترك الأموال الحرام.

ثم قال فى رابع نقطة واكمل ما سبق فقال: «فِيهَا اخْتَبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِفْتُمْ».

فهاتان العبارتان الموجزتان توضحان كل شى ويشير الالتفات إليهما إلى المسار السعيد لحياة الإنسان، نعم فالدنيا دار امتحان والآخرة دار الخلود، قال تعالى:

«أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» [٧٣]، فالامتحان الإلهى كوسيلة لتكامل الإنسان وتهذيبه أمر قطعى لا مفر منه وعبارة أخرى من أهداف خلق الإنسان الذى لا استثناء فيه ولا بد من التعرض لها فى الليل والنهار والسر والعلانية والكهولة والشباب.

ثم أشار إلى ثلاثة أمور مهمّة أخرى وقال: «إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟».



المراد من الناس هنا المتعلقين بالدنيا الذين غالباً ما يسألون عن أموال و ثروات من يموت، والحال انقطعوا نهائياً عن تلك الأموال وعليهم أن يجيبوا عن طرق تحصيل هذه الأموال يوم القيامة والطريف أنه جعل مقابلهم الملائكة الذين يقتصر

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨

تركيزهم على الأمور والمسائل المعنوية.

ثم قال في الأخير: «لله آباؤكم! فقدّموا بعضاً يكن لكم قرضاً، ولا تخلفوا كلاً فيكون فريضاً عليكم».

الجملة «لله آباؤكم!» تذكر عادةً للتعجب المقرون بالاحترام [٧٤] والمراد من الجملة «فقدّموا بعضاً...» أن الإنسان مادام حياً ينفق من أمواله في سبيل الله على الفقراء أو الأمور الخيرية بمقتضى «وما عند الله باق» [٧٥] و «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً» [٧٦] والتعبير ب «بعض» حتى لا ينبغي للإنسان أن يحرم ورثته المحتاجين غالباً فذلك بعيد عن الانصاف، وقد ورد الهم في الروايات على من ينفق أمواله في حياته ولا يترك شيئاً للورثة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في أحد الأنصار الذي أنفق جميع أمواله قبل موته ولم يبق شيئاً لأولاده: «لَوْ أَعْلَمْتُمُونِي أَمْرَهُ مَا تَرَكْتُكُمْ تَدْفِنُوهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ يَتْرُكُ صَبِيَّتَهُ صِغَاراً يَتَكْفُونَ النَّاسَ» [٧٧]. طبعاً هذا النهي في من له ورثة محتاجون.

من جانب آخر ورد الهم بشدة لمن لا ينفق شيئاً من أمواله في سبيل الله ويبقيه جميعاً للورثة.

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية «كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ» [٧٨]: «هُوَ الرَّجُلُ يَدْعُ مَالَهُ لَا يَنْفِقُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ بُخْلًا ثُمَّ يَمُوتُ فَيَدَعُهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنْ عَمِلَ بِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ رَأَهُ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ فَرَأَهُ حَسْرَةً وَقَدْ كَانَ الْمَالُ لَهُ وَإِنْ كَانَ عَمِلَ بِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ قَوَاهُ بِذَلِكَ الْمَالِ حَتَّى عَمِلَ بِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» [٧٩].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩

الجملة «فريضاً عليكم» إشارة إلى أنه إن خلف كل أمواله للورثة فحسابها عليه في القيامة ومنافعها للآخرين.

وهنا لطيفة أدبية أن الإمام على عليه السلام استفاد في هاتين العبارتين من أربعة أشياء، «قدموا» في مقابل «لا تخلفوا» و «بعض» إزاء «كل» و «قرض» مقابل «فرض» و «لكم» في مقابل «عليكم» وهي دلالة على فصاحة وبلاغة كلام الإمام عليه السلام.

### تأمل: الإكثار من هذه العبارة

الأجدر بكل إنسان أن يتلو كل صباح هذه العبارة، فالغفلة والإنهماك طبيعة الدنيا؛ الغفلة التي غالباً ما تؤدي إلى المعصية التي تبعد العبد عن الله.

فالعبارة المذكورة وضحت موضع الدنيا وتضمنت وصايا بشأن الاستعداد والتأهب لذلك السفر المصيري.

طبعاً كلمات الإمام عليه السلام لا تعنى أن يكف الإنسان عن السعي من أجل الحياة المادية، فذلك مدعاة للفقر والعوز، فالفقر هو الأساس لأنواع المعاصي والتغرب عن الإسلام وهي التبعية التي تقضى على عزة الإسلام وتكسر شوكتها؛ بل المراد تغيير النظرة إلى الدنيا؛ التمتع بجميع النعم ولكن شريطة الاستفادة من الأموال في سبيل قضاء الحوائج واستثمارها من أجل نيل السعادة في الدار الآخرة وتسكين أئين المحرومين، والابتعاد عن كثر الأموال والثروة وإنفاق قسم من الأموال حال الحياة وأدخارها للمعاد.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤١

## إشارة

كَانَ كَثِيرًا مَا يُنَادِي بِهِ أَصْحَابَهُ [٨٠]

## نظرة إلى الخطبة

يستفاد من العنوان الذي اختاره السيد الرضى للخطبة أن الإمام عليه السلام خاطب صحبه كراراً وكثيراً ما كرر هذا الكلام، كما يفهم من رواية وردت في «مصادر نهج البلاغة» أنه عليه السلام نادى الناس ثلاثاً بعد صلاة العشاء ليعلم الجميع ويطلق سمعهم هذا الكلام، والخطبة في الواقع موعظة لجميع الناس أن الحياة الدنيا قصيرة ولا بد من الاستعداد للمنازل المرعبة بعدها كالقبر والبرزخ والقيامة، تحذير بقطع التعلق العميق بالدنيا وأن عمرها قصير ونهايتها وشيكة، تحذير بغية التزود لذلك السفر الطويل والخطير.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٣

تَجَهَّزُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَفَعْدُ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقْلُوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَأَنْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بَحَضَرَتْكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَوْوَدًا، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لِأَيْدٍ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَّ الْمَيْتَةِ نَحْوَكُمْ دَائِيَةً، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَسَبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ، وَمُعْضَلَاتُ الْمَحْذُورِ. فَاقْطَعُوا عِلَاقِ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

## الشرح والتفسير: الابتعاد عن طلب الدنيا

تشبه هذه الخطبة الخطبة السابقة وتدور في فلكها، فهي تحذير لأهل الدنيا بأن لا ينسوا مكانهم منها وأن يلتفتوا لما ينتظرهم من أيام ويستعدوا لها، فيقول:

«تَجَهَّزُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَفَعْدُ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقْلُوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا».

فقد شبه الإمام عليه السلام المجتمع البشري بقافلة ينتظرها مقصد عظيم، وبصفته زعيم القافلة ينادى الجميع بالتأهب للحركة. و «الرحيل» بمعنى السفر وقد ورد لها معنيان لدى الشراح، الحركة نحو الآخرة والسير والسلوك إلى الله، ولا مانع من مناداة الناس بالتأهب والحركة باتجاه القيامة ودعوة الخواص إلى السير والسلوك إلى الله.

ورد في بعض الروايات الاستعداد للموت بدل التجهز لسفر الآخرة، فقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا الِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ؟» قال عليه السلام: «أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابُ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٤

الْمَحَارِمِ وَالِاسْتِمَالُ عَلَى الْمَكَارِمِ ثُمَّ لَا يُبَالَى أَوْ قَعَّ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَّ الْمَوْتُ عَلَيْهِ» [٨١].

وقد وردت عدّة احتمالات بشأن المنادى، فقيل: ملك من الملائكة كما ورد في إحدى الكلمات القصار لنهج البلاغة [٨٢] كما نظمه البعض بصيغة شعرية:

لَهُ مَلِكٌ يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ لِدَوَا لِلْمَوْتِ وَابْتِنُوا لِلْخَرَابِ

أو أن المنادى هو الحوادث والبلايا كالعواصف التي تجتاح حياة الناس كل يوم، أو إشارة إلى آثار الشيخوخة التي تتبلور في ذبول الجسد ومشيب الشعر وانحناء القامة والتي تنادى بالرحيل بلسان الحال، وإن اعتبرنا الرحيل بمعنى السير والسلوك إلى الله وتهذيب النفس، فالمنادى هو الله في القرآن، وأئمة العصمة في الروايات، الذين يهتفون بنداء الموت ومغادرة الدنيا.

ومفهوم العرجة على ضوء معنى الإقامة، هو الحدّ من التعلق بالإقامة في الدنيا وعدم عدها خالدة، كحال المتهافتين عليها.

ثم بين أسلوب الاستعداد لسفر الآخرة فقال: «وَأَنْقَلِبُوا بِصَالِحٍ مَا بَحَضَرَ تَكُمُ [٨٣] مِنَ الزَّادِ».

«انقلبوا» عبارة، لطيفة تشير إلى التحول الباطني، أي حولوا انتباهكم عن الانغماس في الدنيا إلى إعداد الزاد والمتاع الأخرى.

«بحضرتكم» إشارة لما يتمتع به الإنسان من قدرات وفرص.

ثم خاض الإمام عليه السلام في الدليل على لزوم تحصيل الزاد والمتاع فقال: «فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَوْوَدًا [٨٤]، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً [٨٥]، لَأَبْدُ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٥

وقد ورد في الخبر المروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ فِي الْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفًا كُلُّ مَوْقِفٍ كَأَلْفِ سِنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» [٨٦].

وروى ما يشبه هذا المعنى بصورة أسهب عن الإمام عليه السلام [٨٧] ويحتمل أن هناك أحد الأعمال الواجبة في كل موقف من المواقف كالصلاة والصوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو السؤال عن الكبائر والتي يتطلب من أصحابها إجابة في ظل الظروف الصعبة والمخيفة فإن عبورها بسلام كانوا موضع رحمة الله والجنة وإلا عرضوا للبلاء.

وبعبارة أخرى كما قال المرحوم الشيخ المفيد: إن المراد من هذه العقبات، الأعمال الواجبة التي تشبه كل منها بالعقبة، وكما يصعب عبور هذه العقبات تصعب الإجابة عن هذه الأعمال.

قال تعالى في سورة البلد: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَكُ رَقَبَةٍ \* أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ \* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ \* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ» [٨٨].

طبعاً لا فرق بهذا الشأن بين الدنيا والآخرة في ما المراد من هذه العقبات؟ سيما ورد بشأن القيامة: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا \* فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا \* لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» [٨٩].

وعليه لا يبدو وارداً اعتراض المرحوم العلامة المجلسي على الشيخ المفيد في ضرورة عدم حمل الألفاظ على معانيها المجازية دون الأصلية [٩٠]، فهذا الإشكال

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٦

يرد حين لا تكون هناك قرائن ويكفي في هول القيامة قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْصِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» [٩١].

ثم تعمق الإمام عليه السلام في شرح هذا الأمر فوعظ الجميع قائلاً: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَّ [٩٢] الْمَنِيَّةِ [٩٣] نَحْوَكُمْ دَانِيَةً [٩٤]، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا [٩٥] وَقَدْ نَشِبَتْ [٩٦] فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ [٩٧] فِيهَا مُفْطَعَاتُ [٩٨] الْأُمُورِ، وَمُعْضَلَاتُ [٩٩] الْمُحْدُورِ».

ويشير هذا الكلام إلى عدم وجود مسافة بين الإنسان والموت مهما كان عمره، ففي كل آن يمكن وقوع حادثه مفاجئه وبصيه مرض في كل حين أو بياغته عدو في الهجوم، ولعل حياة الإنسان تزول إذا غص بلقمه، أو يلاقى حتفه إذا انسدت شرايين قلبه أو أصيب بسكتة دماغية أو أن يقطع نخاعه أثر ضربه مفاجئه فيعيش طريح الفراش طيله حياته.

واختتم الإمام عليه السلام الخطبة باستنتاج بين وبلغ فقال: «فَقَطُّعُوا عَلَاتِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا [١٠٠] بِرَادِ التَّقْوَى».

والمراد من علائق الدنيا هو التعلق المفرط بالمال والجاه والزوج والولد، بالشكل الذي يغفل الإنسان عن الله ويسهل عليه مقارفة المعصية لنيل الدنيا ويزين له مفاتنها

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٧

وعبارة الاستظهار بزاد التقوى إشارة إلى أن آخرة الإنسان تتطلب في هذا السفر الخطير والمخيف نقاط ارتكاز تسهل عليه اجتياز الطريق وليس هنالك من مرتكز أفضل من زاد الورع والتقوى.

وحين بلغ المرحوم السيد الرضى هذا الموضوع قال: «وَقَدْ مَضَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ بِخِلَافِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ». والظاهر أن مراده، الخطبة ٨٥ التي تشترك ببعض العبارات مع الكلام المذكور.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٩

## الخطبة ٢٠٥

### إشارة

كَلَّمَ بِهِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ بَعْدَ بَيْعَتِهِ بِالْخِلَافَةِ وَقَدْ عَتَبَا عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ مَشُورَتِهِمَا، وَالِاسْتِعَانَةَ فِي الْأُمُورِ بِهِمَا [١٠١]

### نظرة إلى الخطبة

كما ورد في عنوان الخطبة فإن هذا الكلام ردّ على بعض إشكالات طلحة والزبير اللذين كانا يتوقعان أن يجعل لهما الإمام عليه السلام نصيب كبير من الحكومة واستشارتهما في جميع الأمور، فذكر لهما الإمام عليه السلام بعض الأمور التي تبين بوضوح مسيرة حكومته وتضع حدًا لتوقعاتهما الخاطئة:

الأول: إن هؤلاء يعتبرون من هذا الباب، لم كلّ هذا الغضب على شيء يبدو بسيطاً وقد نسيت العديد من المحاسن.

ثم بين في جانب آخر أن ليست هنالك من مشكلة مستجدة بشأن الحكومة

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٥٠

ليستشيرهما بخصوصها؛ بل سيقود الدولة على هدى الكتاب والسنة، وبالطبع لو استجد أمر يدعو إلى المشورة فإنه لن يمتنع عنها قط. وأجاب في القسم الثالث عن الإشكال الذي يرد عليه على التسوية في العطاء من بيت المال والذي يستند أيضاً إلى السنة النبوية. وخاض في ختام الخطبة في دعاء عظيم المعنى سائلاً الله الرحمة لكل من رأى حقاً وأعان عليه ووقف بوجه الباطل.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٥١

### القسم الأول

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيْرًا، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيْرًا. أَلَا تُخْبِرَانِي، أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قِسْمٍ اسْتَأْثَرْتُمْ عَلَيْنَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعْتُمْ إِلَيْنَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهَلْتُمْ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ!

وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِزْبَةٌ، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضْتُ إِلَيْنَا نَظَرْتُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُمْهُ، وَمَا اسْتَبْرَأْتُمُونِي مِنَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله)، فَاقْتَدَيْتُمْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَلَا رَأْيَ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُمْهُ؛ فَاسْتَشِيرْ كَمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمْ، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمْ.

### الشرح والتفسير: حجج طلحة والزبير

لما تفاقمت الأوضاع ومشاكل المسلمين على عهد عثمان وقام الناس عليه ناقمين على اغداقه المناصب على بطانته وقربته وتوزيع أموال بيت مال المسلمين عليهم وتجاهله للمحرومين والمحتاجين، هب عدد من الصحابة لنصرتهم وكان في مقدمتهم طلحة والزبير، وهما اللذان أصرا على الإمام بقبول الحكومة، فكانا من السابقين لبيعة الإمام عليه السلام؛ إلا أنهما على غرار أولئك الذين يفكرون بطريقة سياسية وليست ربانية ورحمائية، فهم يتوقعون على الدوام نيل المناصب الحكومية؛ ويوردون ذلك صراحة تارة وأخرى عن طريق بعض الذرائع لئيبينا هدفهم من نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٥٢ خلال الكناية.

وهذا ما كان يتوقعه طلحة والزبير من الإمام عليه السلام؛ فكان طلحة يطمح في حكومة البصرة، والزبير في حكومة الكوفة، وقال البعض: إن طلحة كان يريد حكومة اليمن، والزبير حكومة العراق، ولما كانت مثل هذه الرشاوى السياسية تقود عادة إلى تجزئة الدولة بغض النظر عن مخالفتها لروح العدالة، ناهيك عن كون ذلك هو السبب الذي أدى إلى قيام المسلمين على عثمان فإن الإمام لم يستجب لتلك الطموحات.

وحين ينس طلحة والزبير من تحقيق غرضهما أخذاً بالنقد والإشكال على الإمام أولاً، ثم أشعلا نار الجمل؛ النار التي احترقا في أتونها فقال عليه السلام: «لَقَدْ نَقَمْتُمَا [١٠٢] يَسِيرًا، وَأَرْجَأْتُمَا [١٠٣] كَثِيرًا».

والمراد من اليسير ترك مشورتهم، والمراد من الكثير مصالح المسلمين، فطلحة والزبير استعانا بذرائع واهية بغية تحقيق أهدافهما وأدارا ظهرهما لمصالح المسلمين التي تفرزها وحدة الصف والوقوف خلف الإمام عليه السلام، وهذا هو أسلوب الباحثين عن العيوب ضيقى الافق الذين يضحون بمصالح الأمة من أجل تحقيق أطماعهم. ثم قال الإمام عليه السلام: «أَلَا تُخْبِرَانِي، أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُمَا [١٠٤] عَلَيْنَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعْتُمَا إِلَيْنَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعَفْتُمَا عَنْهُ، أَمْ جَهَلْتُمَا، أَمْ أَخْطَأْتُمَا بَابَهُ!».

الواقع أن الإمام عليه السلام أراد بهذه العبارة أن يغلق جميع أبواب النقد والإشكال التي يمكن أن يلجها طلحة والزبير، فالانتقاد إما يرتبط بحقهما الشخصي أو بسائر المسلمين، ومطالباتهما الشخصية إما تتعلق بضياح حقهما أو التصرف فيه، وما يتعلق بسائر نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٥٣

المسلمين إما يكون تقصير في إحقاق الحقوق أو الجهل بحق أو الخطأ في التنفيذ.

والإمام عليه السلام يقول لهما: إن كان لديكما إشكال على أي من هذه الأمور قولاً لي صراحة، وحيث لم يستطيعا الإشارة إلى قضية عجزا عن الإتيان بإجابة، وهذا ديدن جميع المخطئين الانتهازيين الذين يرسلون الكلام على عواهنه ويشيرون الضجيج دون الإشارة إلى نقطة معينة.

ثم قدم الإمام عليه السلام جواباً واضحاً لإشكالهما بخصوص ترك المشورة فقال: «وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِزْبَةٌ [١٠٥]، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُمَا، وَمَا اسْتَيْتَنَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَاقْتَدَيْتُمَا، فَلَمْ أَحْتَجِجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُمَا؛ فَاسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا».

أشار الإمام عليه السلام في الواقع بهذه العبارة إلى أمرين؛ الأول: إنه لم يتخذ عضداً في قبول الخلافة الظاهرية وقد تمت الحجة عليه بقبولها بفعل إصرار المسلمين ولاسيما بعضهم كطلحة والزبير، وعليه فليس هنالك من توقع من الإمام سوى رعاية حقوق الناس.

طبعاً أصحاب الدنيا الذين ينشدون المناصب يدعون هذا وذاك لدعمهم ويعدونهم ببعض المناصب قبل بلوغها إن وصلوا لسدة الحكم، لكن لا معنى لمثل هذا التوقع بالنسبة لأولياء الله الذين لا يرغبون في هذه المناصب سوى استجابة لرغبة الناس.

الثاني: إنَّ مسألة المشورة صحيحة؛ ولكن «لكل مقام مقال ولكل حادثه حديث» حقاً ليس هنالك من مجال للمشورة في الأمور الإسلامية القطعية وأوامر الله والنبي صلى الله عليه وآله، بينما تبدو المشورة مفتوحة في الأمور التنفيذية التي تتنوع أساليبها.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٥٤

فالإمام عليه السلام يقول: لا تتوقعوا أن أشتير كما في القضايا المهمة كالعدل وإعادة الأموال المغصوبة على عهد عثمان إلى بيت المال والتسوية في العطاء، وسوف لن اتردد في هذه المشورة إن كان إليها من سبيل.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٥٥

### القسم الثاني

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيَّتُهُ هَوَىٰ مِنِّي، بَلْ وَجِدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَسْتَجِبْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قِسْمِهِ، وَأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَاللَّهِ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُنْتَبَىٰ. أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَزَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ.

### الشرح والتفسير: حكم الله

ركز الإمام عليه السلام هنا على أحد الإشكالات الرئيسية لطلحة والزبير وأمثالهما على الإمام في التسوية في العطاء من بيت المال فقال: «وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيَّتُهُ هَوَىٰ مِنِّي، بَلْ وَجِدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ».

المفردة «أسوة» وإن استعملت غالباً بمعنى الاقتداء والاتباع ولم تذكر لها المصادر اللغوية معنى آخر غير هذا المعنى [١٠٦]؛ إلا أن بعض اللغويين صرحوا بأن

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٥٦

أحد معانيها، المساواة، ومن هنا يقال لمن افلس: «المال أسوة بين الغرماء».

فإن اعتبرنا معنى «أسوة» حسب المتعارف (الاقتداء) فسيكون مفهوم العبارة أن طلحة والزبير وأمثالهما اعترضوا على الإمام عليه السلام: لم تم تقصد بسيرة عمر وعثمان؟

فأولئك كانوا يراعون شأن الشخص واسمه وعنوانه في العطاء ولم يسووا في العطاء بين المسلمين قط.

ثم قال: «فَلَمْ أَسْتَجِبْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قِسْمِهِ، وَأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَاللَّهِ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُنْتَبَىٰ [١٠٧]».

واختتم الإمام عليه السلام كلامه بالدعاء له ولهم موصياً إياهم بالثبات على الحق والصبر عليه فتضرع قائلاً: «أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ».

من الواضح أن الحق مرير في أغلب المواقع ويصعب تحمله، وهذا ما يجعل الإنسان أحياناً لا يرى الحق ولو رآه لا يحتمله، لذلك يطلب الإمام عليه السلام من الله شيتين؛ الأولى أن يريه والآخرين الحق كما هو، ومن ثم يتلطف عليه بتحمل مرارته.

ورد في إحدى قصار كلمات «نهج البلاغة» أنه عليه السلام قال: «إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ [١٠٨]. ثم قال عليه السلام: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَزَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ».

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٥٧

## تأملات

## ١. علة التسوية في العطاء

لو ولى أمير المؤمنين على عليه السلام الخلافة الظاهرية عقب رسول الله صلى الله عليه وآله لما كانت هنالك من مشكلته، لأنه كان سيواصل سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إلا أن الطامة الكبرى أن الإمام تولّاها حين اعتاد المسلمون أنواع التمييز على عهد الخليفة الثاني وأعظم منها على عهد عثمان وكان من الصعب عليهم للغاية تغيير ما اعتادوا عليه وكانت جلّ جهود الإمام تتركز على القضاء على تلك السياسات العنصرية، والسبب الرئيسي للحروب كالجمل وصفين إنما يقف وراءها أنصار التمييز العنصرى.

لا شك أن طلحة والزبير كانا من السابقين إلى الإسلام وكان لهما دور مهم في نصرته الدين، كما كانت لهما مواقفهما المعروفة في الدفاع عن النبي في أغلب الغزوات الإسلامية؛ إلا أن الانحراف عن المنهج النبوى الذى شهده عهد الخليفة الثانى والثالث وما رسدا من امتيازات خاصة لهذين وأمثالهما من بيت المال جعلهما يعتادان الابتزاز، ومن هنا تعالت أصواتهما منذ البداية حين وقف الإمام عليه السلام بحزم بوجه تلك الامتيازات، وعلى غرار الدهشة التى أصابت الناس فى العصر الجاهلى حين تبدلت الهتهم المتعددة إلى الإله الواحد القهار فقد اصيب هؤلاء بالذهول لتغير ذلك المنهج فاعتراضا على الإمام، لم لم يستشرهما، ولم يتوقعا هذه المشورة فى تقسيم أموال بيت المال، بل توقعاها فى توزيع المناصب والمقامات الحساسة، وبالتالي كانا يطمعان بحصّة ولم يصدقا أن الإمام بهذا الحزم سيعيد الامّة إلى منهج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله .

ولما طاشت احلامهما استعرت نيران الحقد فى قلوبهما واستحوذت عليهما الأفكار الشيطانية فأججا نيران الحروب التى احترقا بلهيبها. جدير بالذكر أن أموال بيت المال على نوعين؛ قسم منه كالزكاة الذى له عدّة مصارف ويمكن ترجيح البعض على البعض الآخر (بما يناسب جهودهم)؛ مثلا

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٥٨

«المؤلّفَةُ قُلُوبُهُمْ» و«العاملينَ عَلَيْهَا» أو القضاء وأمثالهم كان كلّ يتسلم سهماً من الزكاة بما يتناسب وموقعه وجهده، كما كان النبي صلى الله عليه وآله يميز بين المشاة والفرسان فى الغنائم؛ إلا أن قسماً مهماً من الدخل كالخراج الذى يؤخذ من الأراضى الخراجية [١٠٩] والتى تشكل مبالغ طائلة فلا بدّ من توزيعها بالسوية على المسلمين.

بالضبط كالشىء الموقوف على الأولاد والذين ينبغى أن يأخذوا منه بالتساوى كيفما كانوا وكالدعم الذى يدفع فى عصرنا من بيت المال الذى يتساوى فيه رئيس الجمهورية والإنسان العادى، وأدنى امتياز لشخص دون شخص مرفوض.

وقد شهد عصر الخليفة الأول، المنهج النبوى ومساواة الجميع؛ إلا أن التمييز بدأ منذ عهد عمر بشهادة التواريخ المعتمدة وبلغ ذروته على عهد عثمان واستمر ذلك ٢٢ سنة حتى أصبح هذا الفعل الشنيع بالتدرج سنّة.

ولترك الكلام هنا لابن أبى الحديد الذى بين خفياً مهمّة بالاستناد إلى التواريخ والروايات فكشف النقاب عن أغلب أسرار عصر الخلفاء وحكومة أمير المؤمنين على عليه السلام، فقد أورد شرحاً مسهباً هذه خلاصته:

«ثم بويج - الإمام على عليه السلام - وصعد المنبر فى اليوم الثانى من يوم البيعة، وهو يوم السبت، لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر محمد صلى الله عليه، ثم ذكر نعمة الله على أهل الإسلام، ثم ذكر الدنيا، فزهدهم فيها، وذكر الآخرة فرغبهم إليها، ثم قال:

أما بعد، فإنه قبض رسول الله صلى الله عليه ... ثم إلتفت عليه السلام يميناً وشمالاً، فقال: ألا يقولنّ رجال منكم غداً قد غرتهم الدنيا

فاتخذوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الزوقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فيقيمون ذلك،

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٥٩

ويستنكرون يقولون: حرمتنا ابن أبي طالب حقوقنا! ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإن الفضل النير غداً عند الله، وثوابه وأجره على الله، وأيما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتناً، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء، وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار، وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا، فإن عندنا ما لا نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم، عربى ولا عجمى، كان من أهل العطاء أو لم يكن، إلّا حضر، إذا كان مسلماً حراً، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، ثم نزل.

فلما كان من الغد، غدا الناس لقبض المال، فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه: إبدأ بالمهاجرين فنادهم، وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثن بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك. فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين، هذا غلامى بالأمس، وقد أعتقته اليوم، فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضل أحد على أحد، وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير، وعبدالله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، ورجال من قريش وغيرها.

قال: وسمع عبيد الله بن أبي رافع عبدالله بن الزبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيد: ما خفى علينا أمس كلام على، ما يريد؟ فقال سعيد بن العاص - والثفت إلى زيد بن ثابت: إياك أعنى وأسمعى يا جاره، فقال عبيد الله بن أبي رافع لسعيد وعبدالله بن الزبير: إن الله يقول فى كتابه: «ولكن أكثرهم للحق كارهون» [١١٠].

ثم إن عبيد الله بن أبي رافع أخبر علياً عليه السلام بذلك، فقال: «والله إن بقيت وسلمت

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦٠

لهم لأقيمهم على المحجة البيضاء، والطريق الواضح، قاتل الله ابن العاص! لقد عرف من كلامى ونظري إليه أمس أنى أريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك.

فقال، بينا الناس فى المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة، فجلسا ناحية عن على عليه السلام، ثم طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزبير، فجلسوا إليهما، ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم، فتحدثوا نجياً ساعة! ثم قام الوليد بن عقبه بن أبى معيط، فجاء إلى على عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن، إنك قد وترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت أبى يوم بدر صبراً، وخذلت أخى يوم الدار بالأمس، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر فى الحرب - وكان ثور قريش - وأما مروان فسخت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه، ونحن إخوتك ونظراؤك من بنى عبدمناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال فى أيام عثمان، وأن تقتل قتلتته، وإنا إن خفناك تركناك، فالتحقنا بالشام.

فقال: أما ما ذكرتم من وترى إياكم فالحق وتركم، وأما وضعى عنكم ما أصبتم فليس لى أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، أما قتلى قتله عثمان فلو لزمنى قتلهم اليوم لقتلتهم أمس، ولكن لكم على إن خفتمونى أن أومنكم وإن خفتمكم أن أسيركم.

فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم، فافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف، فلما ظهر ذلك من أمرهم، قال عمار بن ياسر لأصحابه، قوموا بنا إلى هؤلاء نفر من إخوانكم فإنه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم ما نكره من الخلاف والظعن على إمامهم، وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق - يعنى طلحة.

فقام أبو الهيثم وعمار وأيوب وسهل بن حنيف وجماعة منهم، فدخلوا على على عليه السلام، فقالوا: يا أمير المؤمنين، انظر فى أمرك



وعاتب قومك، هذا الحي من قريش، فإنهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، وقد دعونا في السر إلى رفضك، وهداك الله لرشدك! وذاك لأنهم كرهوا الاسوء، وفقدوا الأثرة، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦١

أنكروا واستشارك عدوك وعظموا الطلب بدم عثمان فرقه للجماعة، وتألفاً لأهل الضلالة، فرأيك.

فخرج على عليه السلام فدخل المسجد، وصعد المنبر مرتدياً بطاق، مؤتراً ببرد قطري، متقلداً سيفاً، متوكناً على قوس، فقال: أما بعد، فإننا نحمد الله ربنا وإلهنا وولينا، وولى النعم علينا، الذى أصبح نعمة علينا ظاهرة وباطنة، امتناناً منه بغير حول منا ولا قوة، ليلونا أنشكر أو نكفر، فمن شكر زاده ومن كفر عذبه، فأفضل الناس عند الله منزلة، وأقربهم من الله وسبيله أطوعهم لأمره وأعملهم لطاعته، وأتبعهم لسيئته رسوله، وأحياهم لكتابه، ليس لأحدٍ عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة الرسول، هذا كتاب الله بين أظهرنا، وعهد رسول الله وسيرته فينا، لا- يجهل ذلك إلا جاهل عاند عن الحق، منكر، قال الله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» [١١١].

ثم صاح بأعلى صوته، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإن الله لا يحب الكافرين.

ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار، أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين. ثم قال: أنا أبو الحسن - كان يقولها إذا غضب - ثم قال: ألا إن هذه الدنيا التي أصبحت تمنونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذى خلقتكم له، فلا تغرنكم فقد خذرتموها، واستتموا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله، والذل لحكمه، جل ثناؤه، فأما هذا الفى، فليس لأحدٍ على أحدٍ فيه أثره، وقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقرنا وله أسلمنا، عهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتول كيف

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦٢

شاء فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه.

ثم نزل عن المنبر، فصلّى ركعتين، ثم بعث بعمار بن ياسر، وعبدالرحمن بن حسل القرشى إلى طلحة والزبير، وهما فى ناحية المسجد، فأتياهما فدعواهما، فقاما حتى جلسا إليه عليه السلام، فقال لهما: نشدتكما الله، هل جئتماي طائعين للبيعة، ودعوتماي إليها، وأنا كاره لها!

قالا: نعم.

فقال عليه السلام: غير مجبرين ولا مقسورين، فأسلمتما لى بيعتكما وأعطيتماي عهدكما!

قالا: نعم.

قال: فما دعاكما بعد إلى ما أرى.

قالا: أعطيناك بيعتنا على ألا تقضى الأمور ولا تقطعها دوننا، أن تستشيرنا فى كل أمر ولا تستبد بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر، وتمضى الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال: لقد نعتما يسيراً! وأرجأتما كثيراً! فاستغفرا الله يغفر لكم، ألا تخبراني أدفعتكما عن حقٍ وجب لكم فظلمتكما إياه؟

قالا: معاذ الله!

قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسى بشيء؟

قالا: معاذ الله!

قال: أفوقع حكم أو حق لأحدٍ من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟

قالا: معاذ الله!

قال: فما الذي كرهتُما من أمرِي حَتَّى رَأَيْتُما خِلافِي؟

قالا: خلافتك عمر بن الخطاب في القسم، أنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦٣

وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، أخذناه قسراً قهراً، ممن لا يرى الإسلام إلّا كرهاً.

فقال: فأما ما ذكرتُما من الاستشارة لَكُما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبةً، وَلَكِن كُنتُما دَعَوْتُمُونِي إليها، وَجَعَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَخِفْتُ أَنْ أَرُدَّكُمْ فَتَخْتَلِفُ الْأَمِيَّةُ، فَلَمَّا أَفْضْتُ إِلَى نَظَرْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَّهُ رَسُولَهُ فَأَمْضَيْتُ مَا دَلَّنِي عَلَيْهِ وَأَتَّبَعْتُهُ، وَلَمْ أَحْتِجْ إِلَى آرَائِكُما فِيهِ، وَلَا رَأْيَ غَيْرِكُما، وَلَوْ وَقَعَ حُكْمٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بَيَانُهُ وَلَا فِي السُّنَّةِ بُرْهَانُهُ، وَاحْتِجَّ إِلَى الْمَشَاوِرَةِ فِيهِ لِشَاوِرْتُكُما فِيهِ، وَأَمَّا الْقِسْمُ وَالْأَسْوَدُ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ فِيهِ بِأَدَىءٍ بَدَأَ! قَدْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَحْكُمُ بِذَلِكَ، وَكِتَابُ اللَّهِ نَاطِقٌ بِهِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَأَمَّا قَوْلُكُما: جَعَلْتَ فِينَا وَمَا أَفَاءَ تَهُ سَيُوفِنَا وَرِمَاحُنَا سِوَا بَيْنِنَا وَبَيْنَ غَيْرِنَا، فَقَدِيمًا سَبَقَ الْإِسْلَامُ قَوْمَ وَنَصْرُوهُ بِسَيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ فَلَمْ يُفْضَلْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْقِسْمِ، وَلَا آثَرَهُمْ بِالسَّبِقِ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ مَوْفٍ السَّابِقِ وَالْمُجَاهِدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَالُهُمْ، وَلَيْسَ لَكُما وَاللَّهُ عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُما إِلَّا هَذَا، أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَاللَّهِمَّ وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ، ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، وَرَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا لِلْحَقِّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ.

ثم قال ابن أبي الحديد:

فإن قلت: فإنَّ أبا بكر قَسَمَ السَّوَاءَ، كَمَا قَسَمَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَنْكُرُوا ذَلِكَ، كَمَا أَنْكُرُوا أَيَّامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ؟

قلت: إنَّ أبا بكر قَسَمَ مُحْتَدِيًا لِقِسْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَمَّا وَلِيَ عَمْرَ الْخِلَافَةِ وَفَضَّلَ قَوْمًا عَلَى قَوْمٍ أَلْفُوا ذَلِكَ، وَنَسُوا تِلْكَ الْقِسْمَةَ الْأُولَى، وَطَالَتْ أَيَّامُ عَمْرٍ، وَأَشْرَبَتْ قُلُوبُهُمْ حَبَّ الْمَالِ... وَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ أَعْرَجَ الْأَمْرَ عَلَى مَا كَانَ عَمْرٌ يَجْرِيهِ، فَازْدَادَ وَثُوقُ الْقَوْمِ بِذَلِكَ، وَمَنْ أَلْفَ أَمْرًا شَقَّ عَلَيْهِ فِرَاقُهُ، وَتَغْيِيرُ الْعَادَةِ فِيهِ،

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦٤

فلما ولي أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يرد الأمر إلى ما كان في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر، وقد نسي ذلك ورفض، تخلل بين الزمانين اثنتان وعشرون سنة، فشق عليهم وأنكروه وأكبروه، حتى حدث ما حدث من نقض البيعة، ومفارقة الطاعة ولله أمر هو بالغه» [١١٢].

## ٢. مكانة المشورة

لا شك في أن المشورة من الأصول الإسلامية المسلمة ولدى عقلاء العالم والتي تشرك إلى العقل سائر العقول كما ورد في الخبر «مَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهُمْ فِي عُقُولِهِمْ» [١١٣] إلّا أنّ لها بعض الشروط والأركان إن لم تراعى فهي لا تفقد جدواها فحسب؛ بل تعطى أحياناً نتائج معكوسة، ومن ذلك أنّ المشورة لا بد أن تكون في الأمور التي تخضع للتردد والنفي والإثبات ولو أراد الناس التشاور في الأمور المسلمة والأحكام فلربما أدى ذلك إلى الريبة في أصل الأحكام الشرعية والوظائف العقلية المسلمة.

مثلاً لو أراد شخص المشورة في الحج أو الحجاب أو عرضها على الرأي العام فلربما انبرى من يقول: ما الضرورة لأن يرصد الناس في هذا العصر هذه الأموال الطائلة من أجل الذهاب إلى الحج أو إنَّ الحجاب في المجتمع المعاصر قيد مضروب على المرأة!

ولكن إن سلّمنا أنّ الحج أو الحجاب أمر شرعي مقبول لدى جميع المسلمين بل ضرورة دينية، يمكننا الجلوس في شوري كيف

يمكن أن يقام الحج وكيف يكون ارتداء الحجاب أفضل؟ ولا بدّ من الإذعان إلى أنّ بعض المشاكل التي أصابت المسلمين بسبب كونهم نسوا المكانة الحقيقية للمشورة.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦٥

وما أورده الإمام عليه السلام في هذه الخطبة نموذج واضح لهذا المطلب، وما كان ينشده طلحة والزبير انحراف عن هذا الأمر؛ فقد أراد المشورة في سنّة النبي في التسوية بأموال الخراج فرفض الإمام عليه السلام ذلك.

### ٣. طلحة وحلم الخلافة

يستفاد من مختلف المصادر التاريخية أن طلحة والزبير كانا يتطلعان إلى الخلافة منذ أمد بعيد يعود إلى عهد أبي بكر. ذكر الطبري المؤرّخ المعروف، طبق نقل ابن أبي الحديد في تاريخه أنّ طلحة كان يهيم بالخلافة حتى على عهد أبي بكر ويروم أن يجعلها فيه بشبهة أنّه ابن عمه، وسخط خلافة عمر فقال لأبي بكر: وليت علينا فظاً غليظاً، وكان له في أيام عمر قوم يجلسون إليه ويحدثونه سرّاً في معنى الخلافة ويقولون له: لو مات عمر لباعناك بغتة، فبلغ ذلك عمر فخطب وهددهم بالقتل. وذكر ابن أبي الحديد في موضع آخر: إنّ طلحة والزبير أشادا بعمر الذي ميّز المهاجرين والأنصار على سائر المسلمين (وأعطاهم سهماً أكثر من بيت المال).

وكان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين، الخروج في البلدان لأنه يرى أنّهم إن خرجوا التفتّ حولهم الناس وحصلوا على الأموال وفيهم من يضمم الفرقة ويروم خلع الربقة، قال الطبري طبق نقل ابن أبي الحديد: فملته قريش ذلك حتى أنّه لم يأذن لهم بالمعارك وقال لهم كفاكم ما أبلتكم في الغزوات مع رسول الله، فلتما ولي عثمان أجازهم، فخرجوا إلى البلاد وجمعوا الأموال، فكان ذلك أول وهن على الإسلام وأول فتنة كانت على العامة.

وقال ابن أبي الحديد: وكان عمر نقض هذا الرأي السديد بما فعله بعد طعن أبي لؤلؤة له من أمر الشورى، فإنّ ذلك كان سبب كلّ فتنة وقعت وتقع إلى أن تنفضى الدنيا [١١٤].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦٦

ويتضح من هذه السابقة التاريخية لماذا انزعج طلحة والزبير من خلافة علي عليه السلام في حين بذلا قصارى جهدهما من أجل تأليب الناس على قتل عثمان، على أمل أن يأتي الدور لطلحة، ولما منعهما علي عليه السلام المنصب والمقام (لأنّه يعلم أنّ ذلك مقدمة لتقسيم البلد الإسلامي) بل قطع امتيازاتهما من بيت المال وساوى بين المسلمين حذو النهج النبوي، تمردا عليه وتواطئا مع عائشة ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام، في اشعال فتيل حرب الجمل، وبعد تلك الهزيمة ومقتلهما أثار أتباعهما معركة صفين لتسلم بنى أمية بالتالي مقاليد العالم الإسلامي، ثم خلفهم بنو مروان الذين أثاروا ذلك الفساد العظيم.

ومن هنا يتضح أنّ مشكلة طلحة والزبير لم تكن المشورة بل حتى التسوية في العطاء كانت قضية فرعية؛ كانت مشكلتهما الطمع في الخلافة، وماسبق لم يكن سوى حجج وذرائع.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦٧

### الخطبة ٢٠٦

إشارة

وَقَدْ سَمِعَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَسُبُّونَ أَهْلَ الشَّامِ

نفحات الولاية ؛ ج ٨ ؛ ص ٦٧

أَيَّامَ حَرْبِهِمْ بِصَفِينِ [١١٥]

### نظرة إلى الخطبة

ورد في كتاب «مصادر نهج البلاغة» أن حجر بن عدى وعمرو بن الحمق وهما من أصحاب علي عليه السلام المعروفين كانا يستبان أهل الشام (في أيام صفين) فدعاهما الإمام ونهاهما، فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق؟ قال: بلى! قالوا: أليسوا على الباطل؟ قال: بلى! قالوا: فلم تنهانا عن سبهم؟ قال: إنني أكره لكما أن تكونا سبائين، وواصل كلامه فأراهم السبيل الفصل بالدعاء لهم إلى الهدى ووحدة المسلمين واطفاء نار الحرب، ويشير هذا الكلام إلى أن الإمام عليه السلام في الوقت الذي كان فيه حازماً إزاء العدو كان ينهى عن العنف الطائش الذي يعكس ضعف الشخصية.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٦٩

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَائِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُدْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ:

اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جِهَلِهِ، وَيَزْعُمِي عَنِ الْعُذْوَانِ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ.

### الشرح والتفسير: الدعاء بدل السب!

ما ورد في هذا الكلام درس أخلاقي واجتماعي عظيم يختزن آثاراً كثيرة وهو النهي عن سب العدو ولعنه الذي من شأنه إثارة غضبه وتعميق الكراهية.

وكما ذكر فإن الإمام قال ذلك لما سمع بعض أصحابه يسب أهل الشام أيام صفين فقال: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَائِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُدْرِ».

«سبب» تطلق على من يكثر السباب، وحقيقه «السب» تتضمن الإساءة للطرف المقابل؛ من قبيل مخاطبة المقابل بكلمة أحق، رذل وأمثال ذلك.

واللعن أحد مصاديق «السب» و«القذف» من مراحل «السب» الشديدة وعليه الحد في أغلب الموارد، قطعاً ليس مراد الإمام في هذا الكلام هذا النوع من السب، لأن القذف حرام ومن الكبائر وليس من المكروهات.

والإمام عليه السلام ينهى أصحابه في هذه الخطبة عن هذا الفعل وإن كان لهم الحق في

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٧٠

مخاطبة العدو بهذا الخطاب ويأمرهم بدلاً من ذلك بنقد أعمالهم القبيحة وصفاتهم الذميمة وإتمام الحجّة عليهم ولتكون أبلغ في التأثير كما تسلب العدو ذريعة المعاملة بالمثل، ولدينا الكثير بخصوص السب واللعن نتركه لمبحث التأملات.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه من خلال بيان المصداق الواضح ليعلمهم كيفية التعامل مع العدو في مثل هذه الحالات فقال: «وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ

جِهْلَهُ، وَيَزَعَوِي [١١٧] عَنِ النَّحْيِ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ [١١٨] بِهِ».

فالإمام عليه السلام أورد بهذه العبارة العميقة ثلاثة أدعية أو بعبارة أخرى كانت له ثلاث طلبات:

الأولى: إطفاء نار الحرب وحقن دماء الطرفين.

الثانى: إشاعة الصلح والسلام بالإضافة إلى وقف الحرب وأن يتحد المسلمون.

الثالثة: يبعد عنهم الضلال الذى أصابهم وحال دون بلوغهم الحق؛ فيتعرّف الجهل على الحقّ ويكفّ أهل الحق عن مناهضته.

وتكشف هذه الأدعية بجلال عن مدى سعة صدر الإمام عليه السلام ورأفته ورحمته حتى بأعدائه، ورغم كلّ تلك الجنايات التى

إرتكبوها بحقّ الإمام وأصحابه فلا ينطق بأدنى ما يكشف عن غضبه وانتقامه، وينهى حتى صحبه عن سبّ العدو والتعرض له.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٧١

### تأمل: السبّ واللعن

صرح أغلب أرباب اللغة بأنّ «السبّ» هو الشتم، واعتبر البعض، اللعن من مصاديقه [١١٩].

طبعاً لا ينبغى سبّ أى مؤمن أو لعنه، والأولى تركه حتى بالنسبة للكفار والمخالفين، ذلك لأنه ينطوى على أمرين سلبيين: الأول: إنّ

الطرف المقابل يعمد إلى المعاملة بالمثل فيسبّ إلى المقدّسات، لذلك ورد فى الآية ١٠٨ من سورة الأنعام: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ».

الآخر: أنّ هذا السبّ ربّما يثير المقابل فيصّر على كفره وضلاله ويزداد كفراً وضلالاً.

ولكن لهذه القاعدة كما لغيرها من القواعد الكلية استثناءات، ومن هنا ورد بعض السبّ للمخالفين، فى «نهج البلاغة» أو عبارات سائر

المعصومين عليهم السلام كما لعن البعض فى القرآن الكريم.

مضى فى الخطبة ١٩ من نهج البلاغة أنّ الإمام عليه السلام قال للأشعث بن قيس المناق الذى كَلّم الإمام بكلمات خارجة عن الأدب:

«عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ حَائِكُ ابْنِ حَائِكِ مُنَافِقُ بَنِي كَافِرٍ».

كذلك حين أسر مروان فى المعركة وجيء به إلى الإمام عليه السلام شفع له الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام

عند أبيهما فأطلقه الإمام عليه السلام، فقال الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام: يا أمير المؤمنين! يبايعك مروان؟ قال

الإمام عليه السلام: ألم يبايعنى بعد قتل عثمان لا حاجة لى ببيعته «إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ» [١٢٠].

ولكن سبّ المؤمن التقى يعدّ من الكبائر؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ

وَحُرْمَةٌ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ» [١٢١].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٧٢

وورد فى حديث آخر أنّ رجلاً قال للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله: أوصنى! فكان ممّا أوصاه النبى أن قال: «لَا تَسُبُّوا النَّاسَ فَتَكْسِبُوا

الْعِدَاوَةَ بَيْنَهُمْ» [١٢٢].

جدير ذكره أنّ أصحاب معاوية وإن كانوا من المنافقين والظلمة والمفسدين فإنّ الإمام عليه السلام نهى أصحابه عن سبّهم أيام صفين،

فالسبّ فى تلك الظروف العصبية ربّما كان يوسع دائرة الحرب.

أمّا بشأن اللعن فالذى يستفاد من آيات القرآن أنّ الله لعن البعض وأذن بلعنهم ولعن الشيطان فقال: «وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ

الدِّينِ» [١٢٣].

وقال فى المرتدين: «أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [١٢٤].

وقال فى الظلمة: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» [١٢٥].

وفى الناكثين وقاطعى الرحم والمفسدين فى الأرض: «أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» [١٢٦].

وفى الذين يكتمون الحق: «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» [١٢٧].

لا- شك فى أن اللعن فى اللغة بمعنى الطرد والإبعاد الذى يتم أحياناً بصيغته عملية وأخرى لفظية أو دعاء؛ كأن يقال مثلاً: «لعنة الله عليك».

من المسلم به أنه لا- يمكن لعن أى مؤمن؛ أمّا الكفار والمنافقون والذين يرتكبون الكبائر كالظلم والجور والفساد فى الأرض وأمثال ذلك إنما يستحقون اللعن، وعليه فلا يختص اللعن بالكفار والمنافقين.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٧٣

## الخطبة ٢٠٧

### إشارة

فى بعض أيام صَفِينِ وَقَدْ رَأَى الْحَسَنَ ابْنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
يَتَسَرَّعُ إِلَى الْحَرْبِ [١٢٨]

### نظرة إلى الخطبة

يختص هذا الكلام القصير لأمر المؤمنين على عليه السلام بحفظ الإمام الحسن والإمام الحسين من الأخطار ليدوم بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تحقق هذا المعنى فيتصل اليوم نسب الملايين بواسطة الإمام الحسن أو الإمام الحسين عليهما السلام بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأن هذه الجذور المباركة لتتعمق فى العالم كل يوم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٧٥

أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِينِي، فَإِنِّي أَنفَسُ بِهِذَيْنِ (يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) عَلَى الْمَوْتِ لِيَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

### الشرح والتفسير: حفظ نسل النبي صلى الله عليه وآله

أوصى الإمام عليه السلام صحبه بالإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام يوم صفين بغية الحفاظ على هدف مهم فقال: «أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِينِي» [١٢٩]، فَإِنِّي أَنفَسُ بِهِذَيْنِ (يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) عَلَى الْمَوْتِ لِيَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

التعبير «أملكوا» من مادة «ملك» تأكيد للحيلولة عن مسارعة الإمام الحسن عليه السلام لميدان القتال، لأن الإنسان إن ملك شيئاً صار تماماً تحت تصرفه وهذا أعظم تأكيد يمكن استعماله بشأن صد الشخص عن أمر، ومن هنا قال المرحوم السيد الرضى رحمه الله فى ختام هذا الكلام: «هذا من أعلى الكلام وأفصح».

العبارة «لا يهدنى» تأكيد آخر لهذا المعنى، كأنه عليه السلام يريد القول: لو قتل الحسن والحسين سيفنى وجودى.

وكى لا يتصور أن هذه التأكيدات من جانب الإمام عليه السلام تستند لمجرد عاطفة

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٧٦

الأبوة فقد بين عليه السلام: إني أنشد هدفاً عظيماً في أن يبقى نسل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في العالم عن طريقهما، وهذا بحد ذاته أحد أسباب ديمومة الإسلام.

\*\*\*

قال السيد الشريف: وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْعُلَامَ» مِنْ أَعْلَى الْكَلَامِ وَأَفْصَحِهِ. مراد السيد الرضى رحمه الله أن العبارة «أَمْلِكُوا عَنِّي» تأكيد بليغ ولطيف لهذا المعنى أن سارعوا واجتهدوا واحفظوا هذا الفتى، لأن الإنسان يبذل قصارى جهده للمحافظة على أملاكه، وهذه أبلغ عبارة في الحفظ والاستعادة.

### تأمل: شبهات وردود

١. لا شك في أن عمر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام آنذاك كان أكثر من ثلاثين سنة، حيث ولد في السنة الثالثة للهجرة وحادثه صفيان كانت سنة ٣٧ الهجرة، فلم التعبير عنه بالغلام؟ لا بد من الالتفات إلى هذه النقطة في الجواب أن هذه المفردة وإن اطلقت على الحد الفاصل بين الطفل والشاب؛ لكنّها تطلق كما صرح بعض أرباب اللغة [١٣١] على الكبار أيضاً. أضف إلى ذلك فإن الآباء يستعملون هذه المفردة على الأبناء في مختلف أعمارهم، كما تطلق العرب هذه المفردة على الخدم في مختلف سنّ أعمارهم.

على كل حال فإن إطلاق كلمة الغلام من قبل الإمام عليه السلام على ولده الإمام الحسن عليه السلام مطلب ليس بمستبعد.

٢. كان للإمام الحسن وكذلك الإمام الحسين عليهما السلام حسبما ذكر آنفاً أكثر من

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٧٧

ثلاثين سنة (فالفارق بينهم كان سنة أو أقل) وقطعاً كان لهما زوج وأولاد، فكيف يخشى الإمام انقطاع نسل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟

نقول في الجواب: كان المراد ليقيا وليبق أكثر عدد ممكن من نسل النبي، ذلك لأن نسل رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتعرض إلى مخاطر جديّة من عدّة جوانب.

٣. كيف ذهب الإمام عليه السلام إلى بقاء نسل النبي من خلال هذين الإمامين وذريتهما في حين تنسب العرب نسلها إلى ولدها وليس عن طريق البنت؟ وكلنا نعلم أن الحسن والحسين كانا ابني بنت النبي!

للإجابة عن هذا السؤال لا بد من القول إن هذا التفكير يعود إلى الجاهلية الذين لم يروا أى شأن للنساء ولا يعتبرون أبناء بناتهم أبناءهم فأنشدوا في ذلك:

بُنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ

لذلك حين نزلت آية المباهلة: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» [١٣٢] أجمع المفسرون على أن المفردة «أبناءنا» في هذه الآية الشريفة إشارة إلى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام و«نساءنا» فاطمة عليها السلام، وما أكثر الخطاب «يا ابن رسول الله» لأئمة أهل البيت عليهم السلام في الروايات.

وقد عدت الآية الشريفة ٨٥ من سورة الأنعام: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَ... عِيسَى» المسيح من ذرية إبراهيم عليه السلام، في حين ينتسب إليه من جانب امه (مريم).

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٧٩

## إشارة

قَالَ لَمَّا اضْطَرَبَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فِي أَمْرِ الْحُكُومَةِ [١٣٣]

## نظرة إلى الخطبة

جاء في كتاب «مصادر نهج البلاغة» في مناسبة هذا الكلام: لما رفع عمرو بن العاص ورهطه المصاحف على أسننه الرماح يوم صفيين لخداع جيش على عليه السلام، وبدت أعلام النصر والفتح ولم يبق على تحقيق النصر الكامل سوى بضع خطوات، انقسم أصحاب الإمام عدّة فئات؛ فئة اعتقدت بأن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة؛ بل يريدون حقاً الإحتكام إلى القرآن، وفئة عظيمة أخرى سئمت القتال ولا يرون في أنفسهم القدرة على مواصلته، وكان هذا الموضوع ذريعة لاعتزال القتال والخلود إلى الدعة، وفئة ثالثة كانت من المنافقين التي تكنّ البغض والعداء للإمام عليه السلام وكانت تنتظر الفرصة، فلما رأت المصاحف على الرماح حدّثوا أنفسهم بأن الفرصة قد سنحت للتخلي عن نصره على عليه السلام فارتفعت أصواتهم مطالبين بوقف القتال وفئة

نقعات الولاية، ج ٨، ص: ٨٠

قليلة هي التي أصرت على مواصلة القتال وكان في مقدمتهم مالك الأشتر الذي صرخ بهم، الويل لكم أتعزلون القتال وأوشكنا على النصر؟ أيها الجهال! ... ولكن الفئة التي اعتزلت القتال شتمته وهددته وصرخت «المصاحف المصاحف والرّجوع إليها لا نرى غير ذلك» وأجبرت الإمام عليه السلام على قبول التحكيم.

وهنا أورد الإمام عليه السلام هذا الكلام فقال ما ملخصه: كنتم تتبعونني وكنتم أميركم، أما الآن تريدون أن تكونوا أنتم الامراء وأنا المأمور، إنكم تريدون الحياة مهما كلف الأمر فكيف يسعني صدكم عن ذلك؟!

\*\*\*

نقعات الولاية، ج ٨، ص: ٨١

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحِبُّ، حَتَّى نَهَكْتُمْ الْحَزْبُ، وَقَدْ، وَاللَّهِ، أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ، وَهِيَ لَعْدُوكُمْ أَنْهَك. لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا، فَأَصَيْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا، فَأَصَيْبَحْتُ الْيَوْمَ مِنْهِيًا، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ.

## الشرح والتفسير: رفاق السلاح الجهال

أورد الإمام عليه السلام هذا الكلام حين أصرّ عليه أغلب جيشه وخلافاً لرغبته لعدّة أسباب على إيقاف القتال والتسليم للتحكيم، حيث يجيب في الواقع عن هذا السؤال: لماذا استسلمتم لمؤامرة عمرو بن العاص في رفع المصاحف على الرماح وقبلتم بالتحكيم، حيث قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحِبُّ، حَتَّى نَهَكْتُمْ الْحَزْبُ، وَاللَّهِ، أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ، وَهِيَ لَعْدُوكُمْ أَنْهَك».

هذا الكلام في الواقع إجابة للصامدين في القتال الذين يرون عاقبته النصر، إلا أنهم كانوا للأسف أقلية، فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه الكلمات إلى عذره في قبول مقترح وقف القتال والتحكيم إزاء تلك الأقلية من جانب، ومن جانب آخر إلى يقينه بضرورة مواصلة القتال حتى النصر إزاء تلك الأكثرية التي أتعبها القتال وأنّ كثرة



نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٨٢

القتلى لا تبرر الاستسلام لمطالب العدو اللامشروع.

ثم أوضح ذلك بالقول: «لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مِنْهِيًا، وَقَدْ أَحْبَبْتُمْ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ!».

وهذا أيضاً جواب لفئتين: الأقلية المطالبة بمواصلة القتال حتى النصر والمعتزضة على قبول التحكيم وإيقاف القتال الذي أوشك على تحقيق النصر، فقال: ما عساني أفعل وقد سلبت المبادرة وتعثرت الإمرة وعصيتم وتمردتم، والأكثرية التي استجابت لطلب العدو فخطبها أنها لم تستجب لذلك الطلب حرمة للقرآن، بل بسبب حبّ البقاء والتنصل من التضحية في سبيل الله (فتأمل).

### تأمل: التضحية بالفرصة الكبرى

رقة كلمات أمير المؤمنين عليه السلام إزاء معارضى مواصلة القتال تفيد مدى مرونته، والتي ربّما تثير هذا السؤال: لماذا لم يدع الإمام مالك الأشر ليواصل المعركة التي أشرفت على تحقيق النصر وإنقاذ المسلمين من شرّ بني أمية وأتباعهم؟ والجواب عن هذا السؤال يكمن في تاريخ صفين.

فقد أشرنا في الأبحاث السابقة إلى أنّ معارضى القتال لم يقتصروا على أولئك الذين خدعوا بحيلة عمرو بن العاص في تعليق المصاحف على أستة الرماح، بل هناك الفئة الخاوية الإرادة التي لم تكن مستعدة لمواصلة القتال، بالإضافة إلى المنافقين ومبغضى الإمام الذين رأوا الفرصة مؤاتية للاصطياد في الماء العكر، فاتحدوا جميعاً وأصروا على الإمام بإيقاف القتال.

قال ابن أبي الحديد: فأرسل إلى الأشر يأمره بالرجوع وترك الحرب، فأبى عليه فقال: كيف أرجع وقد لاحت إمارات الظفر! فقولوا له: «ليمهني ساعة واحدة»، ولم

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٨٣

يكن علم صورة الحال كيف قد وقعت، فلما عاد إليه الرسول بذلك، غضبوا ونفروا وشغبوا، وقالوا: أنفذت إلى الأشر سرّاً وباطناً، تأمره بالتصميم، وتنهاه عن الكفّ، وإن لم تعد الساعة، قتلناك كما قتلنا عثمان، فرجعت الرسل إلى الأشر فقالوا له:

أتحبّ أن تظفر بمكانك وأمير المؤمنين قد سئل عليه خمسون ألف سيف! فقال: ما الخبر؟ قالوا: إن الجيش بأسره قد أحدق به، وهو قاعد بينهم على الأرض، تحته نطع، وهو مطرق، والبارقة تلمع على رأسه، يقولون: لئن لم تعد الأشر قتلناك! قال:

ويحكم! فما سبب ذلك؟ قالوا: رفع المصاحف، قال: والله لقد ظننت حين رأيتهما رفعت أنها ستوقع فرقة وفتنة.

ثم كزّ راجعاً على عقبيه، فوجد أمير المؤمنين عليه السلام تحت الخطر، قد جعله أصحابه بين أمرين: إما أن يسلموه إلى معاوية، أو يقتلوه، ولا ناصر له منهم إلّا ولداه وابن عمه ونفر قليل لا يبلغون عشرة، فلما رآهم الأشر سبّهم وشتّمهم، وقال: ويحكم! أبعده الظفر والنصر صبّ عليكم الخذلان والفرقة! يا ضعاف الأحلام! يا أشباه النساء! يا سفهاء العقول! فشتّموه وسبّوه، وقهروه.

وقالوا: المصاحف المصاحف! والرجوع إليها، لا نرى غير ذلك! فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى التحكيم، دفعاً للمحذور الأعظم بارتكاب المحذور الأضعف، فلذلك قال: «كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا...» [١٣٥].

تفيد بعض القرائن والشواهد أنّ رفع المصاحف على الرماح كانت من صنع المنافقين وبعض الأفراد في جيش أمير المؤمنين على عليه السلام وطائفة من أهل الشام بقيادة عمرو بن العاص والأشعث بن قيس، الذين لا ييغون انتصار الإمام عليه السلام [١٣٦].

أوردنا بحثاً مطولاً بشأن التحكيم والذي يعتبر مكماً لهذا البحث فمن أراد المزيد فليراجع ذيل الخطبة ٣٥، الجزء الثاني، الصفحة ٣٦٤.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٨٥

## الخطبة ٢٠٩

## إشارة

بالبصرة، وَقَدْ دَخَلَ عَلَى الْعَلَاءِ بْنِ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ - وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ - يَعُودُهُ، فَلَمَّا رَأَى سَعَةَ دَارِهِ قَالَ: [١٣٧]

## نظرة إلى الخطبة

هذا الكلام كما ورد أعلاه إشارة لقصة عيادة على عليه السلام لأحد أصحابه في البصرة وهو علاء بن زياد الحارثي (رغم ما ذهب إليه أغلب شراح نهج البلاغة من أنه كان الربيع بن زياد وليس العلاء بن زياد) فقال عليه السلام ذلك لما رأى سعة داره فوعظه وسائر الناس ممن على غراره بموعظة بليغة ويتضمن هذا الكلام ثلاثة أقسام:

الأول: أنها موعظة حية للعلاء بن زياد.

الثاني: وعظ ونصح عميق لأخيه، أي عاصم بن زياد الذي عاش حياة على العكس تماماً من أخيه وكان يعيش حياة متقشفة.

الثالث: اجابه عن أسئلة عاصم بن زياد بشأن معيشة الإمام.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٨٧

## القسم الأول

## إشارة

مَا كُنْتُ تَصِيْبُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتُ أَحْوَجُ؟ وَبَلَى إِنَّ شِئْتُمْ بَلَّغَتْ بِهَا الْآخِرَةَ: تَقْرَى فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتَطْلُعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَّغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ.

## الشرح والتفسير: الدار الواسعة

رغم أن هذا الكلام ورد في قضية شخصية بشأن اثنين من أصحاب الإمام عليه السلام لكنه في الواقع مبدأ كلي وخطأ عامه في ضرورة الاعتدال في الاستعانة بالوسائل المعاشية، والأمة الإسلامية طيلة التاريخ مشمولة بهذا الخطاب، فالإمام لما شاهد دار العلاء بن زياد الواسعة الفارهة والمؤثثة بالتأكد وبخه بادئ الأمر ثم نصحه مشفقاً فقال: «مَا كُنْتُ [١٣٨] تَصِيْبُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتُ أَحْوَجُ؟».

اعتاد الناس حين يعودون مريضاً على قول ما من شأنه إراحته والتخفيف عنه، إلا أن معلماً ربانياً كعلى عليه السلام حين يرى صاحبه طريح الفراش الذي ربما لا يعاود النهوض منه لا بد أن يوقظه ويشده إلى مصيره ويريه سبيل السعادة ويجرعه مرارة النصح المصحوب بالعتاب، عله يتمثل للشفاء الحقيقي، ثم أراه أسلوب استغلال تلك الثروة الهائلة لنيل سعادة الآخرة فقال: «وَبَلَى إِنَّ شِئْتُمْ بَلَّغَتْ بِهَا الْآخِرَةَ».

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٨٨

تَقْرَى [١٣٩] فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتَطْلُعُ [١٤٠] مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَّغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ».

فقد أشار عليه السلام إلى حقيقة هي أن المال والثروة ليست مذمومة أو تتعارض مع القيم، بل المهم كيفية إنفاقها، فهي مذمومة إن

أدت إلى الفخر والتكاثف والاحتكار.

لكنها تعتبر رصيد الآخرة إن وضع قسم منها تحت تصرف المعوزين والقراة والأصحاب، ومن هنا ذكر المال بصفة «خير» في القرآن: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ» [١٤١].

جاء في الخبر أن شخصاً ذم الأغنياء عند الإمام الصادق عليه السلام وأساء لهم فقال عليه السلام: «أَسِيْكُتْ فَإِنَّ الْغَنَى إِذَا كَانَ وَصُولًا لِرَحْمِهِ، بَارًا بِإِخْوَانِهِ أَضْعَفَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْأَجْرَ صِغْفِيرًا لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ امْنُونَ» [١٤٢].  
وعليه فإن المال من شأنه أن يكون أفضل وسيلة للسعادة إن استغل بصورة صحيحة، كما يمكن أن يكون وسيلة للبؤس والشقاء إن اقترن بالبخل والإسراف والاحتكار.

### تأمل: الدار الواسعة في الروايات

يستفاد من عدة روايات أن إحدى علامات سعادة الإنسان، الدار الواسعة «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ» [١٤٣].

ووردت في ذلك الباب من «الكافي» سبع روايات بهذا المضمون أو ما يقرب منه

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٨٩

عن المعصومين عليهم السلام، وأورد المرحوم العلامة المجلسي في الجزء ٧٣ من «بحار الأنوار» عدة روايات بهذا الخصوص منها ما روى عن الإمام الرضا عليه السلام أنه اشترى داراً لأحد أصحابه وأشار عليه بالانتقال إليه كون داره صغيرة، فقال: إن والده اشترى تلك الدار (وأنا اتبعه) فقال عليه السلام: «إِنَّ أَبَاكَ كَانَ جَاهِلًا فَهَلْ تَكُونُ كَأبيكَ» [١٤٤].

طبعاً هذه الروايات لا تعني أن يتجاوز الإنسان حالة الاعتدال ويقبل على الإسراف، بل تشير إلى ضرورة عدم قناعة الإنسان بالدار الضيقة والصغيرة ذريعه لترك صلة الرحم وعدم استقبال الضيوف. يقال: إن قصدنا دار الأرحام فسيأتون إلى دارنا وهي صغيرة، ومن هنا يتحفظون عن استقبال الضيف أساس الخير والبركة، وإن أحد أسباب شيوع ثقافة الدور الصغيرة في عصرنا بغض النظر عن المشاكل المادية يتمثل في هيمنة الثقافة الغربية الخالية من العواطف الإنسانيّة والتي لا تقيم وزناً لصلة الرحم ولا إقراء الضيف.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٩١

### القسم الثاني

#### إشارة

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال:

وَمَا لَهُ؟ قَالَ: لِبِسِ الْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا. قَالَ: عَلَيَّ بِهِ. فَلَمَّا جَاءَ قَالَ:

يَا عُمَيْدِي نَفْسِي! لَقَدْ اسْتَيْهَامَ بِكَ الْخَيْثُ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ! أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَيَّ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ!

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في حُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُشُونَةِ مَا كَلِمِكَ!

قال: وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيَّ أَنْ يَقْدُرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ، كَيْلًا يَتَّبِعُ بِالْفَقِيرِ فَقْرَهُ!

### الشرح والتفسير: ذم الهروب من الدنيا

لما وعظ الإمام عليه السلام العلاء بن زياد، عرض العلاء قضية أخيه الذي اختار طريقاً مغايراً له، «فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال:

وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا. قال: عليّ به». «فلَمَّا جَاءَ قَالَ: يَا عُيْدَى نَفْسِهِ! لَقَدِ اسْتَهَامَ [١٤٥] بِسُكِّ الْخَبِيثِ! أَمَّا رَحِمَتْ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ!».

«عديّ» تصغير «عدوّ» وأراد الإمام عليه السلام بهذه الوسيلة أن يحفزّه لخروجه من مسار الاعتدال من جهةً ويعتبر عمله عدواناً على نفسه من جهةٍ أخرى، ثم يتعرض لهذه القضية فيبين له أن أعمالك إنّما تنطلق من وساوس الشيطان بالاضافة إلى نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٩٢

هوى النفس والتي تؤدي إلى نوع من الازدواجية والارباك في المعيشة.

ثم ذكره عليه السلام بأنك تظلم أهل بيتك فضلاً عن نفسك دون حجة أو دليل، والسبب وراء كلّ هذا التفرغ المكرر رفض الإسلام للرهبة ونسيان الدنيا بهذا الشكل والاقبال على العبادة ولا يرى ذلك سوى انحراف عن جادة الصواب كما سيرد تفصيل ذلك. ثم قال: «أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ!».

هذا الكلام في الواقع إشارة إلى دليل لطيف وهو: أنك اعتمدت طريقة ظاناً استنادها لأمر الله، في حين أحلّ القرآن صراحة الطيبات والثياب الطاهرة والأطعمة للجميع «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [١٤٦].

الجملة «أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ!» ربّما إشارة إلى أنّ هؤلاء الأفراد الذين يعيشون حياة خاصة ويعتزلون المجتمع الإسلامي، يرون أنّهم مميزون للغاية ويظنون أنّ الاعتزال والإرتياض يميزهم عن الآخرين وكأنّ الله شرع منهاجاً خاصاً، إنّك أهون على الله. أراد عاصم أن يبرر وضعه: «قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنّت في خُشُونِهِ مَلْبَسِكِ وَجُشُونِهِ» [١٤٧] ما كلّك!».

فردّ عليه الإمام عليه السلام قائلاً: «وَيُحَكِّكُ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أُمَّةِ الْعِدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفِ النَّاسِ، كَيْلًا يَتَّبِعُ [١٤٨] بِالْفَقِيرِ فَقْرَهُ!».

وعلى ضوء هذا المنطق فإنّ عامة الناس أحرار في التمتع بلذات الحياة باعتدال

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٩٣

وبعيداً عن الإسراف والتبذير، أمّا أنّمة الدين فلا بدّ أن يقنعوا بالحياة المتواضعة على غرار ضعفاء المجتمع ليواسوا الطبقات الفقيرة والمحرومة كيلا يشعروا بالهم والأسى.

قال ابن أبي الحديد: فما قام على عليه السلام حتى نزع عاصم العباءة، ولبس ملاءة.

وأكد ابن أبي الحديد أنّ موضوع البحث الأصلي لم يكن العلاء بن زياد، بل شخص معروف هو الربيع بن زياد، والربيع بن زياد هو الذي افتتح بعض خراسان، وفيه قال عمر: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميراً فكأنه ليس بأمير، وإذا كان في القوم ليس بأمير فكأنه الأمير بعينه! وكان خيراً متواضعاً، وهو صاحب الوقعة مع عمر لما أحضر العمال فتوحش له الربيع، وتقشف وأكل معه الجشب من الطعام، فأقره على عمله، وصرف الباقي، وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم.

وكتب زياد بن أبيه إلى الربيع بن زياد، وهو على قطعة من خراسان: أنّ أمير المؤمنين معاوية كتب إليّ يأمرك أن تحرز الصفراء والبيضاء وتقسم الخرثي وما أشبهه على أهل الحرب.

فقال له الربيع: إنّني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين (يعني لابن زياد من تقسيم الغنائم مثل رسول الله وعلية)، ثم نادى في الناس: أن اغدوا على غنائمكم، فأخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين، ثم دعا الله أن يميته، فما جمع حتى مات يوم الجمعة [١٤٩].

## تأملات

## ١. ذم عموم الافراط والتفريط

الائمة الإسلامية أمة معتدلة والمسلمون أتباع الإسلام والقرآن بعيدون عن مطلق الافراط والتفريط: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» [١٥٠].

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٩٤

لكن المؤسف أن بعض الجهال أو المغرضين والمعارضين للإسلام يعتمدون الافراط والتفريط ويسعون أحياناً لمنحه صيغته إسلامية. والبعض وعلى ضوء أن الإسلام أباح الطيبات، فقد أقبل على الكماليات، ويستدل أحياناً بحياة سليمان وفخامته ملكه التي تحدث عنها القرآن.

والبعض الآخر سلك سبيل التفريط فأغلق الأبواب بوجهه وآثر العزلة والتوقع وحرم على نفسه الطيبات المحللة، وقد ابتعد الفريقان عن الصراط المستقيم حيث صرح القرآن بأن علماء بني اسرائيل قالوا لقارون: «وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ» [١٥١].

والحق لو إمتثل قارون وأمثاله هذه المواعظ الاربعة ولم ينس نصيبه من الدنيا وجعل رصيده المادى وسيلة لنيل سعادة الآخرة وهب لمعونه المستضعفين بدل الافساد فى الأرض، لما طاله قط الغضب الربانى.

وفى حديث معروف عن الباقر عليه السلام قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ» [١٥٢].

## ٢. التصوف ونتائجه

اعتقد بأن بعض الأفراد فى اليونان والهند منذ آلاف السنين أنه بإمكانهم الإتيان بالخوارق أو نيل المراتب المعنوية من خلال الإرتياض والتشدد على النفس فى المملذات والأطعمة والأشربة والملبس، كونهم يعتقدون أن ترك اللذة سبب قوة النفس وقدرتها. وحين انتشر الإسلام تسلمت إليه هذه الأفكار من سائر البلدان فخلطه البعض بالزهد وبعض التعاليم الإسلامية فحملوا الدين أفكاراً منحرفة وشاذة كانت نتيجتها

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٩٥

«التصوف» ولعل الاسم يعود إلى أنهم لبسوا فى البداية الثياب الصوفية الخشنة، رغم ما يزعمه بعض المتصوفة من أن مادة هذه المفردة هى الصفاء «صفاء النفس» والحال ليس هنالك أدنى صلة بين هذين اللفظين، فأحدهما أجوف واوى والآخر ناقص واوى، كما وقع فى هذا الخطأ من ذهب إلى أنها مشتقة من مفردة «أصحاب الصفة» فصفة من مادة صفف «يعنى مضاعف» وصوفى من مادة «صوف» وعليه فهذه المفردة لا تعنى سوى لبس الصوف قطعاً.

على كل حال، لهذه الفرقة زعامات يطلق عليهم القطب والشيخ والمرشد وأمثال ذلك ويدعون أن لهم كرامات، وقد انقسموا فئات لكل فئة طريقتها واسلوبها على أثر الاختلافات الداخلية وأهواء الأقطاب، فهذه الفرقة تنظر إلى الأحكام الدينية التى تصطلح عليها بالشريفة أنها قابلة للتوجيه والتغيير، والمحور هو السير الباطنى الذى يسمونه (الطريقة)، ومن هنا فهى ترتكب العديد من الذنوب وتفصح المجال لاتباعها لانتهاك الأحكام الشرعية، بعبارة أخرى، تؤمن بأن الشريعة قشر والطريقة لب، والحقيقة «لب اللب».

وعلى هذا الأساس فهى تستقطب الفاسدين والمفسدين والمتهتكين من الأفراد وتعقد حفلات الرقص وتناول المخدرات، وتصبر من الناحية العقائدية على «وحدة الوجود» بمعنى «وحدة الوجود» فيدعى أغلب زعمائها بين الفينة والأخرى اتحاده الوجودى بالله،

ويصطلحون على هذا الكلام الهجين بالشطحيات، يبدو أن هذه الفرقة ظهرت بالتدريج بين المسلمين منذ القرن الهجري الثاني فأنكر عليها ذلك بشدة أئمة أهل البيت عليهم السلام وحذروا المسلمين منهم وربما شدة تقريع الإمام عليه السلام لعمل عاصم بن زياد رؤيته عليه السلام أن ذلك مقدمه لظهور تلك الفئة في المستقبل.

ورد أن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام سأله: ما تقول في الصوفية التي ظهرت في زماننا، قال:

«إِنَّهُمْ أَعْدَاؤُنَا فَمَنْ مَالَ إِلَيْهِمْ فَهُوَ مِنْهُمْ وَيُحْشَرُ مَعَهُمْ وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَدْعُونَ

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٩٦

حُبْنَا وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِمْ، وَيَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ وَيُلَقَّبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِلِقْبِهِمْ، وَيَأْوِلُونَ أَقْوَامَهُمْ أَلَا فَمَنْ مَالَ إِلَيْهِمْ فَلَيْسَ مِنَّا وَإِنَّا مِنْهُ بَرَاءٌ وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ كَانَ كَمَنْ جَاهَدَ الْكُفَّارَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» [١٥٣].

وروى البنزطي وإسماعيل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «مَنْ ذَكَرَ عِنْدَهُ الصُّوفِيَّةَ وَلَمْ يُنْكِرْهُمْ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ فَكَأَنَّمَا جَاهَدَ الْكُفَّارَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ» [١٥٤].

تنطوي جميع الفرق الصوفية على انحرافات في القضايا العقائدية والفقهية والأخلاقية نوجز بعضها:

١. حيث يرون أنهم أهل الطريقة يعتقدون بأن الطريقة الكامنة في مسار الحقيقة وأحكام الشريعة مقدمة في الوصول إلى الطريقة والحقيقة، ولا يولون أهمية للمسائل الشرعية ويتخلون عن أكثرها من خلال بعض الحجج والاعذار الواهية.

٢. الوقوع غالباً في مطب التفسير بالرأى للكتاب والسنة فيحملون الكتاب والسنة آراءهم ويجيزون لأتباعهم مقارفة بعض الذنوب.

٣. يؤمنون بلزوم طاعة القطب والمرشد وينسبون لأقطابهم العديد من الكرامات الموضوعية التي تفوق أحياناً معاجز الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ومن هنا ينتهي بعض أتباعهم إلى الشرك فيرى القطب والمرشد كالمعبود فيعبده.

٤. ابتدعوا الكثير في الدين ولكل فرقة بدعتها من قبيل كيفية مجالس الأذكار والأوراد وسائر المجالس ومن هنا قلما يحضرون المساجد، فقد أقاموا لهم مراكز عبادية ليكونوا أحراراً في الإتيان بأعمالهم.

٥. يؤمن أغلبهم بالتعددية وكل دين سبيل إلى الله ولا يرون كساد متاع الكفر والدين.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٩٧

٦. من أهم انحرافاتهم، الإيمان بوحدة الوجود بمعنى وحدة الموجود، حيث يرون مجموعة موجودات العالم شيئاً والله عين ذلك الشيء ومن هنا يرون عبادة الأصنام نوعاً من عبادة الله شريطة عدم تحديد الله في ذلك الصنم.

وقد ألفت عدة كتب من قبل الأعلام والمحققين بشأن انحرافاتهم، وما ورد آنفاً مجرد إشارة [١٥٥].

القضية الأخرى الجديرة بالذكر أن التصوف باهت في وسط اتباع أهل البيت عليهم السلام وواسع للغاية في وسط أبناء العامة وينشط العديد من فئات هذه الفرقة وبعقائد مختلفة في البلدان الإسلامية.

والعنصر الرئيسي في هذا الفارق، الإيمان بولاية أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإيمان بوجود المهدي عليه السلام.

وهناك جذور تاريخية واجتماعية مختلفة للتصوف واعتناقه ومنها:

١. هوّل خلفاء بني العباس قضية التصوف بهدف صرف الأنظار عن أهل البيت عليهم السلام الذين يرونهم منافسيهم الحقيقيين للتقليل من أهمية زهد أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم من خلال أدعاء الصوفية وحيث إن الصوفية تؤمن بالسير الباطني فهي لا تهدد دنيا المتهافتين عليها، كما حظيت بدعم السياسات المستبدة في عصرنا، كونها تمنع اتباعها من التدخل في السياسة وتبعد الطريق للاستعمار والاستبداد.

٢. الوصول إلى المقامات العرفانية الصوفية - على العكس من بلوغ المقامات العلمية والفقهية كما يعتقدون بأن من ارتاض أربعين يوماً وداوم على قراءة بعض الأوراد وإن كان امياً ربماً يتحوّل إلى ولي من أولياء الله وينال مقامات رفيعة، بينما لا تكفي أحياناً أربعين سنة

من الجهد لبلوغ المقامات العلمية الرفيعة.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٩٨

٣. بما أنهم ينظرون إلى الشريعة كوسيلة بسيطة ويفسحون المجال عملياً لاتباعهم لمخالفه بعض الأحكام الشرعية فإن أغلب الآثمين والمذنبين والساسة المحترفين الظلمة يتعاطفون معهم بغير حساب، أي أنهم يواصلون ظلمهم وإثمهم، كما يشبعون بصورة كاذبة حسهم الديني، بعبارة أخرى أن تساهلهم في أمور الدين وتركهم أي حزم يؤدي إلى التحاق الأفراد بهم.

قال أحد الفضلاء: لما القى القبض على في عهد النظام المباد وحملت إلى رئيس جهاز السافاك في طهران قال لي: سمعت أنك رجل متدين وعالم، لكن قطعاً لست أقل منك تديناً فأنا درويش وألهج بذكر علي ويعطيني كل ما سألته، مع ذلك لا أطيع تحمل معارضة الشاه ولا أتردد في قتل مليون شخص دفاعاً عنه.

ثم قال ذلك الفاضل: أدركت أن التصوف والدروشه تبيح حتى قتل مليون بريء دفاعاً عن الظالمين.

### ٣. الانتفاع بالطيبات

يعتقد البعض أن الزهد يناقض الانتفاع بالنعم الدنيوية وأن الإسلام يعتبر التشدد على النفس والإرتياض وهجران لذات الدنيا حسناً، والحال ليس الأمر كذلك، وكما أشرنا سابقاً فقد قال تعالى في القرآن: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [١٥٦].

وقال تعالى في موضع آخر شارحاً أهداف البعثة النبوية وتعاليمها: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [١٥٧].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٩٩

وهناك العديد من الآيات والروايات التي لا يسمح المقام ذكرها، لكن لا بأس بذكر موردين:

أحدهما: ما ورد في هذه الخطبة من ضرورة عيش أئمة العدل المعيشة المتواضعة ومواساة الطبقات الاجتماعية المحرومة بغية ذكرها والعمل على إزالة حرمانها إلى جانب كونها تضامن مع هذه الطبقات.

والآخر: ضرورة القناعة بالقليل وبذل الكثير لإنقاذ المحرومين حين يتعرضون لبعض الأزمات الاجتماعية ويعانون من الضغوط. وزبدة الكلام الذي يفهم من الروايات أن الانتفاع بنعم الله ضمن الحدود المعقولة والبعيدة عن الإسراف والتبذير ليس مذموماً وتركها لا يعد فضيلاً وإن كان تواضع العيش سيما حين فقر البعض وكذلك بالنسبة لأئمة العدل وزعماء المسلمين يعتبر فضيلاً.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٠١

### الخطبة ٢١٠

#### إشارة

وَقَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ عَنْ أَحَادِيثِ الْبِدْعِ، وَعَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ

من اختلف الخبر، فقال عليه السلام: [١٥٨]

### نظرة إلى الخطبة

تشتمل هذه الخطبة التي تتحدث عن أقسام الحديث والرواة على ثلاثة أقسام: القسم الأول: خاض فيه الإمام عليه السلام ببيان أقسام الأحاديث التي في أيدي الناس، وقال بينها حق وباطل وناسخ ومنسوخ و... ثم أشار إلى عقاب وضاع الأحاديث وبشرهم بنار جهنم على ضوء الحديث النبوي الشريف. وذكر في القسم الثاني صفات رواة الحديث فصنفهم أربعة أصناف: المنافقين والخاطئين والجاهلين والحفظة الصادقين. وخاض في القسم الثالث والأخير في بعض خصائص أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأشار

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٠٢

إلى كيفية فهمها، واختتمها بالإشارة إلى وعيه التام لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله، جدير ذكره أنه ورد في «الكافي» بشأن هذه الخطبة:

عن سليم بن قيس الهلالي قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفوهم فيها، وتزعمون أن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين ويفسرون القرآن بأرائهم؟ قال: فأقبل عليّ وقال: قد سألت فافهم الجواب، وذكر الخطبة عن عليه السلام مع شيء من الإضافات [١٥٩].

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٠٣

### القسم الأول

#### إشارة

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكُذْبًا، وَنَاسِيحًا وَمَنْسُوحًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا وَوَهْمًا، وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيَّ عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيْبًا، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

### الشرح والتفسير: نقد الروايات

منعت الخلافة عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله لمدة طويلة (أكثر من ١٠٠ سنة) تدوين السنة لأسباب سترت في محلها، مع ذلك كانت الألسن تتناقل أخبار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فكانت تنسب له صلى الله عليه وآله بعض الأخبار المتناقضة، واستغل المنافقون والأعداء الخفيون والظاهرون تلك الظروف الذهبية فحاكوا بعض الأكاذيب لصالحهم أو لصالح زعمائهم ونسبوا للنبي صلى الله عليه وآله، وإن قام البعض في القرون اللاحقة لتهذيب الأخبار ووضع معايير الصدق والكذب فانتعش تأليف كتب الحديث والرجال، لكن كما قيل فإن منع الكتابة حال دون تدوين الأحاديث.

فقد بين عليه السلام بعبارة قصيرة بليغة وعلى وجه الدقة منع اختلاف الأخبار ليجز به أمره فقال: «إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكُذْبًا، وَنَاسِيحًا وَمَنْسُوحًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا وَوَهْمًا».

فأشار عليه السلام أولاً إلى السبب الأصلي المتمثل بوجود الحق والباطل التي ربما تشير إلى عقيدة الحق والباطل، فأهل الحق يتبعون



أحاديث الحق وأهل الباطل يروجون للباطل.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٠٤

والصدق والكذب الذي يمثل نوعاً آخر للحق والباطل بلباس القول هو عامل آخر.

فالكاذوبون وضعوا عمداً بعض الأخبار المختلفة ونسبوا للنبي صلى الله عليه وآله وكانوا يتلقون أحياناً أموالاً باهضة من الحكام مثل معاوية وهو السبب الثاني، والسبب الثالث الناسخ والمنسوخ، فالبعض سمع حكم المنسوخ فقط ورواه والبعض الآخر سمع الناسخ ورواه.

والسبب الرابع العام والخاص مثلاً سمع البعض أن الله أحل للناس المعاملات لكنه لم يسمع الحكم الخاص، أي بعض الاستثناءات، والبعض الآخر روى الاستثناء والذي يتناقض ظاهرياً مع الخبر العام.

المحكم والمتشابه هو السبب الخامس: فبعض الأخبار مثل بعض آيات القرآن تتحمل عدّة وجوه في التفسير ثم ترد لاحقاً بعض الأخبار وتزيل الابهام، وعدم اطلاع الرواة على الحالتين أدى إلى الاختلاف في الرواية.

السبب السادس: الحفظ والوهم فبعض الرواة روى حديث النبي صلى الله عليه وآله بدقة تامّة، بينما رواها البعض الآخر على أساس الظن والوهم الذي لا يطابق الواقع، هذه هي الأسباب التي تشابكت مع بعضها وعكرت أجواء الروايات الإسلاميّة، ثم بدأت هذه الأجواء تظهر في ظل جهود علماء الحديث والرجال وإن ترسبت بعض الروايات الموضوعه.

ثم خاض عليه السلام في ذكر دليل واضح على كلامه فقال: «وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيَّ عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيْبًا، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا [١٦٠] مَقْعَدَهُ [١٦١] مِنَ النَّارِ»».

ورد في حديث آخر أنه صلى الله عليه وآله قال: «قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكُذَابَةُ وَسَتَكُثُرُ بَعْدِي أَلْفَمَنْ

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٠٥

كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» [١٦٢].

وقد ورد هذا الحديث في مصادر العامّة، ومنها «مستدرک الحاكم» و«سنن ابن ماجه» مع اختلاف طفيف [١٦٣].

وأكد أغلب الشراح أن هذا الحديث يجعلنا نوقن بالكذب على النبي صلى الله عليه وآله لأنّ هذا الحديث إن صدق فمعناه كثرة الكذب على النبي صلى الله عليه وآله حتى خطب المسلمين واعداء الوضاعين بنار جهنم، وإن كان الحديث كاذباً فعلى الأقل أن هذا من الكذب الذي نسب للنبي صلى الله عليه وآله.

على كلّ حال، ممّا لا شك فيه أن بعض المنافقين والأعداء شهدوا عصر النبي صلى الله عليه وآله وقد أشار إليهم القرآن في عدّة سور، وقد اشتد خط النفاق عقب رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله؛ حيث كان هؤلاء أحد أسباب وضع الأحاديث، وطائفه أخرى خاضت في الوضع لجهلها بالناسخ والمنسوخ وعدم تمييزها بين المحكم والمتشابه والعام والخاص وهذا ما عكر صفو الأحاديث، واضطر علماء الحديث والرجال لبذل جهودهم ليعينوا معايير الحديث ويميزوا الصحيح من السقيم، وهذا ما سنشير له في ختام الخطبة.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٠٧

## القسم الثاني

### إشارة

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَصَيِّعٌ بِالإِسْلَامِ، لَا يَتَأْتَمُّ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ

مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصِدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَاهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِيَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

### الشرح والتفسير: وضع المنافقين للحديث

كان ما مضى إشارة إجمالية عميقة المعنى لمختلف العناصر التي تقف وراء اختلاف وتعارض أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، وقد خاض الإمام عليه السلام هنا في شرح ذلك الكلام فقسّم الرواة إلى أربعة أصناف وشخص موقف كل صنف بصورة دقيقة. والواقع أنّ الإمام عليه السلام اعتمد في هذه الخطبة أحد فنون الفصاحة والبلاغة الذي يتمثل في أسلوب الإجمال والتفصيل والذي ورد كراراً في القرآن ليضع مخاطبيه بدقّة في واقع الحدث، حيث خاطب عليه السلام السائل الذي استهل به الخطبة - وإن كان الخطاب للجميع - فقال: «وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ حَامِسٌ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٠٨

ثم تحدث الإمام عليه السلام عن الطائفة الاولى بصفتها العامل الأصلي للاختلاف فقال:

«رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَّصِعٌ [١٦٤] بِالإِسْلَامِ، لَا يَتَأْتِمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ [١٦٥]، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَّعَمِدًا».

هَبّ الأعداء لمواجهة الإسلام علانية حين لم يكن يتمتع بالقدرة الكافية غير أنّهم هزموا بعد فتح مكة وسيطرة الإسلام، فارتدوا - كسائر المجتمعات البشرية - ثياب النفاق فالتحقوا ظاهرياً بصوف المسلمين وانهمكوا باطنياً بأعمالهم التخريبية، وكانت إحدى طرقهم التخريبية المهمة أن يكسوا أهدافهم ثياب أحاديث النبي صلى الله عليه وآله ليحرفوا المسلمين ويحققوا اغراضهم، وكان المسلمون - الذين يثقون بالمقابل - يسمعون كلامهم كونهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله فعاش المجتمع الإسلامي مشكلة كبرى - ولحسن الحظ فقد أفرط هؤلاء في وضع الروايات لصالح الحكام الظلمة كمعاوية إلى درجة جعلت أغلب الناس يقفون على دجلهم وستابع في مبحث التأمّلات بعض النماذج.

ثم قال عليه السلام: «فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصِدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَاهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِيَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ».

يبدو أنّ أحد أساليب المنافقين أنّهم اسبغوا قدسيّة على الصحابة وأنهم جميعاً مؤمنون صلحاء ومقدسون لينفذوا من ذلك لتحقيق مآربهم (وستعرض لذلك إن شاء الله).

ثم استشهد عليه السلام بالقرآن على صحته كلامه بحيث لا يبقى من مجال للشك في أذهان مخاطبيه فقال: «وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٠٩

وهذا الكلام إشارة إلى آيات كثيرة وردت في سورة (المنافقون)، التوبة، الأحزاب، النساء، البقرة، وسائر السور القرآنية وكشفت النقاب عن وضع المنافقين وفضحت أساليبهم وذكّرت حيلهم ومصائدهم.

ثم قال عليه السلام: «ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ [١٦٧] وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ». وكانت النتيجة كما خلص إليها الإمام عليه السلام «فأكَلوا بهم الدنيا». والمراد من أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالدرجة الاولى، حكام بنى أمية الذين استهتروا بجميع شؤون الإسلام بما فيها أحاديث النبي صلى الله عليه وآله ليتأمروا على الناس، فكانت أفضل وسائلهم تسخير منافق عصر النبي صلى الله عليه وآله واذنابهم لتحقيق أهدافهم، وهكذا تكدرت أجواء الأحاديث.

والمؤسف أن أغلب الناس لهشوا خلفهم معصوبى العيون حيث قال عليه السلام: «وَأِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالذُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ». العبارة المعروفة «النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ» وإن لم ترد بهذه الصيغة في الروايات [١٦٨] إلا أنها حقيقية ورد مضمونها في الروايات وكلمات الأعلام حيث إن الطبقة الفاسدة المفسدة إذا وردت الميدان بخطئة مدروسة ووسائل إعلامية ودعائية واسعة أمكنها خداع الرأى العام واستقطاب العديد من الناس ولا تقتصر هذه الحقيقة على التاريخ الماضى وصدر الإسلام بعد النبى صلى الله عليه وآله بل نلمسها اليوم فى أغلب البلدان المتقدمة، حيث استحوذ الطغاة على الشعوب وخدعوا وتلاعبوا بأفكارها من خلال الاستعانة بوسائل الاعلام ومعونة المنافقين، ثم اختتم عليه السلام هذا القسم بقوله «فهذا أحد الأربعة».

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١١٠

## تأملات

### ١. المنافقون على عهد النبى صلى الله عليه وآله

يعلم من له إلمام بالقرآن أن المنافقين ذموا بشدة فى مختلف السور والآيات ليدل هذا على أن المنافقين لم يكونوا عدّة معدودة، وقد انطلقت خططهم منذ قدم النبى صلى الله عليه وآله إلى المدينة واستقبل من قبل أكبر قبيلتين هما الأوس والخزرج وشكل الدولة الإسلامية، وهى الفئة التى شعرت بخطورة مصالحها إبان ظهور الإسلام فأعلنت إسلامها فى حين كانت تكن العدا للنبى صلى الله عليه وآله والرسالة.

ورغم سعيها الجاد للتخفى، غير أنها كانت تفتضح فى الظروف العصيبة التى تشهد العواصف السياسية والاجتماعية، فتارة من خلال اعتزال القتال وأخرى ببناء مسجد ضرار، وأحياناً من خلال التجسس لصالح المشركين على هامش فتح مكة وأخرى عن طريق تهويل قضية الإفك والتى كانت تكشف النقاب عن صورتهم الحقيقية.

وقد اتسع نطاق النقاب عقب فتح مكة؛ فأبو سفيان عدو الإسلام الأوّل وأتباعه اعتنقوا الإسلام لإنقاذ حياتهم، لكنهم كانوا يتحينون الفرص للانقضاض عليه.

### ٢. المنافقون بعد النبى صلى الله عليه وآله

فتح الباب على مصراعيه عقب وفاة النبى صلى الله عليه وآله واتساع أنشطة المنافقين، فلم يكن من يردعهم بعد انقطاع الوحي ووفاء النبى صلى الله عليه وآله ويحذر الناس منهم ويوجه لهم الضربة القاصمة كما يقول ابن أبى الحديد [١٦٩] من جانب آخر فإن الفتوحات وكثرة الغنائم شغلت أغلب المسلمين وجعلتهم يغفلون عن مؤامرات المنافقين، سيما أن أغلب المنافقين شغلوا مناصب حساسة فى البلاد الإسلامية على عهد الخلفاء، وإحدى مؤامراتهم الخطيرة وضع الروايات بما يناسب رغبة الخلفاء والتى بلغت ذروتها على عهد معاوية بغية توجيه الضربة للإسلام من جهة والتقرب إلى الخلفاء

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١١١

من جهة أخرى.

وقد وردت هذه القضية فى أغلب المصادر حتى وصل الأمر بمعاوية أن يتواطأ مع بعض الصحابة، فمن وضع الرواية كذا فله كذا. فعمد المنافقون أحياناً إلى تحريف الحديث النبوى، وتغيير مضمونه تماماً، كالحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ عَلَى مِثْرَى فَاقْتُلُوهُ» [١٧٠].

قال الحسن البصرى قال أبو سعيد الخدرى: «فَلَمْ نَفْعَلْ وَلَمْ نَفْلَحْ» ولكن المنافقين الوضاعين حرّفوا الحديث بأنه قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ

يَخْطُبُ عَلَى مِثْرَى فَاقْبَلُوهُ فَإِنَّهُ أَمِينٌ مَأْمُونٌ» [١٧١].

قال ابن أبي الحديد: وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم، واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك، حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدينا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروى في عثمان فضيلة أو منقبه إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خيراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١١٢

إلاً وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله [١٧٢].

إلاً أن المحدثين إنما يطعنون فيما دون الصحابة ولا يتجاسرون في الطعن على أحد من الصحابة لأن عليه لفظ الصحبة [١٧٣].

### ٣. عدالة الصحابة

هناك رأيان مختلفان بشأن صحابة النبي صلى الله عليه وآله: الرأي القائل: إنهم أفراد صالحون وصادقون وعدول جميعاً ولهم قدسية خاصة، وعليه فروايتهم عن النبي صلى الله عليه وآله مقبولة ولا يرد عليها شيء، وإن بدر منهم خلاف من قبيل التصرفات الخاطئة للخليفة الثالث في بيت المال وإثارة طلحة والزبير لفتنة الجمل وخروج معاوية على إمام المسلمين على عليه السلام وأمثال ذلك، فلا بد أن نبرره فنقول: أقصى ذلك أنهم كانوا مجتهدين وأخطأوا في الاجتهاد.

والرأي الآخر: رغم وجود العدول من بين الصحابة والأتقياء، لكن كان بينهم المناق والطلح الذي تبرأ منه النبي صلى الله عليه وآله وذمه القرآن كراراً حتى لعن البعض منهم، ولا يملك أصحاب نظرية التنزيه المطلق للصحابة من دليل، وكلماتهم تخالف صريح القرآن والتاريخ الإسلامي.

صحيح أن القرآن أشاد في بعض آياته بالمهاجرين والأنصار (رضى الله عنهم ورضوا عنه) لكننا إن قارنا ذلك بسائر الآيات التي ذمت بعض الصحابة ووصفتهم بأنهم أداة بيد الشيطان (سورة آل عمران، الآية ١٥٥) وعزف بعضهم بالفساق (سورة حجرات، الآية ٦) واعترض بعضهم في تقسيم النبي صلى الله عليه وآله للغنائم وأنه لم يعمل بالعدالة (سورة التوبة، الآية ٥٨) وفرار البعض الآخر عن الجهاد (سورة الأحزاب،

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١١٣

الآية ١٢ و ١٣) يتضح لنا أن نظرية تنزيه جميع الصحابة لا تعدو كونها خرافة وكان فئة من موالى الخلفاء عزفت على هذا الوتر بغية قطع الألسن التي ربما تنطلق بالاعتراض على أعمالهم ولاسيما حكام بني أمية (معاوية وطائفة من رهطه الذين كانوا ظاهراً من الصحابة) تعصبوا لهذه النظرية أكثر من غيرهم ليبرروا من خلالها عظيم جنایاتهم، ولكن لحسن الحظ فإن محققى العامة أدركوا اليوم هذه الحقيقة فألفوا العديد من الكتب في تفنيد نظرية التنزيه [١٧٤].

وخطبة الإمام عليه السلام هذه تدل أولاً: على إن هذه العقيدة (تنزيه الصحابة) كانت سائدة لدى البعض على عهده فترجم أن فلاناً صحابى وكلامه حجة.

وثانياً: أن الإمام عليه السلام رفض تلك النظرية على أن من بين الصحابة مناققين تسللوا إلى الإسلام.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١١٥

## القسم الثالث

## إشارة

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهَمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَيَزْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ! وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

## الشرح والتفسير: أحاديث الناسخ والمنسوخ

أشار الإمام عليه السلام هنا إلى قسمين من أسباب اختلاف الأحاديث وتعارضها فقال:

«وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهَمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَيَزْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

فهذا الخطأ يعود تارة إلى التساهل والتسامح، وأخرى إلى الجهل بمفاهيم الألفاظ والعبارات، وأحياناً كون الإنسان ليس بمعصوم ويجوز عليه الخطأ والسهو والنسيان، ومهما كان السبب فالنتيجة واحدة وهي النقل الخاطئ للآخرين.

مثلاً ورد عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ لِيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ». فلما بلغ الحديث ابن عباس قال: أخطأ عبد الله في نقل الحديث، إنما مرَّ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١١٦

النبي صلى الله عليه وآله بقبر يهودى فقال «إِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُعَذَّبُ» [١٧٥].

ومن هنا اشترط في علم الدراية ضبط الراوى في قبول الحديث حيث ينبغي أن يكون ملماً عالمياً بالمطلب فيرويه صحيحاً.

القضية المهمة أيضاً أن أغلب الأعلام جوزوا النقل بالمعنى، أى أن الراوى ليس ملزماً برواية ذات ألفاظ، بل له صياغتها في قالب آخر ويرويه، ونعلم أن هذا العمل ليس هيناً وربما يخطئ الراوى في ذلك.

ثم قال عليه السلام: «فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ!».

وعليه فليس للراوى نية سيئة في هذه الموارد وإن أخطأ في فعله ولعله يضل الآخرين دون قصد، وأغلب هذه الأخطاء كون الراوى لم ينقل صدر الرواية وذيها فيتغير مفهومها.

مثلاً قال أحدهم للإمام على بن موسى الرضا عليه السلام: إن الناس يروون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ». فقال عليه السلام: لعنهم الله فقد أسقطوا صدر الحديث، إنما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله برجلين يسب أحدهما الآخر فيقول له: «فَبَحَّ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ يُشْبِهُكَ».

فقال صلى الله عليه وآله: «يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَقُلْ هَذَا لِأَخِيكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» [١٧٦]، أى على صورة أخيك هذا الذى أنت تسبه الآن.

\*\*\*

ثم قال الإمام عليه السلام فى الطائفة الثالثة من الرواة: «وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى

عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمُنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١١٧

مسألة النسخ من المسائل الإسلامية التي حصلت بصيغته محدودة في أصل نزول القرآن، أي أنه نزل حكماً لزمان معين ثم أزيل ليحل محله حكم دائم، مثلاً، أمر المسلمون بادئ الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس في الصلاة واستمر هذا الأمر مدة في مكة ثم المدينة وقد نسخ هذا الحكم لعله ربّما لأن الكعبة تحولت آنذاك إلى معبد للأصنام، ولكن حين رسخ النبي دعائم التوحيد أمر المسلمون في السنة الثانية للهجرة بالتوجه إلى الكعبة، وورد هذا المعنى في الأحاديث النبوية فكان النبي يبيّن حكماً هو في الواقع مؤقت ولكن لم يبيّن زمانه ثم ينسخ ذلك الحكم بحكم دائم، على سبيل المثال قال النبي: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ؛ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَرُّوْهَا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ إِخْرَاجِ اللَّحُومِ الْأَضْحَى مِنْ مَنِي بَعْدَ ثَلَاثِ أَلَا فَكُلُوا وَادَّخِرُوا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّيِّدِ أَلَا فَاتَّبِدُوا وَكُلُّ مُشْكِرٍ حَرَامٌ» [١٧٧].

وعليه يسع نقل الأحاديث الصحيحة للنبي لمن له إحاطة تامة بكل الأحاديث فيعرف الناسخ والمنسوخ ويضع كلاً في محله، وموضوع العام والخاص كذلك حيث يقال أحياناً، حكم عام يشمل جميع الأفراد، مثلاً، قوله صلى الله عليه وآله: «النَّاسُ مُسَلِّطُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ» [١٧٨].

ثم يقول في موضع آخر: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فِي الْأَسْلَامِ» [١٧٩].

فمن سمع الحكم العام ولم يعلم الخاص يبلغه الآخرين بما يناقض الحكم الخاص، بينما يعلم بعدم التناقض كل من سمعها معاً، ثم قال عليه السلام: «فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ».

ومن هنا فإن بعض اختلاف الأحاديث ناشىء من عدم الإحاطة بروايات الناسخ والمنسوخ دون سوء نية من الرواة.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١١٨

### تأمل: النسخ في أحكام الشرع

رغم أن موارد النسخ في آيات القرآن وروايات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله محدودة ومعدودة؛ إلا أن لهذه المسألة أهمية خاصة؛ من حيث ارتباطها بالمسائل العقائدية والمسائل المتعلقة بالنبوة والأحكام.

يتساءل البعض: كيف يمكن أن يوحى الله للنبي حكماً ظاهره أبدى ودائمي؛ لكنه ينسخ بعد مدة ويحل محله حكم آخر غالباً ما يناقضه، مع أن علم الله غير محدود وعلم النبي أيضاً يستند إلى الوحي؟ والنسخ كثير في الأحكام العرفية والوضعية وليس ذلك من العجب، لأنه يدرس الأمور ويضع الأحكام؛ إلا أن ضعفها وعجزها يتضح عند العمل فينسخها، ولو علم العيوب والمثالب منذ البداية ربّما لم يضعها؛ إلا أن هذا الأمر لا يصدق على الأحكام الشرعية، فما معنى النسخ فيها؟

يتضح الجواب عن هذا السؤال من الالتفات إلى نقطة وهي: أن النسخ في الأحكام الشرعية من حيث تغيير الموضوع؛ بعبارة أخرى أن عمر ذلك الحكم كان محدوداً منذ البداية بزمان معين وإن لم يُشر إلى نفاذه لبعض المصالح.

مثلاً، حكم التصديق قبل النجوى الواردة في الآية ١٢-١٣ من سورة المجادلة كان لاختبار أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وتفهم هذه القضية أن أغلب مناجاة الأفراد للنبي لم تكن ضرورية ولا بد من تركها حتى لا يكون هنالك اساءة ظن، ومن هنا لما أمر بالتصدق قبل النجوى تركه جميع الأصحاب سوى على عليه السلام الذي تصدق وناجى النبي في أمر مهم ليفخر بأنه الوحيد الذي عمل بالآية.

ثم نزلت بعد ذلك آية نسخت التصديق قبل النجوى وعلم الجميع أن أغلب نجاوهم لم تكن ضرورية فامتنعوا عنها، ومن هذا القبيل النسخ سواء في القرآن أو الحديث حيث يوضع حكم في ظروف معينة لمدة معينة ثم ينسخ بعد تغيير الشرائط.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١١٩

جدير ذكره أن النسخ حسب ما ورد هنا يقتصر على زمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حين فتح باب الوحي ولم يقع أى نسخ بعد النبي [١٨٠].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٢١

## القسم الرابع

### إشارة

وَآخِرُ رَابِعٍ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهْمُ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، بِهِ، وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لِيُجِبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِيءُ، فَيَسْأَلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتَهُ عَنْهُ وَحَفِظْتَهُ، فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعَلَّلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

## الشرح والتفسير: حفظة الحديث

تطرق الإمام عليه السلام هنا إلى الصنف الرابع من الرواة السالكين الصراط المستقيم وحمله أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام الثقا والمبينين لأحكام الدين فقال:

«وَآخِرُ رَابِعٍ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٢٢

وعليه تغيب فيهم أولى مناشيء تضاد الأخبار: الكذب على الله ورسوله ووضع الأحاديث، حيث إن مجانية الكذب جزء من ذاتهم وخوف الله وتعظيم النبي بغض إلى نفوسهم الكذب.

ثم قال: «وَلَمْ يَهْمُ [١٨١]، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ».

وهنا زال عنهم المصدر الآخر لاختلاف الأحاديث والذي يتمثل بتساهل الرواة، ثم بين عليه السلام صفة أخرى لرواة الصدق العارفين فقال: «فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ [١٨٢] عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ».

فهذه العبارة العميقة المعنى إشارة إلى الرواة الصادقين المحيطين إحاطة تامة بالأخبار المختلفة؛ ويعرفون الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمحكم والمتشابه، فيجعلون كلًّا فى موضعه ليلتعدوا عن التناقض والخطأ.

وكلام الإمام عليه السلام بشأن دراسة أساس اختلاف الأحاديث، ليس خاصاً يتعلق بالحديث فحسب، بل يعلمنا درساً أهم وأشمل فلا بد من التوجه إلى الأسس والتعرف على العوامل المؤثرة فى السعى لإزالة المعوقات وإلا فإن كل إصلاح يبقى سطحياً وعابراً.

ثم أشار إلى سبب آخر لاختلاف الأحاديث والذي يكمل المباحث السابقة، وهو اختلاف استعداد الأصحاب فى تعلم الأحاديث وتفسيرها وفهم معناها فقال:

«وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْكَلَامُ لَهُ وَجِهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ، بِهِ، وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٢٣

ليس المراد من الخاص والعام في هذه العبارة، الخاص والعام الاصطلاحيان في علم الفقه والأصول، بل المراد الخاص والعام اللغويان؛ أى الحكم الخاص بمورد معين والحكم العام، مثلاً ورد في بعض الروايات أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمر المسلمين في السنة السابعة للهجرة بعد الحديبية حين أتوا إلى مكة لإتيان مناسك الحج، أن يسرعوا في الطواف حول البيت الحرام (ليشعر المشركون بالخوف من قوتهم وسرعة حركتهم) [١٨٣] والحال لم تكن سنة ثابتة ودائمة، وورد في الكلمات القصار من «نهج البلاغة» أنه سئل الإمام عليه السلام عن حديث النبي صلى الله عليه وآله حين قال: «غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ».

قال عليه السلام: «إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ (الحكم الخاص) والدين قُلٌّ، أَمَا الْآنَ وَقَدْ اتَّسَعَتْ نِطَاقُهُ وَضُرِبَ بِجِرَانِهِ فَامْرَأٌ وَمَا اخْتَارَ» [١٨٤].

ثم خاض الإمام عليه السلام في مشكلته أخرى بشأن نقل الأحاديث وهي؛ «وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لِيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِيءُ [١٨٥]، فَيَسْأَلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا».

الظاهر أن هذه العبارة إشارة إلى الأصحاب الذين لم يكونوا من أهل التحقيق ولا طرح الأسئلة المختلفة في أصول الدين والفروع ومن هنا لم يقفوا على ناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومحكم ومتشابه ومجمل ومبين، فلا يسألون عنها ولا يلمون بالمسائل ولكن إن جاء أحد وسأل وتلقى الجواب المطلوب تفاعلوا معه.

وقد فسر بعض الشراح، العبارة المذكورة أن بعض الصحابة لم يكن يسأل النبي لهيبته أو أن كثرة السؤال تحمل على إساءة الأدب فيمتنعون عن السؤال [١٨٦]؛ إلّا أن هذا

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٢٤

الاحتمال لا- يتناسب والعبارة التي وردت في كلام الإمام حيث قال عليه السلام مواصلاً كلامه؛ «وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ».

وإن رأينا استعداد الإمام للاجابة عن كل سؤال وبغض النظر عن الامداد الغيبي والالهام الباطني والتأهب الذاتي فإن ذلك لملازمته الحميمة للنبي وروح السؤال للإحاطة بكل شيء من المسائل الإسلامية.

ثم قال في ختام الخطبة: «فَهَذِهِ وُجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعَلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ». وردت عدّة عبارات في ذيل هذه الخطبة في بعض المصادر ومنها «الكافي» حيث قال:

«وَقَدْ كُنْتُ أُدْخِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ دَخَلَهُ وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخَلَهُ فَيُخَلِّينِي فِيهَا أَدُورٌ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي ... فَمَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأْنِيهَا وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا وَنَاسِخَهَا وَمُنْشُوخَهَا وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا وَدَعَا اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَنِي فَهَمَّهَا وَحَفِظَهَا ... وَمَا تَرَكَ شَيْئًا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ كَانَ أَوْ يَكُونُ وَلَا كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَيَّ أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طَاعِيَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا عَلَّمَنِي وَحَفِظْتُهُ فَلَمْ أَنْسَ حَرْفًا وَاحِدًا ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيَّ صَدْرِي وَدَعَا اللَّهُ لِي أَنْ يَمْلَأَ قَلْبِي عِلْمًا وَفَهْمًا وَحِكْمًا وَنُورًا» [١٨٧].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٢٥

## الخطبة ٢١١



في عَجِيبِ صَنَعَةِ الْكُونِ [١٨٨]

### نظرة إلى الخطبة

تتناول الخطبة عجائب خلق السماء والأرض منذ انطلاقة الخليقة ولحد الآن وتشير إلى عدّة أمور منها:

١. قدرة الله العظيمة في خلق الكون.
٢. بداية خلق الأرض والسماء وأنها كانت بادئ الأمر كتلة ضخمة من مادة مذابة كالبحر المتلاطم.
٣. تشكيل كتلة جديدة على سطح هذا البحر المذاب ثم تكون الكرة الأرضية وسائر الكرات السماوية.
٤. ظهور التشققات الأرضية وتكون الجبال والقمم التي تمتد لعنان السماء.
٥. تمجيد الله وتسبيحه على هذا الخلق العظيم والاعتبار بهذا الخلق العجيب.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٢٧

### القسم الأول

#### إشارة

وَكَانَ مِنْ أَقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ، وَيَدِيعِ لَطَائِفِ صِنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِحِ الْمُتْرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ، يَبْسًا جَامِدًا، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ازْتِاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ. وَأَرْسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُشْعَنْجِرُ، وَالْقَمَقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِحَشِيَّتِهِ.

### الشرح والتفسير: بداية خلق الكون

حمل الإمام عليه السلام مخاطبيه إلى بداية خلق الكون ليريهم عظمة الخلق وعجائبه فقال: «وَكَانَ مِنْ أَقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ، وَيَدِيعِ لَطَائِفِ صِنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِحِ [١٨٩] الْمُتْرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ [١٩٠]، يَبْسًا جَامِدًا».

(اقتدار) من مادة قدره وجبروت صيغة مبالغة تفيد السلطة التامة، وعليه فانطلاقة الخلق العظيم للسماء والأرض هي قدرة الخالق العظيم من جهة وابداعه اللطيف والظريف من جهة أخرى، فالفرد ربما يفقد الدقة والظرافة في فعل عظيم أو يتعذر عليه التوسع في هذا الفعل؛ إلّا أنّ القادر المتعال مزج ذلك في خلق الأرض والسماء، فهناك العظمة في فعله والدقة واللفظ.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٢٨

فقد ذكر الإمام عليه السلام في هذه الخطبة على غرار الخطبة الأولى والخطبة ٩١ من «نهج البلاغة» أنّ بداية الخلق كانت من المياه، وقطعاً ليس المراد المياه الطبيعية اليوم، بل الكتل العظيمة المذابة والمتلاطمة التي صنعها الله بقدرته، وقد تحولت هذه المادة المذابة بمرور الزمان إلى مواد جافة فكونت الأرض والكرات السماوية، ويتفق هذا الطرح مع النظريات العلمية المعاصرة بشأن ظهور الكون، جدير ذكره أنّ العبارة (من ماء البحر الزاخر) تفيد أنّ قسماً من هذا البحر الزاخر تحول إلى كرات سماوية وبقي قسم منها وهذا ما ينسجم أيضاً والاكتشافات العلمية التي تقول: ما زالت مواد عظيمة من الكتل الغازية المحرقة أو المواد المذابة في السماء لم تتحول إلى كرات على غرار كرات المنظومة الشمسية.

ثم تحدّث عن ظهور السموات السبع فقال: «ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا [١٩١]، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ازْتِاقِهَا [١٩٢]، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ

عَلَى حُدِّهِ».

والكلام اقتباس مما ورد في الآية ٣٠ من سورة الأنبياء: «أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا».

ومن الواضح أن المشاهدة في هذه الآية ليست المشاهدة الحسية وبالعين، بل المشاهدة الباطنية من خلال العلم والمعرفة، ذهبت النظريات العلمية اليوم إلى أن السماء والأرض كانتا في البداية كتلة عظيمة من الغازات والمواد المذابة وقد انفصلت منها بعض القطع الواحدة تلو الأخرى اثر دورانها حول نفسها أو بفعل عوامل أخرى فقدفت في زاوية من الفضاء وكونت الكرات والمنظومات والمجرات.

ثم تطرق عليه السلام إلى خلق الأرض فقال: «وَأَرْسَى [١٩٣] أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ [١٩٤]

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٢٩

الْمُتَعَجِّرُ [١٩٥]، وَالْقَمَقَامُ [١٩٦] الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِامْرِئِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِحَشِيَّتِهِ».

ولعل الكلام إشارة إلى الأمطار الغزيرة التي اجتاحت الكرة الأرضية في بداية خلق الأرض بصيغته بحر عظيم وتخللت هذه المياه فجوات الأرض بمرور الزمان فشكلت اليابسة التي تكون ربع الكرة الأرضية، وهذات المياه لتذلل الأرض لكي يعيش عليها الإنسان وسائر الكائنات.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٣١

## القسم الثاني

### إشارة

وَجَبَلٍ جَلَامِيدَهَا، وَتُشُوزَ مُتُونَهَا وَأَطْوَادَهَا، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَالزَّمَمَهَا قَرَارَاتِهَا. فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سِيْهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا، وَأَرْزَهَا فِيهَا أوتَادًا، فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحَمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبِيَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا، وَبَسَّطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا! فَوْقَ بَحْرِ لُجِّي رَاكِدٍ لَيَجْرِي، وَقَائِمٍ لَيَسِيرِي، تُكْرِكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ، وَتَمَخُّضُهُ الْعَمَامُ الدَّوَارِفُ؛ «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى».

## الشرح والتفسير: خلق الجبال

خاض الإمام عليه السلام بعد بيانه لخلق السموات والأرض واستقرار الأرض في موضعها في شرح إحدى الظواهر الأرضية المهمة التي تلعب دوراً مهماً في حياة الإنسان وسائر الكائنات الحية فقال: «وَجَبَلٍ [١٩٧] جَلَامِيدَهَا [١٩٨]، وَتُشُوزَ [١٩٩] مُتُونَهَا [٢٠٠]

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٣٢

وَأَطْوَادِهَا [٢٠١]، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَالزَّمَمَهَا قَرَارَاتِهَا. فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ».

المفروغ منه علمياً أن سطح الكرة الأرضية لم تعلو المرتفعات قبل أن يبرد، إلا أن الشقوق تخللتها بعد برودتها (كالتفاحة التي تمر عليها مدّة فتتصلب) فكونت هذه الشقوق الجبال والوديان العظيمة، وكانت الجبال تنطلق إلى السماء وتغوص جذورها في المواد المذابة في جوف الأرض فتكون سطح الأرض بصيغته الفعلية.

ثم وضع أكثر فقال: «فَأَنْهَدَ [٢٠٢] جِبَالَهَا عَنْ سِيْهُولِهَا، وَأَسَاخَ [٢٠٣] قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا [٢٠٤]، فَأَشْهَقَ [٢٠٥]

قَالَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا [٢٠٦].

تفيد هذه العبارة أنّ جبال الارض بغض النظر عن استوائها خارجياً فإنّ لها جذوراً عظيمة في أطناج الأرض وهي الجذور التي تشدها معاً من الداخل، بالضبط كالشجرة التي كلما امتد ساقها وأوراقها إلى الأعلى انغمرت جذورها أعمق في الأرض، فالامتداد والاستقرار يرسخ الجذور في الأرض.

ثم ذكر عليه السلام فوائد الجبال وأهمها حفظ استقرار الأرض وسكانها، فقال بعبارة دقيقة وعميقة: «وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرْزَاقاً [٢٠٧] فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ [٢٠٨] بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ [٢٠٩] بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٣٣

كيف تهب الجبال الأرض الاستقرار وتحول دون اضطرابها؟ وتتضح الاجابة عن هذا السؤال من خلال قضية هي أنّ نواة جوف الأرض مواد مذابة وغازات تسلط ضغطاً على الدوام على القشرة الخارجية وتظهر أحياناً كبراكين، إلّا أنّ الجبال لا تتحمل تلك الضغوط بفعل جذورها المحكمة والمتصلة فتتحول دون الاضطراب فتصبح مصدراً لاستقرار القشرة الأرضية.

أضف إلى ذلك فإنّ الجبال تعتبر من العوامل المؤثرة في استقرار الأرض بفعل الضغوط الخارجية الناشئة من جاذبية الشمس والقمر وما يحصل منها من مد وجزر، من جانب آخر فإنّها ملاذات إزاء العواصف التي تصيب سطح الأرض ومن شأنها تهديد حياة الإنسان، ومن أراد المزيد بهذا الخصوص فليراجع الخطبة ٩١ من الجزء الرابع لهذا الشرح وتفيد العبارة «فسكنتا على حركتها» استناداً للعبارة «على» أنّ الإمام عليه السلام أشار بوضوح آنذاك إلى حركة الأرض التي كان يقول بسكونها آنذاك جميع علماء الهيئة حيث قال رغم حركة الأرض إلّا أنّها مستقرة ولا تعرض سكانها للاضطراب.

وقد أشار المرحوم العلامة شرف الدين صاحب كتاب (مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام) إلى هذه النقطة الظريفة [٢١٠].

ثم قال عليه السلام: «فَسَيَبْحَانُ مَنْ أَمْسَسَ كَهَا بَعِيدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبِهِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مَهَاداً، وَبَسَّطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً! فَوْقَ بَحْرِ لُجِّي رَاكِدٍ لَيَجْرِي، وَقَائِمٍ لَيَسِيرِي، تُكْرِكُهُ [٢١١] الرِّيحُ العَوَاصِفُ، وَتَمُخُّضُهُ [٢١٢] العُغَمَامُ الدَّوَارِفُ [٢١٣]؛ «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٣٤

تبدو للوهلة الاولى في هذه العبارة جملتان متناقضتان؛ فقد قال في الاولى: إنّ الله بسط الأرض على بحر عظيم ليجي راكم لا يجرى وقال في ذيلها: تكرر الرياح العواصف، إلّا أنّ تأمل العبارة يوضح نفى أي تناقض، فالعبارة الاولى تتحدث عن استقرار طبيعة البحر، والثانية عن تأثير العوامل الخارجية، أي الرياح الشديدة على سطوح البحار.

وقوله: «وَتَمُخُّضُهُ العُغَمَامُ الدَّوَارِفُ» إمّا لأنّ هذه السحب مقترنة دائماً بالعواصف، أو أنّ سيول الأمطار تسقط على سطوح المحيطات تؤثر عليها وتجعلها متلاطمة.

والعبارة «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى» إمّا إشارة إلى سكون البحار وحركتها التي أشرنا إليها، أو إشارة لما ذكره عليه السلام في هذه الخطبة بشأن خلق الجبال وخلق الأرض والسماء، والآية: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى» [٢١٤] تصرّح بأنّ الخشية وليدة العلم والعلماء ممن يعتبرون بهذه الأمور كما قال في موضع آخر «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ» [٢١٥].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٣٥

## الخطبة ٢١٢

كَانَ يَسْتَنْهَضُ بِهَا أَضْحَابَهُ إِلَى جِهَادِ أَهْلِ الشَّامِ فِي زَمَانِهِ [٢١٦]

### نظرة إلى الخطبة

هذه الخطبة في الواقع استغاثة بالله ممزوجة بالدعاء لنصرة جند الإسلام ومؤاخذه العناصر العاكفة عن نصرته الحق واطمام الحجة عليهم أمام الله تعالى، ويشير الكلام إلى مدى امتعاض الإمام عليه السلام عن ضعف أهل الكوفة وعدم مبالاتهم بأمر جهاد طغام أهل الشام؛ الأمر الذي يستفاد من أغلب خطب «نهج البلاغة» ولولا الضعف والنكوص لنحا التاريخ الإسلامي منحى آخر ولكن للأسف...

نقعات الولاية، ج ٨، ص: ١٣٧

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةَ، وَالْمُضْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةَ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَتَتْهُ أَرْضُكَ وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَ الْمَعْنَى عَنْ نَصْرِهِ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

### الشرح والتفسير: جزاء المتخلفين

تفيد القرائن أن هذه العبارات العميقة المعنى المليئة بالأسى واللوعة كانت بعضاً من خطبة طويلة اقتطف منها المرحوم السيد الرضى هذا القسم وفصله عنها، ويرى البعض أنه ذيل الخطبة [١٩٨] [٢١٧].

والهدف الأصلي لأمر المؤمنين عليه السلام من هذه الخطبة تعبئة صحبه لجهاد أهل الشام الظلمة؛ لكن بصيغته شكوى إلى الله، شكوى من أولئك الذين يسمعون دعوته العادلة ويتمردون عليه في الجهاد، الشكوى التي تبين مدى مظلومية الإمام عليه السلام ومدى افتقار صحبه للشعور بالمسؤولية. فقال: «اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةَ، وَالْمُضْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةَ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ [٢١٨] عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ [٢١٩] عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ

نقعات الولاية، ج ٨، ص: ١٣٨

الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً».

جدير ذكره أن الإمام عليه السلام أكد بهذه العبارات بشأن الدعوة إلى جهاد ظلمة أهل الشام على أربع أو على اعتبار على صفتين:

١. إن هذا الكلام كلام على مسار العدل.

٢. لا ظلم فيه قط.

٣. سبب إصلاح الناس.

٤. لا يترتب عليه أي فساد وآثاره الايجابية ظاهرة في دنيا الناس ودينهم.

والبدهاءة تحكم بضرورة إتباع هذا الكلام المليء بالحق والعدل والصلح والمصلحة وانحراف من يخالفه عن شرع الله والعقل. القضية الأخرى أن الإمام عليه السلام يقول: إن من يتمرد على دعوته لجهاد أهل الشام الظلمة إنما ينكص عن نصرته الله واشتداد دينه دون أن يجنى الإمام عليه السلام نفعاً خاصاً من ذلك، كما أراد أن يذكر الإمام عليه السلام ضمناً بأن مسير أهل الشام مسير الظلم والجور وأساس الفساد في دين الناس وديناهم.

وواصل عليه السلام كلامه بإشهاد من في السماء والأرض إلى جانب إشهاد الله فقال:

«وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَتَتْهُ أَرْضُكَ وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَ الْمَعْنَى عَنْ نَصْرِهِ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ».

فقد أتم الإمام عليه السلام بهذه الشكوى إلى الله المنبعثة من قلب حزين ملتان، الحجة على المتثاقلين عن الجهاد من جهة وتحذير من

جهة أخرى لصحبه الأوفياء ألا يهنوا بسبب ضعف أولئك الأفراد ويعلموا أن الله ناصرهم وأولئك الناكسين سيلاقون جزاء أعمالهم، ويشهد التاريخ أنهم ابتلوا عقب شهادة الإمام عليه السلام وولّى عليهم ظلمة من ولاة بنى أمية فلم يرعوا فيهم ذمّة ولم يألوا جهداً فى اذقتهم العقاب.

ورد فى كتاب «صفين» لنصر بن مزاحم أنه قام رجل من بنى فزاره فقال للإمام: تريدنا أن نقاتل أهل الشام فنقتل إختونا كما قتلناهم فى البصرة يوم الجمل فلن

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٣٩

نفعل ذلك، فنهض مالك الأشرى وقال: أمسكوه (فهو من أفراد العدو) فنهضوا إليه فهرب إلى موضع لبيع الخيل فجعلوا يطأونه بأرجلهم ٢٢٠].

العبارة «جميع ما أسكنته أرضك وسيمواتك» تبدو إشارة إلى الملائكة والإنس والجن، لأن العبارة «اسكنتها» تناسب ذلك وعليه «ما» اطلقت هنا على العاقل وإشهادهم رغم إشهاد الله قبل ذلك تأكيد لهذا الأمر المهم، كما جعل الله إلى جانب ذاته القدسيه شهداء كثيرين على أعمالنا.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٤١

## الخطبة ٢١٣

### إشارة

فى تَمَجِيدِ اللَّهِ وَتَعْظِيمِهِ [٢٢١]

### نظرة إلى الخطبة

يستفاد من تعبير المرحوم السيد الرضى أن ما ورد فى هذه الخطبة جانب من كلام الإمام عليه السلام اقتطفه السيد الرضى فى قسمين: القسم الأول: الذى جرى الكلام فيه عن صفات الله الجلالية والجمالية ولا سيما احاطته العلمية بجميع المخلوقات. وورد الكلام فى القسم الثانى عن صفات النبى وإمداده الغيبى وإزالة الموانع عن مسيرته وتطورها السريع، وبالتالى فإن الخطبة قبسات بشأن التوحيد والنبوة.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٤٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنِ شَيْبَةِ الْمَخْلُوقِينَ، الْعَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بَعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ، وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنِ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلَا كِتْسَابٍ وَلَا اِزْدِيَادٍ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدَّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلْمُ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ، وَلَا يَزْهَقُهُ لَيْلٌ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ لَيْسَ إِذْرَاكُهُ بِالْبَصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ.

ومنها فى ذكر النبى صلى الله عليه وآله:

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِى الْأَصْطِفَاءِ، فَرَتَّقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمَغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونََ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ، عَنِ يَمِينِ وَشِمَالِ.

### الشرح والتفسير: قبسات من صفات الله ورسوله

أشار الإمام عليه السلام في المقطع الأول من هذه الخطبة الذي ورد في صفات الله الجمالية والجلالية إلى اثنتي عشرة صفة، فقال في الصفات الأربع الأولى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنِ شَبِّهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْعَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ، وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنِ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ [٢٢٢]».

وكما قيل آنفاً فإنَّ الذات الإلهية لامتناهية، ومن البديهي أن تعجز جميع

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٤٤

مخلوقاته المتناهية من جميع الجوانب عن درك كنه ذاته، وعليه إنَّما ندرك تلك الذات عن طريق آثاره العجيبة السائدة في عالم الوجود؛ ومن هنا فإن قلنا أوضح من كل شيء وأخفى من كل شيء فذلك ناظر لهذين البعدين؛ من حيث آثار علمه وقدرته ظاهراً تماماً، وخفى من حيث كنه ذاته.

ثم خاض في الصفة الخامسة والسادسة فقال: «الْعَالِمِ بِمَا اكْتَسَبَ وَلَا اِزْدِيَادَ، وَلَا عِلْمَ مُسْتَفَادَ، الْمُقَدَّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِمَا رَوِيَهُ وَلَا ضَمِيرَ». لا شك في أن علم الله كذاته لا متناه، فلا يحتاج إلى اكتساب ولا تعلم من آخر، وهذا يقتصر على ذوى العلم المحدود والذين لهم الازدياد من خلال ثلاثة طرق:

التجربة وأمثالها، تأثير العلوم في بعضها والانتقال من مسألة لأخرى وأخيراً التلمذ والتعلم من الآخرين، أمَّا مَنْ كان علمه لا متناه فغنى عن كل هذه الأمور، كما هو غنى عن إحالة الفكر في خلق الكائنات وتقدير كل مخلوق من حيث الكمية والكيفية والقوانين التي تحكمه، فلا حاجة للرجوع إلى الوجدان بخلاف الإنسان الذي يحاول اختراع شيء ربما يستغرق أحياناً لسنوات ويطلع ويستعين بمعلوماته وأفكاره لينجح في محاولته.

وقال في الصفة السابعة والثامنة: «الَّذِي لَا تَعْتَشَاهُ الظُّلْمَ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ».

ثم تطرق إلى الصفة التاسعة والعاشره لايضاح هذا المطلب فقال: «وَلَا يَزْهَقُهُ [٢٢٣] لَيْلٌ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ». ولعل هذه العبارات تشير إلى أن ذاته القدسيَّة جلية دائماً عن طريق الآثار ولا يعترها الليل والنهار، أو إشارة إلى غناه عن الضياء بخلاف الإنسان في المشاهدة والاحاطة بالاشياء.

وقال في الصفة الحادية عشرة والثانية عشرة المكملة والموضحة لما سبق من صفات «لَيْسَ إِذْرَاكُهُ بِالْبُصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ». فهذه الأمور مرتبطة بالجسم والجسمانيات وذوى العلوم الناقصة والمحدودة، هو ليس من قبيل الأجسام ولا

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٤٥

محدود في إحاطته العلميَّة.

وهنا يرد هذا السؤال: لم يركز الإمام عليه السلام في عدَّة خطب على هذه المضامين ويؤكد عليها ويصر على غنى علم الله عن الأمور المذكورة، ما سرّ هذا التأكيد؟

نقول في الجواب: إنَّ إحدى أعظم المشاكل في معرفة الله، قضية مقايسته بالمخلوقات، كونه يتعامل طيلة حياته معها فيقيس بها كل شيء، المخلوقات المحدودة من جميع الجوانب، العلم والقدرة والزمان والمكان والإدراك والشهود والتقلب والزوال، فإذا دار الكلام عن معرفة الله استعان - عالماً أو جاهلاً - بذلك القياس فيهوى في وادى التشبيه الخطير.

ومن هنا فإنَّ هذا المعلم الرباني يحذر كراراً من الانزلاق إلى الهاوية والمقايسة بين الله وأى من مخلوقاته التي تبعد عن معرفة الله وتخلق لديه أوهاماً يتعبد بها.

والحديث المروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «كُلُّ مَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مِثْلُكُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْكُمْ» [٢٢٤]. إشارة رائعة لهذا المطلب.

ولذلك كان الأئمة عليهم السلام دائمي المراقبة لصحبهم وأتباعهم حذراً من السقوط في مستنقع التشبيه أو التعطيل، في حين سقط

فيه العديد ممن لم يستر على نهجهم ويتبعهم، ومن نماذج هذا الانحراف الخطير، الإيمان بتجسم الله وتشبيهه بمخلوقاته والاعتقاد بإمكانية رؤيته ومشاهدته الحسية في الدنيا أو على الأقل في الآخرة والتي يلتزم بها الأعم الأغلب.

وأورد الإمام عليه السلام كلمات قصيرة عظيمة المعنى بشأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

في القسم الآخر من هذه الخطبة الذي ذكره السيد الرضى تحت عنوان «وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» فيبين عليه السلام سبباً من صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله التي تشير إلى رفعة مقامه وسعة إصلاحاته في المجتمع الإسلامي فقال: «أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٤٦

الْأَضْيَاءِ، فَزَيَّنَ [٢٢٥] بِهِ الْمَفَاتِقَ [٢٢٦] وَسَاوَرَ [٢٢٧] بِهِ الْمَغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَيَّهَلَ بِهِ الْخُزُونََةَ [٢٢٨]، حَتَّى سَرَّحَ [٢٢٩] الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ».

المراد من الضياء أحد الاحتمالات: نور الإيمان أو العلم أو القرآن أو الوحي أو جميعها، أي أن الله بعث النبي صلى الله عليه وآله بنور الوحي والقرآن والإيمان ليضيء بها الكون العبارة «قَدَّمَهُ فِي الْأَضْيَاءِ»، ربّما إشارة إلى خاتمية النبي صلى الله عليه وآله (لأنه لو لم يكن خاتماً سيرد ديناً أسمى من دينه) أو إشارة لأفضليته على جميع الأنبياء والخلق، المراد من «مفاتق» الاختلافات الواسعة التي سادت مجتمع الجزيرة وقضى عليها النبي صلى الله عليه وآله، ووحدهم تحت لواء الإسلام.

العبارة «وَسَاوَرَ بِهِ الْمَغَالِبَ» إشارة إلى قطع أيدي الظلمة والطغاة عن المستضعفين والمحرومين والذي حصل ببركة ظهور الإسلام والذين سلموا جميعاً لقدرة الدين الجديد.

والعبارة «وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ» يمكن أن تكون إشارة إلى حل المشاكل المعنوية والعقائدية والأخلاقية أو المشاكل المادية والاجتماعية أو جميع ذلك في ظل ظهور الإسلام.

وتشير العبارة «حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ» إلى نهاية جميع المفاسد التي اشير إليها في العبارات السابقة، أي زوال أنواع الضلال اليمين والشمال ومن جميع الجوانب بالنبي صلى الله عليه وآله ورسالته.

وربّما تشير العبارة «عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ» إلى الإفراط والتفريط أو إشارة لكل الطرق التي تؤدي إلى الفساد، قطعاً هذه الإصلاحات ليست مختصة بزمان ظهور

نفحات الولاية؛ ج ٨؛ ص ١٤٦

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٤٧

النبي صلى الله عليه وآله فلو عملنا اليوم بالتعاليم والوصايا الإسلامية لتحققت وحدة الأمة الإسلامية ولقطعت أيدي الطغاة والظلمة ولهانت جميع الازمات والمشاكل الاجتماعية، فكل ذلك من آثار التعاليم الإسلامية.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٤٩

الخطبة ٢١٤

إشارة

يَصِفُ جَوْهَرَ الرَّسُولِ، وَيَصِفُ الْعُلَمَاءَ، وَيَعْظُ بِالتَّقْوَى [٢٣٠]

### نظرة إلى الخطبة

تألف هذه الخطبة كما أشرنا من ثلاثه مقاطع: أشار عليه السلام في المقطع الأول عقب شهادته لله بالعدل إلى جانب من صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله التي تشير إلى طهاره جوهه ذات النبي من جميع الجهات، وتطرق ضمناً إلى لطف الله بالمطيعين من عباده وإمداده الغيبى لهم.

وتحدث في المقطع الثاني عن العلماء الربانيين وصفاتهم البارزة وكيفية تعاملهم مع الآخرين. وأورد في الختام مواضع كثيرة من شأن العمل بها تربية روح الورع والتقوى لدى الإنسان بعبارة موجزة بليغة. نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٥١

### القسم الأول

#### إشارة

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلٌ، وَحَكَمٌ فَصَلٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.  
أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمًا، وَلِلطَّاعَةِ عِصْمًا.  
وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَيُبَيِّنُ الْأَفْئِدَةَ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُسْتَفٍ.

### الشرح والتفسير: النسب الظاهر للنبي صلى الله عليه وآله

استهل الإمام عليه السلام خطبته - كسائر الخطب - بالشهادتين (وإن دلت الواو في «وأشهد» أنه كانت قبلها بعض المطالب) فقال: «وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلٌ، وَحَكَمٌ فَصَلٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ».

التعبير (عَدْلٌ) الذى له معنى مصدرى، للتأكيد، أى أن ذات الله عين العدل، والعبارة التى أتت به بصيغة الفعل الماضى (عدل) تأكيد آخر و (حكم) له معنى واسع يشمل حكم الله فى جميع الجوانب التكوينية والتشريعية، وأنه فصل وفرقان بين الحق والباطل على الدوام.

والعجيب أن ابن أبى الحديد نسب الضمير فى (أنه) إلى القضاء والقدر ويعتقد بأنه كان قبل هذه العبارة (وفصله السيد الرضى، ووافقه عدد من الشراح، فى حين تشير العبارة «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» إلى أن الشهادة السابقة شهادة

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٥٢

مرتبطة بالله، بالإضافة إلى أن «حكم عدل» من صفات الله لا صفات القضاء والقدر [٢٣١].

ويشير وصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فى العبارة المذكورة بالعبودية قبل الرسالة إلى أن أعظم فخر للإنسان عبودية الله والعبارة «سَيِّدُ عِبَادِهِ» تأكيد آخر لهذا المعنى، نعم كل ما هنالك فى عبودية الله، ثم قال فى ذكر صفات النبي صلى الله عليه وآله: «كُلَّمَا نَسَخَ [٢٣٢] اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا».

إشارة إلى أن نوره صلى الله عليه وآله فى صلب آدم كان ينتقل من صلب لآخر ولما كان يظهر عدده أبناء من نسله كان نوره



المبارك في الفرع الأفضل من ذلك النسل وما زال كذلك حتى انتقل من صلب عبد الله لرحم آمنه بنت وهب.

ثم أضاف: «لَمْ يُسِرِّهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ [٢٣٣]، وَلَمَّا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ». وهونفس المضمون الذي ورد في زيارة وارث في الإمام الحسين عليه السلام: «أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُورًا فِي الْأَصِيلَابِ الشَّامِخَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُجَسِّكِ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا وَلَمْ تُلْبَسِكَ مِنْ مُدْلَهَمَاتِ ثِيَابِهَا» [٢٣٤].

وهو ذات المعنى الذي ورد في النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي اللَّهُ مِنْ أَصِيلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى الْمُطَهَّرَاتِ حَتَّى أَخْرَجَنِي فِي عَالَمِكُمْ هَذَا لَمْ يُدْنِسْنِي بِدَنَسِ الْجَاهِلِيَّةِ» [٢٣٥].

والعبارة الواردة في هذه الخطبة والزيارة والرواية بالإضافة إلى بيان فضل النبي

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٥٣

الأكرم صلى الله عليه وآله تعلمنا جميعاً هذا الدرس وهو أن فترة تربية الإنسان بغية بلوغ المقامات الرفيعة تبدأ من أصلاص الآباء وأرحام الامهات وأن العامل الوراثي أحد عوامل تبلور شخصيته الإنسان، وإن لم يكن العامل الفريد، وهنالكَ الكثير الذي يقال بهذا الخصوص ستعرض له في الأبحاث القادمة على ضوء مناسبة الكلام إن شاء الله.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى السائرين على نهج رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بين صفاته في العبارات السابقة ليشير إلى ضرورة تربية بعض الطوائف في كل عصر في ظل تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وليواصلوا مسيرته، فقال: «أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمًا، وَلِلطَّاعَةِ عِصْمًا».

إشارة إلى أن هذا الطريق لا يخلو في أي عصر ومصر من سالكيه ولا تتوقف خطط الخير والحق والطاعة؛ فهؤلاء من ذوى الإرادات الصلبة والنيات الطاهرة ولذلك شملتهم الطاف الله، العبارة «وَلِلْحَقِّ دَعَائِمًا، وَلِلطَّاعَةِ عِصْمًا» ربما تشير إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام أو وصياء النبي صلى الله عليه وآله حماة الحق وامناء طاعة أوامر الله، كما ورد في الزيارة الجامعة: «وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ».

وما ورد في الحديث الذي روته مصادر الفريقين: «عَلَى مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثَمَا دَارَ» [٢٣٦].

وربما تشير إلى القرآن وسنة المعصومين عليهم السلام أو العلماء ولا يبعد جمع هذه التفاسير الثلاثة في مفهوم العبارة، ثم بشر أولئك السائرين بأنهم ليسوا وحيدين إزاء زخم مشاكل الطاعة وأن نصره الله منجزه لهم دائماً، فقال: «وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ [٢٣٧] عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَيُتَبَّتْ الْأَفْئِدَةُ. فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُسْتَفٍ».

نعم، فالله لا يترك عباده المؤمنين فينطق ألسنتهم ويرسخ إرادتهم ويقوى

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٥٤

عزائمهم؛ وقد ورد هذا الأمر كراراً في القرآن: «إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى» [٢٣٨].

وقال في موضع آخر: «يُبَيِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» [٢٣٩].

وهذا ما نلتمسه كل يوم في الصلوات اليومية ونسأل الله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» [٢٤٠].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٥٥

## القسم الثاني

### إشارة

وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمُهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيَفْجُرُونَ عُيُونَهُ. يَتَوَاصِلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاقُونَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقُونَ بِكَأْسِ رَوْيَةِ

وَيَصِدُّرُونَ بِرِيَّةً، لَمَا تَشُوبُهُمُ الرِّيَّةُ، وَلَمَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الغِيَّةُ. عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصِلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ البُذْرِ يُنْتَقَى، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيسُ، وَهَدَّبَهُ التَّمْجِيسُ.

### الشرح والتفسير: حفظه علم الله

تطرق الإمام عليه السلام بعد أن فرغ من ذكر جانب من أبرز صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى السائرين على نهجه أى العلماء والعرفاء وخلص المؤمنين فيبين عشرًا من صفاتهم، والحق أن من تحلى بهذه الصفات فهو من أولياء الله وخاصة أتباع النبي صلى الله عليه وآله فقال:

«وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُشْتَخَفِظِينَ [٢٤١] عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُعَجِّزُونَ عُيُونَهُ».

تشير هذه الصفات الثلاث إلى أن هذه الطائفة من عباد الله تمكنوا بتوفيق الله وإلهاماتهم الباطنية من تحصيل العلوم وحرسوا هذه العلوم وبلغوها طالبها، فهم الحفظه والحارسون والناشرون لتلك العلوم وعلى غرار رى عيون الماء المتدفقة للأراضى العطشى وإنماء مختلف الأشجار والأزهار والنباتات فهم ينشرون الدين فى قلوب عطشى للمعارف ويغرسون فى نفوسهم الفضائل الإنسانية. ولعل العبارة «يَصُونُونَ مَصُونَهُ» تعنى ما ذكر آنفاً؛ أى أنهم يتحفظون على

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٥٦

العلوم الربانية عمن لا يستحقها، أو بمعنى أنهم صانوا هذه العلوم بأمانه وجهدوا فى إيصالها من جيل لآخر من خلال تأليف الكتب ونشرها.

وواصل كلامه بالإشارة إلى أربع صفات أخرى فقال: «يَتَوَاصِلُونَ بِالْوَلَايَةِ، وَيَتَلَقَّوْنَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ [٢٤٢] وَيَصُدُّرُونَ بِرِيَّةٍ [٢٤٣]».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى المقطع السابق إلى الأبعاد العلمية لأولئك العلماء الربانيين وتطرق هنا إلى جوانبهم العلمية؛ وربما كان المراد من «يَتَوَاصِلُونَ بِالْوَلَايَةِ» ولاية الله وأوليائه التى ربطت هذه الفئات مع بعضها؛ أو الولاية بمعنى الحب والمودة التى الفت قلوبهم.

وتشير العبارة «وَيَتَلَقَّوْنَ بِالْمَحَبَّةِ» إلى أن هذه المحبة القلبية تتجلى حين لقائهم بالفعل والقول.

وتشير العبارة الثالثة إلى أن جلساتهم مركز تبادل العلوم والمعارف؛ فكل منهم يملأ-إناء الآخر بعلمه كما ورد فى العبارة الرابعة «وَيَصِدُّرُونَ بِرِيَّةٍ» ثم قال فى بيان صفتين أخريين «لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيَّةُ، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الغِيَّةُ». ولعل العبارة (ريبة) تشير إلى أن مبانيهم العقائدية وإيمانهم على درجة من الرسوخ بحيث لا يشوبه أدنى شك وارتباب أو أن حياتهم نقيه وطاهرة بحيث لا يشك أحد فى حسن سريرتهم ودقه أعمالهم كما يمكن أن تشير العبارة «وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الغِيَّةُ» أنهم لا يتلوثون بالغيبة أو أنهم على درجة من الطهر بحيث لا يسمح الآخرون لانفسهم باغتيالهم.

طبعاً لا تتنافى هذه التفسيرات المتعددة ويمكن جمعها معاً فى مفهوم العبارة السابقة.

ثم قال على سبيل التأكيد: «عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ».

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٥٧

لا ينافى هذا التعبير الاختيار فى الأعمال لأن الإنسان إن انطلق مختاراً إلى الله أتمته الإمدادات الغيبية والعنايات الإلهية، وبغض النظر عن ذلك فإن الله أودع البشرية منذ البداية أرضية الصلاح والسعادة لتطوى بها مسيرة التكامل.

ثم أشار عليه السلام إلى صفتين من صفات أولئك العلماء الربانيين فقال: «فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصِلُونَ».

نعم! حبهم لأحدهم الآخر لله وإرتباطهم ناشىء من علاقتهم المشتركة بالكمالات، أما المنافع المادية والصلات الحيوانية والاشتراك

في المقامات الدنيوية ليست سبباً قط في إرتباطهم وحبهم لبعضهم البعض.

ثم بين في ختام هذه الفقرة بتشبيه رائع كيفية انتخاب هذه الفئة من بين سائر الناس وقال: «فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبُدْرِ يُتَّقَى [٢٤٤]، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّرَهُ التَّخْلِيسُ، وَهَدَّبَهُ التَّمْحِيسُ [٢٤٥]».

أجل! هؤلاء بذور عالم الخليفة المنتقى الذين اختارهم خالق عالم الوجود للتهذيب والكمال ليجعلهم بهيئة شجرة طيبة أكلها دائم بتوفيق الله ومدده الغيبي.

وزبدة الكلام أن هؤلاء الأعلام الذين يتصفون بهذه الصفات ويطوون مراحل التكامل في ظل عناية الله ويزدادون كل يوم قرباً من الله لم يبلغوا هذا المقام عبثاً، فقد جدوا واجتهدوا في إصلاح أنفسهم وجلاء قلوبهم من صدأ الأهواء وأخلصوا تياتهم واجتازوا الامتحان الإلهي الشاق فبلغوا ذلك المقام، وتلك عاقبة كل من سلك طريقهم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٥٩

### القسم الثالث

#### إشارة

فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلِيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلِيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصْرِ يَوْمِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ، حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوِّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُتَّقَلِهِ. فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى قَلْبِ سَلِيمٍ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُزِدِيهِ، وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَرَهُ، وَطَاعَهُ هَادٍ أَمْرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وَتُقَطَعَ أَسْبَابُهُ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

#### الشرح والتفسير: المهندون

خاطب الإمام عليه السلام هنا الجميع داعياً إياهم إلى سلوك سبيل العلماء الربانيين الذين بين صفاتهم في القسم السابق، والواقع أنه استعرض هنا مراحل السير والسلوك إلى الله فقال: «فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً [٢٤٤] بِقَبُولِهَا، وَلِيَحْذَرْ قَارِعَةً [٢٤٧] قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلِيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصْرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ، حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوِّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُتَّقَلِهِ».

فالإمام عليه السلام لفت في الخطوة الأولى إنتباه الجميع إلى قصر عمر الدنيا وفناء الحياة

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦٠

وحلول الموت حتى لا يكونوا كأصحاب الدنيا الذين نسوا الآخرة ورأوا الدنيا خالدة.

وهذه هي حالة اليقظة التي تمثل المرحلة الأولى في السير والسلوك إلى الله، وهل من عامل لليقظة أنجع من ذكر الموت وحلول الأجل؟

وواصل كلامه بالإشارة إلى طهاره واصطفاء دليل الطريق فقال: «فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى قَلْبٍ سَلِيمٍ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُزِدِيهِ [٢٤٨]».

وبالنتيجة فإنه يظفر بطريق السلامة بمعونه من يبصره ويطاعته للمرشد الهادي الذي يأتمر به فيبلغ الطريق قبل أن تغلق بوجهه أبوابه وتتقطع سبله «وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَرَهُ، وَطَاعَهُ هَادٍ أَمْرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَسْبَابُهُ، وَتُقَطَعَ أَسْبَابُهُ».

وهكذا يوصي الإمام عليه السلام أتباعه أن يسلكوا الطريق فلا يسيروا عليه دون دليل وهاد فيبلغوا الهدف في ظل هداية العلماء الربانيين والسائرين السابقين مادامت الفرصة سانحة وأبواب الهدى مشرعة.

واختتم الإمام عليه السلام كلامه بالدعوة إلى التوبة وجلاء صدأ الذنب عن القلب والذي يعد الشرط الأصلي لسلوك هذا الطريق فقال: «وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ [٢٤٩]، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ».

يفتح بهذا الطريق مسار القرب إلى الله بوجه الإنسان ويشمل بخاصة لطف الله.

### تأمل: الحاجة إلى المرشد في السير والسلوك

تضمنت هذه الخطبة بعض الإشارات إلى نقطة وهي: هنيئاً لمن اقتفى آثار الهادى وواصل طريقه ببصيرة من يبصره بالطريق وأطاع من يهديه إلى الطريق القويم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦١

وتثير هذه الخطبة وماورد في أمثالها من «نهج البلاغة» هذا السؤال: هل طى المقامات المعنوية التى يعبر عنها بالسير والسلوك إلى الله تتطلب استاذاً خاصاً طوى هذا الطريق وخبر مطباته وآفاته فأخذ بأيدي السائر الجدد ويوصلهم إلى الهدف؟  
بعبارة أخرى: هل تكفى التعليمات الكلية التى وردت فى الكتاب والسنة لسلوك هذا الطريق أم أن كل سالك لهذا الطريق بحاجة إلى استاذ بما يناسب استعداده وروحيته ليعينه فى تشخيص الجزئيات؟ وكما لا تكفى نصائح الاطباء لجميع المرضى، بل يحتاج كل مريض إلى فحص وتشخيص للمرض ليصف له العلاج، فهل بلوغ المقامات المعنوية كذلك؟

طبعاً سياق الآيات القرآنية والروايات الإسلامية أن لجميع المؤمنين من خلال الإتيان بما ورد فى الكتاب والسنة والالتزام بالأحكام الشرعية والإلتفات إلى لطائف هذين المصدرين العظيمين، الوصول إلى ذروة الإيمان والمسارة إلى القرب الإلهى.

فإننا لا نجد فى سيرة صحابة النبى الإكرم صلى الله عليه وآله وأصحاب الأئمة المعصومين عليهم السلام من انتخاب أستاذ خصوصى، حتى الروايات التى وردت كإجابة لسؤال بعض الأفراد مفيدة لعامة المؤمنين.

يستدل أنصار انتخاب الأستاذ الخاص أحياناً بهذه الأمور:

١. تشير قصة الخضر وموسى عليهما السلام إلى أن الله اصطفى مرشداً لموسى وكان مكلفاً بطاعته أو امره.

٢. ربما من هذا القبيل قصة موسى وشعيب عليهما السلام.

٣. يلمس مثل ذلك فى قضية لقمان وابنه.

٤. آية السؤال فى القرآن المجيد: «فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [٢٥٠] تأمر الجهال بطرح مشاكلهم العلمية والفكرية على العلماء.

٥. مضى فى الخطبة ١٠٥ من «نهج البلاغة» أن الإمام عليه السلام قال: «أَيُّهَا النَّاسُ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦٢

اسْتَضِيحُوا مِنْ شُعْلَةٍ مِصْبَاحٍ وَاعْظِ مُتَّعِظًا».

٦. قال الإمام السجاد عليه السلام: «هَلْكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَكِيمٌ يُرْشِدُهُ وَذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ سَفِيهٌ يَعُضُّدُهُ» [٢٥١].

٧. يمكن أن تكون العبارات الواردة فى هذه الخطبة شاهد آخر على هذا المطلب؛ لكن أغلب ما ذكر كدليل على هذا المطلب لا يخلو من مناقشة، فالذى يفهم ممّا ورد فى آيات القرآن بشأن موسى والخضر لا علاقة له بهذا المطلب.

فقد أمر موسى عليه السلام بأن يتعلم من الخضر بعض العلوم بخصوص العالم البشرى أو عدم الاعتراض على بعض الحوادث التى يستهجن ظاهرها ومن هنا لما رأى موسى عليه السلام بعض الأمور انفصل عن الخضر وواصل طريقه ولا صلة لهذا الأمر بطى المقامات المعنوية والسير والسلوك إلى الله على هدى المرشد.

كما لا يلمس أدنى شىء ممّا ذكر فى القصة، طبعاً لا- يمكن إنكار أن الإنسان يسعه التعلم ممن لازم النبى وتعلم منه العديد من المطالب والتجارب.

كما يشاهد فى قضية لقمان وولده سلسلة من المواعظ الكلية ذات الطابع العام وقد أوردها القرآن بهذه الصفة.

آية السؤال أيضاً بخصوص مسألة التقليد والرجوع إلى العلماء والمجتهدين، كما استدل بذلك في كتب الأصول، بعبارة أخرى إشارة لبيان الأحكام بصورة كلية، لا الأحكام الخاصة والشخصية.

وقد اقتصرنا الإشارة إلى هذا المطلب في رواية «البحار» وبعض خطب «نهج البلاغة».

وزبدء الكلام إن أردنا التسليم بانتخاب الاستاذ المرشد كشرط ضروري في طي المقامات المعنوية، فإن ذلك لا ينسجم مع ظواهر الكتاب والسنة وسيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام؛ ولكن إن أردنا التسليم به كمساعد لطي هذا الطريق،

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦٣

فالأمر يبدو حسناً؛ إلا أنه لا ينبغي الغفلة عن قضية أساسية وهي أن هذا الموضوع استغل طيلة التاريخ وحتى في هذا الزمان من قبل الطالبين والمنحرفين، وفي بعض الموارد خلط بأفكار المتصوفة وتعاليمهم الشاذة لكي لا تبعد السالك عن مقام القرب فحسب، بل أبعدته عن الله تماماً.

فإن رأى الإنسان حقاً أنه بحاجة لمثل هذا الاستاذ، عليه أن يتشدد في اختياره خشية أن يسلم نفسه للشيطان ظاناً أنه الخضر والمرشد إلى الله، وإنما ننصح الجميع لاسيما الشبان الأتقياء الذين يفتشون عن الاستاذ أن يعكفوا بالدرجة الأولى على الكتب الحسنة التي ألفها العلماء الأتقياء الورعون المعروفون ومن ثم اصطفاء الاستاذ الذي ينشدون.

والجدير بالذكر أيضاً ما يراه البعض أن الاستاذ ضرورة في بداية الطريق فإذا ما سار على الدرب فلا حاجة لذلك الاستاذ ولا بد من الانفتاح على التعاليم الإسلامية الواردة في الكتاب والسنة.

يستفاد من الروايات والتواريخ الإسلامية أنه كان للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام أصحاب خاصين حملة أسرارهم كعلي عليه السلام بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله و «كميل» و «الأصبغ بن نباته» و «ميثم» و «رُشيد الهجري» وأمثالهم وكذلك سائر الأئمة؛ ولكن لا علاقة لهذا الموضوع بمسألة الاستاذ والتلميذ في أمر السير والسلوك بحيث يعين الاستاذ كل يوم درساً جديداً لطي الطريق ويكون لكل تلميذ دروسه الخاصة، بل كما قيل إن أولئك كانوا حملة أسرار المعصومين عليهم السلام وعلومهم التي يعجز عن إدراكها الآخرون.

على كل حال لا شك في أن وجود الأستاذ الخبير والعالم بالطريق يستفيد منه الإنسان في طي الطريق المعنوي، الأستاذ الثقة من جميع الجوانب لمن الأمور الحسنة، إلا أن الأمر ليس كما يذهب إليه من عدم إمكانية بلوغ هذه المقامات بالكتاب والسنة وما فيهما من تعاليم، والمهم أن يكون للإنسان عزم وإرادة على طي

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦٤

هذا الطريق وإلا فالطريق واضح وسالك إن توكل الإنسان على الله فهو هاديه ومرشده.

وتؤكد في الختام ثانية أن هنالك العديد من الطالبين الذين أضلوا الكثير من الشبان بهذه العناوين الزائفة على أنه المرشد والدليل فلا بد من الاحتياط والحذر الشديد في التعامل مع هؤلاء الشياطين الذين يتلبسون بلباس الإنس.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦٥

الخطبة ٢١٥

إشارة

كَانَ يَدْعُو بِهِ كَثِيرًا [٢٥٢]

### نظرة إلى الخطبة

هذه الخطبة في الواقع مركبة من سلسلة من الأدعية العميقة المعنى والقيمة للغاية كان الإمام عليه السلام يدعو بها في أغلب الأوقات وتتكون من قسمين:

القسم الأول: الحمد والثناء على الله الذي غذانا بهذه النعم المعنوية والمادية ولم يحجبها عنا. وسأل الإمام عليه السلام الله ثلاثاً من خلال ثلاثة أقسام قصيرة وعميقة تشرع كل منها بـ «اللهم»، وغالباً ما تنطوي هذه الأدعية على جانب معنوي، وإن لم تخل من بعض العبارات المادية، ومن المناسب التضرع بها عقب الصلاة أو القنوت وفي سائر الأوقات التي يقبل فيها الإنسان على الدعاء لينال بركاته وفضله.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦٧

### القسم الأول

#### إشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضَيِّحْ بِي مَيْتًا وَلَا سَقِيمًا، وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرْوَقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأَ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي، وَلَا مُزْتَدًّا عَن دِينِي، وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي، وَلَا مُشْتَوْحِشًا مِنْ إِيْمَانِي، وَلَا مُلْتَبِسًا عَقْلِي، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأَمَمِ مِنْ قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي. وَلَا أَشْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أُعْطَيْتَنِي، وَلَا أَتَقَى إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي.

### الشرح والتفسير: اللهم كل شيء لك

هذا القسم من كلام الإمام عليه السلام ليس خطبة، بل دعاء عميق المعنى جمع فيه جميع خير الدنيا والآخرة. فقد حمد الله واثني عليه على إنقاذه له من عشرة أشياء من شأن كل منها سلب رزق الدنيا والآخرة، فقال في أربعة أقسام منها: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضَيِّحْ بِي مَيْتًا وَلَا سَقِيمًا، وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرْوَقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأَ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي [٢٥٤]». العبارة «لَمْ يُضَيِّحْ» إشارة إلى أن الإنسان يمكنه النجاح في حياته حين يكون سليماً نشيطاً منذ تباشير الصباح ولا بد من شكر الله على هذه النعمة.

العبارة «وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرْوَقِي بِسُوءٍ» فسرها طائفة من شراح «نهج البلاغة»

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦٨

بأنها إشارة إلى الأمراض التي تشوه شكل الإنسان كالبرص والجذام، وذلك كناية عن هذا المعنى في عرف العرب، بينما فسّر البعض العروق بمعنى الأعضاء وأن العبارة إشارة إلى سلامة أعضاء الإنسان التي تعد من أعظم النعم.

وفسّر البعض الآخر العروق بمعناها الأصلية؛ يعني إشارة إلى أن خلّ العروق من الآفات، من النعم العظمى التي تستحق الحمد والثناء، ونعلم اليوم أن أحد الأمراض الشائعة والخطيرة انغلاق عروق القلب والدماغ الذي يعد العامل المهم للسكتة القلبية والدماعية.

النعمة الأخرى الكبرى هي بقاء نسل الإنسان ووجود الأولاد الصالحين الذين تعود أعمالهم الصالحة على آبائهم وامهاتهم والتي أشير إليها بالعبارة «وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي».

ثم أشار إلى ست نعم أخرى تستحق الحمد والشكر: «وَلَا مُرْتَدًّا عَنِّي دِينِي، وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي، وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنِّي إِيْمَانِي، وَلَا مُلْتَبِسًا» [٢٥٥] عَقْلِي، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأَمَمِ مِنِّي قَبْلِي».

ما أكثر أن يشمل الإنسان بداية أمره بالنعم الربانية العظيمة لكنه قد يفقدها في أثناء مواصلته الطريق: وهناك عدد من العبارات المذكورة إشارة إلى تداوم النعم؛ نعمه الدين والإيمان والعقل، وعليه فالشمول بالنعمة يستحق الحمد والثناء وبقاؤها ودوامها كذلك، فالنعم آيلة للزوال لولا لطف الله.

العبارة «وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي» بعد العبارة «وَلَا مُرْتَدًّا عَنِّي دِينِي» من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

العبارة «وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ...» إشارة إلى العذاب الأليم والشاق الذي أصاب بعض الناس كالصاعقة، العواصف الشديدة والزلازل العظيمة والآفات العصبية في بدن الإنسان وروحه.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٦٩

العبارة «وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنِّي إِيْمَانِي» إشارة إلى أن الإنسان يمتلك الإيمان أحياناً لكنه يخشى أن يلوث بالمعاصي أو يخشى من زواله. تضرع الإمام عليه السلام: أحمدك وأشكرك على إفاضة الإيمان المقرون بالسكينة.

ولما كان أحد أهم مقامات العارفين والمقربين، التسليم لأمر الله والاعتراف بالنقص تضرع الإمام عليه السلام مواصلاً دعاءه: «أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي. وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخَذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي، وَلَا أَتَقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي».

أعظم فخر للإنسان أنه عبد لله كما ورد على لسان الإمام: «إِلَهِي كَفَى بِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا» [٢٥٦].

والتعبير «ظَالِمًا لِنَفْسِي» إشارة إلى أن الإنسان لا يسعه قط أداء حق العبودية حيث تضرع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «إِلَهِي مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ» [٢٥٧] فلا بد أن يكون الآخرون أولى بهذا الاعتراف بالتقصير.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٧١

## القسم الثاني

### إشارة

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أَضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ!  
اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَرِعُهَا مِنْ كَرَامِي، وَأَوَّلَ وَدِيْعَةٍ تَرْجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعْمِكَ عِنْدِي!  
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعِ بِنَا أَهْوَاؤَنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ!

### الشرح والتفسير: النعم المكملة

حمد الإمام عليه السلام في القسم الأول من هذه الخطبة، الله وأثنى عليه على ما يغذيه به من نعم كبرى ويتضرع هنا إلى الله ويسأله النعم المكملة لتلك النعم السابقة من خلال ثلاث عبارات استهلها ب «اللهم»: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أَضَامَ [٢٥٨] فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أَضْطَهَدَ [٢٥٩] وَالْأَمْرُ لَكَ!».

فهذه العبارات الأربع التي تعود جميعاً إلى التوحيد الأفعالي تشير إلى أن الغنى والهدى والنصر وغلبة الأعداء وجميع المشاكل ميسرة في ظل لطف الله؛ كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ» [٢٦٠].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٧٢

وقال تعالى «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي» [٢٦١].

وقال تعالى «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» [٢٦٢].

ثم تضرع في الدعاء الثاني وطلب فقال: «اللهم اجعل نفسي أول كريمية تنتزعها من كرائمي، وأول وديعية تزججها من ودائع نعمك عندي!».

«كريمه» تعنى فى الأصل، الشخص القيم والأشياء النفيسة وهى هنا إشارة إلى أعضاء الإنسان المهمة كالعين والأذن واللسان التى تذكر كنعمة إلهية ووديعه ربانية لتكون إشارة إلى لطف الله ورحمته وإلى أن النعم ودائع تسترد فى خاتمة المطاف.

على كل حال فمضمون هذا الدعاء ورد بصيغة أخرى فى أدعية سائر المعصومين عليهم السلام؛ جاء فى دعاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فى أعمال ليلة النصف من شعبان: «اللهم أمتغنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا» [٢٦٣].

حقاً إن الإنسان إذا فقد أواخر عمره نعمة قدرة الروح والبدن والبصر والسمع فإنما يتحول إلى ميت متحرك تصبح حلاوة شهد الحياة مرارة على لسانه بحيث يتمنى الموت والخلاص من هذه الحالة فى كل لحظة.

من البديهي أنه ليس المراد فى هذه الأدعية أن الله يأخذ من الإنسان فى البداية أواخر عمره، روحه ثم بصره وسمعه، بل المراد أن أعضاءه تبقى سليمة حتى أواخر عمره.

وتضرع فى الدعاء الثالث: «اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، أو أن نفتتن عن دينك، أو نتابع [٢٦٤] بنا أهواؤنا دون الهدى الذى جاء من عندك!».

تعوذ الإمام عليه السلام بالله فى هذا الدعاء من ثلاث معاصى ودواهى عظمى:

١. أن ينسى الإنسان أوامر الله ونواهيه ويمر عليها غير مبالٍ.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٧٣

٢. أن تتسلل وساوس الشيطان إلى قلب الإنسان فتصدده عن الحق.

٣. أن تستولى أهواء النفس على الإنسان فتصدده عن هدى الله.

يقيناً، لو استجيبت هذه الأدعية الثلاث التى تبدأ ب (اللهم) لنال الإنسان جميع خير الدنيا وسعادة الآخرة فما أحرانا أن نستحضر هذه الأدعية فإذا شعرنا بحالة الدعاء أقبلنا على الله وطلبنا منه ذلك.

أورد الإمام عليه السلام الكلام فى القسم الأول والثانى من هذا الدعاء، بصيغة المتكلم؛ لكنه ذكره فى القسم الأخير بصيغة المتكلم مع الغير ليسأل الله صالحه وصالح جميع المسلمين.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٧٥

## الخطبة ٢١٦

### إشارة

حَظَبَهَا بِصَفِينِ [٢٦٥]

### نظرة إلى الخطبة



هذه الخطبة من خطب «نهج البلاغة» المهمة التي أوردها الإمام عليه السلام في يوم صفين، فاشتملت على مباحث مهمة تتمحور في أربعة أقسام:

١. الحقوق المتبادلة بين الوالى والرعية (الحاكم والشعب) تناول فيه القانون الكلى بشأن الحقوق فقال: الحق دائماً ذو حدين؛ فمن كان له حق على آخر فلآخر أيضاً حق عليه، وهذه مسألة مهمة سنتعرض لها إن شاء الله.
٢. شرح فى القسم الثانى حقوق الحاكم على الأمة وحقوق الأمة على الحاكم وأكد هنا استحالة صلاح الأمة دون صلاح الحاكم، والعكس، أى كل من هذين الأمرين يؤثر فى الآخر.
٣. القسم الثالث إجابة الإمام عليه السلام لأحد أصحابه حيث أثنى كثيراً على الإمام

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٧٦

وعبر له عن وفائه التام، فتواضع الإمام للغاية فى الردّ عليه وصرّح له: بأننى لا استسيغ أى مدح وثناء فالعظمة لله وحده.

٤. جرى الكلام فى القسم الرابع عن العلاقة الصحيحة بين الحاكم والشعب وأكد على ضرورة ابتعاد الحاكم عن التملق، والاستعداد لسماع النقد والمعارضة لينطلق المجتمع نحو الصلاح والسداد.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٧٧

## القسم الأول

### إشارة

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْنِكُمْ حَقًّا بَوْلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْنِكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَمَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ. وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلِكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفْضُّلاً مِنْهُ، وَتَوْسَعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

### الشرح والتفسير: سعة حجم الحقوق

دعا الإمام عليه السلام فى مستهل هذه الخطبة جميع صحبه إلى أداء وظائفهم من خلال بيان حقه على الأمة فقال: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْنِكُمْ حَقًّا بَوْلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْنِكُمْ».

فقد أشار عليه السلام إلى قضية مهمة فى باب الحكومة الإسلامية كانت تختلف فى الواقع عن جميع الحكومات آنذاك، فالحكومات المستبدة كانت ترى كل شىء لها والرعية كالعبيد ما عليهم إلا الطاعة العمياء وإن كان لها من شىء فهو منه وبالفضل وليس حقاً من حقوقهم عليه، بينما يصرّح الإمام عليه السلام، بأن الحكومة الإسلامية حقوق متبادلة؛ حق الحاكم على الأمة وحق الأمة على الحاكم وكلاهما ثقيل وذو مسئولية.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٧٨

ثم أشار إلى قاعدة كلية وشاملة فى الثقافة الإسلامية فقال: «فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ ٢٦٦»، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ ٢٦٧»،

لَيَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ».

حيث أشار عليه السلام فى الواقع إلى أمرين:

الأول: أن الجميع عارفون بالحق وكل يتحدث عنه ويتشدد به لحفظ مصالحه، بينما تراه فى غاية التشدد حين العمل لأداء حقوق الآخرين، وكأنه يرى الحق أحادى الجانب.

ومن هنا أشار الإمام عليه السلام فى الأمر الثانى إلى هذا الأمر الأساسى وهو ليس هنالك من حق أحادى الجانب فى أى مورد؛ فإن كان لأحد حق، كان عليه مثله؛ مثلاً، للأستاذ حق على تلميذه، كونه علمه ورباه، وللتلميذ قطعاً حق على أستاذه، فعليه أن لا يألو جهداً فى تعليمه وتربيته، كونه وضع فكره وعمره وشبابه تحت تصرفه، وإن كان للدائن حق على المدين فى ضرورة أداء الدين فى وقته، فإن للمدين حقاً متبادلاً فى أن يمهل إن تعذر عليه التسديد فى الوقت المطلوب «وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة» [٢٦٨].

وإن كان للرجال حقوق على النساء، فللنساء مثل ذلك على أزواجهن: «ولهن مثل الذى عليهن» [٢٦٩].

بل للأبناء عليهما حقوق كثيرة، كما أن للأبناء حقوقاً على الآباء والامهات، ومن أراد الوقوف على سعة الحقوق المتبادلة للناس على بعضهم فليراجع رساله الحقوق

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٧٩

للإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام [٢٧٠]، حتى الحيوان له حق على الإنسان إن كان مملوكه [٢٧١].

ثم أشار عليه السلام إلى حق الله على العباد حتى أن هذا الحق ليس أحادياً، وإن كانت عبارة حق العباد على الله ليست مناسبة من جوانب؛ إلماً أن هذا الحق يبدو بلباس التفضل: «ولو كان لا يحد أن يجرى له ولا يجرى عليه، لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه، لقدرتيه على عباده، ولعدله فى كل ما جرت عليه صروف قضائه».

فالكلام إشارة إلى أن قدرة الله تقتضى من جانب أن لا يترك عباده ويلطف بهم من جميع الجهات وتقتضى عدالته من جانب آخر أن لا- يصيب الإنسان أدنى ظلم، سواء فى عالم التشريع أم عالم التكوين، وعليه فهناك فارق بين الله وعباده؛ فعمل العباد يفرطون بحقوق الآخرين إثر عجزهم أو الحاجات التى تضطربهم لهجر العدالة، لكن كيف يرضى القادر المطلق والعاقل على الاطلاق بضياع حقوق عباده؟! ومن هنا يمكن استثناء الحق المتبادل بشأن الله واقتصار الحق عليه.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلاً: «ولكنه سبحانه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه، وتوسعاً بما هو من المزيدي أهله».

وبعبارة أخرى أن الله جعل لعباده حقاً عليه إزاء حقه عليهم، وإن كان هذا الحق تفضل دون أن يكون لعباده دين عليه، كونهم لا يؤدون جزءاً من شكره مهما أطاعوه وعبدوه إزاء ما غمرهم به من نعم، ومن هنا لم يستثن حتى الله تعالى من هذا الأمر؛ أى كما له تعالى حق على العباد فهم كذلك لهم حق عليه، وإن كان هذا الحق من باب التفضل، لا الاستحقاق.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٨٠

### تأمل: الثواب استحقاق أم تفضل؟

ورد هذا البحث لدى علماء الكلام منذ القدم، هل الثواب الإلهى استحقاق أم تفضل؟ بمعنى إن أطاع العباد أوامر الله فهل على الله إثابهم، وإلما كان ذلك قبيحاً عليه؟ أم ليس للعباد أى شىء على الله إن إمتثلوا أوامره وتركوا نواهيه، وإن أثابهم فمن باب اللطف والرحمة، وإلما كان عين العدل؟

قال بعض المتكلمين الذين يميلون لمذهب الأشاعرة بالتفضل بينما ذهب مذهب الاعتزال للقول بالاستحقاق.

يرى القائلون بالاستحقاق أن إلتزام العباد بالطاعة يتضمن مشقات، فإن كان الإلتزام هدفاً فهو ظلم وقبيح ولا يصدر من الحكيم، وإن كان له هدف فليس ذلك الهدف سوى الثواب الجميل، وعليه إن لم يعط الله الثواب استلزم القبح المحال على الله، أما القائلون

بالتفضل فيقولون: إن الله غمرنا بالنعم لو فينا أعمارنا في طاعته لم نؤد شكر جزء من نعمه، وعليه فلا نستحق منه شيئاً ليلزم بإعطائه. إلا أن المذهبين كأنهما غفلاً نقطة الالتفات إليها يكشف النقاب عن هذه المسألة ويجلي الحق، وهي أن استحقاق الثواب حين يقدم أحد خدمة لآخر فيتوقع عليها الأجر والثواب، بعبارة أخرى، قال المذهبان بالثواب أو ما يشبهه على طاعة أوامر الله؛ فالمذهب الأول يقول: إنهم تلقوا أجرهم من قبل بصيغته نعم إلهية، والثاني يرى أنهم لابد أن يحصلوا عليه لاحقاً.

والحال نعلم أن لجميع الأوامر والنواهي مصالح تعود لنفس المكلفين، فالصوم والصلاة والحج والجهاد سبب صفاء الروح وتكامل النفس والعزة والرفعة وترك الذنب والغيبة والخمر والقمار ينقذهم من المفسد والانحرافات، وعلى هذا الأساس فإن المكلفين إنما يخدمون أنفسهم في الطاعة وترك المعصية، فهل لهم أن يروا لأنفسهم أجراً على الله إزاء خدمتهم لأنفسهم؟!

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٨١

يبدو الأمر أشبه بالطبيب الرؤوف بمرضه فينصحه مجاناً ويزوده بالدواء فيلتزم بها المريض ويشفى من مرضه، فلو ذهب هذا المريض إلى الطبيب وطالبه بالأجر على طاعته لأوامره، ألا يتعجب منه الجميع ويضحكون عليه؟

وجميع الأوامر والنواهي كذلك، فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله طيب دوار بطبه وكل ما ذكره لصالح المكلفين، وعليه فلا مجال لبحث قضية ثواب الناس إزاء الطاعة سواء استحقاقاً أم تفضلاً.

نعم كتب الله على نفسه الثواب ووعد به بلطفه وكرمه وحثاً لعباده على طاعته التي توجب كما لهم والله لا يخلف وعده لاستحاله خلف الوعد على الحكيم القادر والعالم، قال تعالى: «كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» [٢٧٢].

وقال أيضاً: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» [٢٧٣].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٨٣

## القسم الثاني

### إشارة

ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَكَافُؤًا فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تَلَمُّكِ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِقَلْبِهِمْ، وَعِزًّا لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصِلُحُ الرَّعِيَّةِ إِلَّا بِصِلَاحِ الْوَلَاةِ، وَلَا تَصِلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَبِإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدِلَتْ مَعَالِمُ الْعِدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلالِهَا السُّنَنُ، فَصَلِحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطَمِعَ فِي بَقَاءِ الدُّوْلَةِ، وَنَيْسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَاءُ، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْأَذْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَائِجُ السُّنَنِ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عَمَلُ النُّفُوسِ، فَلَمَّا يُسَدِّتُ وَحْشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عَطْلٍ، وَلَمَّا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فِعْلٍ! فَهَنَالِكَ تَذَلُّ الْأَبْرَارِ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارِ، وَنَعْظُمُ تَبَعَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ.

## الشرح والتفسير: حق الوالي والرعية

أشار الإمام عليه السلام في المقطع السابق إلى حق الله على الناس وتطرق هنا إلى حق الناس على بعضهم وأهمها حق الوالي على الامّة وحق الامّة على الوالي فقال: «ثم

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٨٤

جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ».

جدير ذكره أن الإمام عليه السلام اعتبر حق الناس على بعضهم فرعاً من حق الله على الناس وناشئ من حقوقه، وبعبارة أخرى فإن حق الله وحق الناس ليسا في عرض بعضهما، بل في طول بعضهما.

ثم قال: «فَجَعَلَهَا تَكَافُؤًا [٢٧٤] فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ».

بعبارة أخرى لا حق أحادي الجانب من هذه الحقوق، بل هي ثنائية جميعاً كما ورد في القسم السابق، فإن كان لأحد حق على الآخر كان هناك حق لذلك الآخر عليه، وعليه فهذه الحقوق متساوية ومتلازمة؛ ليس بمعنى إن لم يلتزم أحد بوظيفته كان على الآخر عدم الالتزام بها؛ مثلاً، لو لم يقم الولد بطاعة والده يتمرد الأب على تربيته وأداء نفقته، أو إن لم تعمل طائفة من الرعية بوظيفتها يقطع الوالي عنها الخدمات، بعبارة أخرى، أن هذه من قبيل اللزوم والملازم في مقام الوجوب، لا في مقام التحقق والعمل؛ أي كلاهما واجب، سواء عمل الطرف المقابل بوظيفته أم لا.

ولمزيد من الإيضاح إليك هذا المثل، إن أدت الرعية ما عليها من ضرائب وخراج سوف لن يتقاعس الوالي عن وظيفته في توفير الأمن لهم وتعليم وتربية أولادهم ومعالجة مرضاهم وجراحهم، لأن كلاً من هاتين الوظيفتين مستقلة وليست مشروطة بالآخرى في مقام العمل، وإن تشابكتا كوجوبين في مقام التشريع.

وقال الإمام عليه السلام مواصلاً كلامه: «وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ [٢٧٥]، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٨٥

ثم خاض الإمام عليه السلام في فلسفه هذين الحقين فقال: «فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِالْفِتْمِمْ، وَعِزًّا لِالِدِينِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَالِي، وَلَا تَصْلُحُ الْوَالِيَةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ».

فرعاية هذه الحقوق لها في الواقع آثار مادية مهمة ومعنوية فالعبارة «فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِالْفِتْمِمْ» إشارة لآثارها المادية والظاهرية والعبارة «عِزًّا لِالِدِينِمْ» لآثارها المعنوية والروحية، وإلى هذه الحقيقة أشارت العبارتان بعدها إلى صلاح الرعية والوالي وفسادهما تداخلاً مع بعضهما ولكل منهما أثره على الآخر، فالوالي الفاسد يسوق الرعية إلى الفساد والرعية الصالحة تضطر الوالي لقبول الحق والعدل، وإن صلحا معاً توفرت أفضل الظروف لرقى المجتمع وتطوره.

ثم خاض في الآثار السلبية لتقاعس الطرفين في أداء الحقوق، بعبارة أوضح وأبلغ عدّد هذه الآثار الواحد تلو الآخر فقال: «فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَآدَى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلِهَا [٢٧٦] السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَبَيَّسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ».

فقد بين الإمام عليه السلام هنا سبعة آثار مهمّة لأداء الحقوق المتبادلة بين الوالي والرعية؛ أولها: العزة والافتقار، وثانيها: قيام مناهج الدين وضعف البدع، وثالثها: ارتفاع راية العدل في البلاد الإسلامية، ورابعها: إحياء السنّة، وخامسها: كنتيجة لما سبق، صلاح الوسط الاجتماعي، وسادسها: الطمع في بقاء الحكومة ودوامها، وسابعها: يأس الأعداء، وقد اتضح هذا الأمر على عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث كان أعظم مؤد لحقوق الأمة وكانت أغلبيتها الساحقة تؤدي حق الطاعة فبدت واضحة تلك الآثار السبعة.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٨٦

وأما في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وإن احييت السنن الإسلامية والعدل والقسط إلى حد معين، غير أن الانحرافات التي حدثت عقب وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله طيلة ٣٥ سنة الواحد تلو الآخر والتي أدت في الختام إلى الخروج على حكومة عثمان، وبالتالي قتله، جعلت من المتعذر إعادة المسيرة لما كانت عليه خلال المدّة القليلة لحكومة الإمام على عليه السلام وبقاء العناصر الخطيرة من الحكومات السابقة كعواوية وبنو أمية وبنو مروان، الحقيقة التي يعترف بها كل من تمعن بهذه الحقيقة من التاريخ

الإسلامى دون تعصب وباستطاعة المسلمين اليوم الظفر بعزتهم واقتدارهم بالاستلهاهم من كلمات الإمام عليه السلام وانسجام الولاية والرعايا والحكام والشعوب.

ثم تناول الإمام عليه السلام الآثار السيئة لتقاعس الوالى والرعية عن حقوق بعضها البعض وقال: «وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَاءُ، أَوْ أَجْحَفَ [٢٧٧] الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَاكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْأَذْغَالُ [٢٧٨] فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ [٢٧٩] السُّنَنِ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى، وَعَطَلَتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ».

فبين الإمام عليه السلام أيضاً سبع مفاصد لعدم الانسجام بين الحاكم والشعب والذى لمسناه كراراً فى حكومات الجور؛ اختلاف الكلمة، الظلم والجور، البدعة والخداع، ترك المنهاج الواضح، العمل بالأهواء والاستبداد، ثم تطرق اثر ذلك إلى النتيجة النهائية لهذه الأوضاع المؤسفة فقال: «فَلَا يُشِيرُ تَوْحُّشُ لِعَظِيمٍ حَقَّ عَطْلًا، وَلَا لِعَظِيمٍ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَاكَ تَذَلُّ الْأَبْرَارِ، وَتَعَزُّ الْأَشْرَارِ، وَتَعْظُمُ تَبَعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ».

فهذه الأمور الخمسة نتيجة مباشرة وغير مباشرة لحكومات الجور، فالناس فى ظل هذه البيئة يعتادون على إبطال الحقوق ولا يكثر ثون لرواج الباطل فتصبح هذه

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٨٧

الأمور قضايا عادية لمسنا نماذجها طيلة التاريخ وفى عصرنا، فمن الطبيعى أن لا يشق طريقه صوت الأخيار والأطهار الذين يتبنون الحق ويناهضون الباطل وينحون من الميدان، وبالعكس تكون المناصب الحساسة بيد الأشرار والملوثين المسارين لذلك الجو، الأمر الذى حدث على عهد حكومة الخليفة الثالث؛ فنفى أبوذر وتسلاط مروان وواصل أمثال معاوية ذلك الطريق فقتل من على شاكله عمار حتى بلغ الأمر يزيد وابن زياد فقتلا أظهر نسل النبى صلى الله عليه وآله وصحبه.

ومن البديهي أن يمسك الله لطفه فى هذه الظروف عن الرعية وواليتها ويؤاخذهم بتبعات أعمالهم.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٨٩

## القسم الثالث

### إشارة

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّصَاحُحِ فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللَّهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ. وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ أَمْرٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلَا أَمْرٌ وَإِنْ صَغُرَتْ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُنُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

## الشرح والتفسير: ضرورة التعاون فى أداء الحقوق

دعا الإمام عليه السلام هنا الجميع بما فيهم الوالى والرعية لما فرغ من الوصية بشأن حق الوالى والرعية بالتعاون مع بعض، ثم أشار إلى ثلاثة أمور اجتماعية مهمة فقال فى القسم الأول: «فَعَلَيْكُمْ بِالتَّصَاحُحِ فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ».

ثم اتجه صوب الأمور الثلاثة المهمة فقال بادئ الأمر - بغيه عدم اغترار الأفراد وأن لا يظنوا أنهم أتوا بوظيفتهم بهذا الخصوص بأحسن

وجهه ويتوقفوا بالنتيجة عن الحركة- «فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللَّهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ. وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ».

وهذا أصل كلّي أن الإنسان إن رضى تماماً عن عمله ولم يره فيه نقصاً وخللاً،

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩٠

كف عن الحركة وتعثرت مسيرته نحو الكمال، والأمر كذلك فليس للسمو والتكامل وجلب رضى الله من حدود ليقنع بها الإنسان، فلا بد من الاعتراف بالتقصير دائماً وبذل الجهد على الدوام، وعليه فليس هنالك من يستغنى عن وعظ الآخرين، لأنّ النقص والتقصير يبدو أظهر للآخرين، بينما يحول حب الذات دون رؤيته.

ورد في حيث مفصل عن الزهري، قال: «دخلت مع علي بن الحسين عليهما السلام على عبد الملك بن مروان قال: فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا أبا محمد لقد بين عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله قريب النسب وكيد السبب ... وأقبل يثنى عليه ويطريه، قال: فقال علي بن الحسين عليه السلام: كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره علي ما أنعم ...؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى تورم قدماه، ويظماً في الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له: يا رسول الله! ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول صلى الله عليه وآله: أفلا أكون عبداً شكوراً ..

والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقتلتي على صدرى لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشر من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حد نعمة منها في جميع حمد الحامدين» [٢٨٠].

ثم قال في بيان ذانك الأمرين: «وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزَلَتُهُ، وَتَقَدَّمَ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغُرَتْهُ النَّفْسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ [٢٨١] الْعِيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ».

إشارة إلى ضرورة إدراك الجميع لهذه الحقيقة أن ليس أحد من الأقوياء ولا الضعفاء في المجتمع غنى عن الآخر، فالله لم يودع شخصاً كل شيء، فقد جعل في

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩١

كل رأس فكرياً وفي كل بدن قوة وقدره؛ صغيراً كان أم كبيراً، وعليه فليس لمن كان مقتدرًا من حيث الفكر والإدارة والقوة البدنية أن يرى نفسه غنياً عن عون أضعف أفراد المجتمع، كما لا ينبغي للأفراد الضعفاء والعاجزين ظاهرياً أن يتصوروا أنهم ليس لهم دور في إدارة شؤون المجتمع.

روى عن الإمام الرضا عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «غريبان: كَلِمَةٌ حَكِيمَةٌ مِنْ سَفِيهِ فَاقْبَلُوهَا وَكَلِمَةٌ سَفِيهِ مِنْ حَكِيمٍ فَاعْفُوهَا فَإِنَّهُ لَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ وَلَا سَفِيَهُ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ» [٢٨٢].

والتاريخ يحتفظ في ذاكرته بالعديد من مثل هذه الحوادث منها ماورد في المعتصم:

لما خرج ملك الروم، وفعل في بلاد الإسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فاستعظمه وكبر لديه، وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهي اسيرة في أيدي الروم: وامعتصماه، فأجها وهو جالس على سريره: لبيك لبيك، ونهض من ساعته وصاح في قصره:

النفير النفير، وبلغه أن عمورية عين النصرانية وأشرف عندهم من القسطنطينية، فتجهز بما لم يعهد من السلاح وحياض الأدم وغير ذلك، وفرق عساكر ثلاث فرق، فخرّبوا البلاد الروم وقتلوا كثيراً وأحرقوا ووصلوا إلى فانورية، ثم اجتمعوا في عمورية وحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وكانت في غاية الحصانة.

وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في كتابه المسمى بالمسامرة فتح عمورية فقال: فتحها المعتصم في رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وسبب فتحها أن رجلاً وقف على المعتصم فقال: يا أمير المؤمنين كنت بعمورية وجارية من أحسن النساء أسيرة قد لطمها عالج

على وجهها، فنادت: وامعتصماه، فقال العلي: وما يقدر عليه المعتصم يجيء على أبلق ينصرك! وزاد في ضربها، فقال المعتصم: وفي

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩٢

أى جهة عمورية، فقال له: الرجل هكذا، وأشار إلى جهتها، فردّ المعتصم وجهه إليها، وقال: لييك أيتها الجارية، لييك هذا المعتصم بالله أجابك، ثم تجهز إليها في اثني عشر ألف فرس أبلق وفي هذه التلبية يقول له في قصيدة أبو تمام حبيب الطائي:

لَيْتَ صَوْتًا رَطِيًّا قَدْ هَرَقْتَ لَهُ كَأْسَ الْكُرَى وَرَضَابَ الْحَرْدِ الْعَرَبِ

فلما حاصرهما وطال مقامه عليها، جمع المنجمين، فقالوا له: إنا نرى أنك ماتفتحتها إلأفى زمان نضج العنب والتين، فبعد عليه ذلك واغتم لذلك، فخرج ليله متجسساً في العسكر يسمع ما يقول الناس، فمرّ بخيمة حداد يضرب نعال الخيل، وبين يديه غلام أقرع قبيح الصورة بضرب نعال الخيل ويقول: في رأس المعتصم، فقال له معلمه: اتركنا من هذا، مالك والمعتصم فقال: ما عنده تدبير، له كذا وكذا يوماً على هذه المدينة على قوته ولا يفتحتها، لو أعطاني الأمر ما بتّ غداً إلا فيها، فتعجب المعتصم ممّا سمع وانصرف إلى خيامه وترك بعض رجاله موكلًا بالغلام، فلما أصبح جاءوا به فقال: ما حملك يا هذا على ما بلغني عنك؟

فقال: الذى بلغك حقّ، ولكن ما وراء خباثتك، وقد فتح الله عمورية فقال: قد وليتك، وخلع عليه وقدمه على الحرب، فجمع الرماة، واختار منهم أهل الإصابة وجاء إلى بدن من أبدان الصور وفي البدن من أوله إلى آخره خطّ أسود من خشب، عرضه ثلاثة أشبار أو أكثر، فحمى السهام بالنار وقال للرماة: من أخطأ منكم ذلك الخطّ الأسود ضربت عنقه، وإذا بذلك الخطّ خشب ساج، فعند ما حصلت فيه السهام المحميّة قامت النار فيه واحترق، فنزل البدن كما هو، وتحامى الرجال، ودخل البلد بالسيف، وذلك قبل الزمان الذى ذكره المنجمون، وفي ذلك يقول أبو تمام حبيب الطائي في قصيدته التى امتدح بها المعتصم عند فتح عمورية:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ الشُّكِّ وَالزَّيْبِ [٢٨٣]

### تأمل: الحكومات الشعبية

كثّر الكلام في عالمنا المعاصر عن الحكومات الجماهيرية؛ لكنها غالباً ما تنتهى إلى دكتاتوريات مرئية وغير مرئية تقتصر على حفظ مصالح الأقوياء والغاصبين، كونها تفتقر إلى العنصر المعنوى والورع السياسى.

وقلنا غير مرئية، كون الطغاة يستعينون بالوسائل الاجتماعية المتطورة وأبواق الدعاية فى غسل أدمغة الجماهير ويصادرون آراءهم بوعودهم المعسولة، والنموذج الواضح فى عصرنا: الديمقراطية الأمريكية

أضف إلى ذلك فإن آراء هذه الحكومات فى أفضل صورة حكومة النصف زائد واحد ونتيجة ذلك الاصطفاف بين الطبقة الحاكمة والنصف ناقص واحد، وقد رأينا فى عصرنا مراراً الحكومات التى تتسلم الحكم من خلال آراء الشعب وحيث لم يعملوا لصالح الجبارة فقد سعوا بشتى الوسائل لإسقاطهم، فنجحوا فى أغلب الحالات، وكل ذلك كونهم يفتقرون فى حكومتهم المادية للغاية للشرط الأساس المتمثل بالعنصر الروحى، وعدم شعورهم بالمسؤولية أمام الله.

وما ورد فى كلام الإمام عليه السلام فى هذا الجانب من الخطبة يشير إلى سيادة الشعب بأحسن صورها، فقد تطرق بادئ الأمر إلى العنصر المعنوى للحكومة وذكر الجميع أنكم تغرقون بنعم الله بحيث لا يسعكم شكر عشر أعشارها مهما اجتهدتم فى طاعته ثم يوصى الحكام أنكم لا تستغنون عن مساعدة كل فرد فى المجتمع

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩٤

مهما بلغتم من القوة والعلم والتجربة والفتنة، فلا بدّ لكم من إشراك الجميع والاستعانة بهم.

ثم ذكر الجماهير بعدم اعتزال المساهمة في إدارة شؤون المجتمع كيفما كانت أعمارهم ومستوى علومهم، فلا بد من تضافر الجهود والتركيز على عنصر التقوى في تشكيل الحكومة المرضية لله والمجتمع [٢٨٤].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩٥

## القسم الرابع

### إشارة

فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ، يُكْتَبَرُ فِيهِ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ، وَيَذْكَرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَضِعُ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظَّمَتْ نِعْمَتُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَتُهُ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أزدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظْمًا. وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحِبُّ الْأَطْرَاءَ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ؛ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ أَنْحِطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ. وَرُبَّمَا اسْتَحَلَّى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُثَنُّوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقِ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضِ لَأَبْدُ مِنْ إِمْضَائِهَا.

## الشرح والتفسير: الشكر على الواجب

لما بلغ الإمام عليه السلام العبارة الأخيرة من القسم السابق «فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ، يُكْتَبَرُ فِيهِ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ، وَيَذْكَرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:».

لم يذكر شراح نهج البلاغة من كان ذلك الشخص، إلا أن المرحوم الكليني ذكر في «الكافي» كلاماً طويلاً بين أمير المؤمنين عليه السلام وذلك الرجل، ثم قال: ولم يشاهد

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩٦

أحد ذلك الرجل بعد ذلك الكلام [٢٨٥].

ومن هنا احتمل المرحوم الكليني أن ذلك الرجل هو الخضر عليه السلام الذي كان يرد في بعض المواقع الحساسة على الإمام عليه السلام فيؤدى وظيفته ثم يختفي عن العيون:

على كل حال حسب رواية «الكافي» فإن ذلك الرجل قال:

«أنت أميرنا ونحن رعيتك، بك أخرجنا الله عز وجل من الذل وإعزازك أطلق عباده من الغل، فاختر علينا وأمض اختيارك وائتمر فأمض ائتمارك فإنك القائل المصدق والحاكم الموفق والملك المخول لا نستحل في شيء معصيتك ولا نقيس علماً بعلمك، يعظم عندنا في ذلك خطرنا ويجل عنه في أنفسنا فضلنا».

فرد عليه الإمام عليه السلام فأستأنف مدحه وثنائه وتكررت هذه القضية مراراً ثم اختفى الرجل [٢٨٦].

على كل حال ما ورد في «نهج البلاغة» أن الإمام عليه السلام أجابه: «إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَضِعُ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ».

يبدو واضحاً تماماً هذا المعنى من خلال الالتفات إلى أن ذات الله وجود مطلق من جهة ولا متناهي من حيث العلم والقدرة وكل ما سوى الله، قطرة إزاء بحر عظيم متلاطم، كما ورد ذلك في خطبة همام في صفات المتقين: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي



أَعْيَنِهِمْ». فمن تطلع لقرص الشمس كان ضوء الشمعة لا شيء بنظره.

ثم أضاف عليه السلام: «وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أزدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظَمًا». هذا الكلام في الواقع جواب على مديح ذلك الرجل المحب للمولى عليه السلام، أى لا تظن أن نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩٧

كلامك يسوقنى للكبر والغرور، فأولاً: أنا عرفت الله بعظمته وما سواه صغير حقير بنظرى. وثانياً: أنا مشمول بنعم جمه وعلى أن أخضع أكثر من الآخرين لولى نعمتى.

وقال مكملًا ومؤكداً هذا الكلام: «وَإِنَّ مِنْ أَشْخَفِ [٢٨٧] حَالَاتِ الْوَلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبَّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنَّى أَحَبُّ الْأَطْرَاءِ [٢٨٨]، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ؛ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ».

صحيح أنه طبق بعض الاحتمالات كان ذلك المادح هو الخضر عليه السلام ولم ينطق سوى بالحق وما أورده كان فى الإمام، بل أكثر من ذلك، إلا أن الإمام أشار إلى أمر ضرورى وهو أننى لا استحسن حتى الثناء بالحق فلعله يخلق انطباعاً لدى السامع فيظن أنه يحب هذا الكلام ويتصف بالكبر والفخر والعجب الذى يؤثر سلباً على علاقة الإمام بالامة.

ثم قال الإمام عليه السلام: «وَلَوْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ». «وَرُبَّمَا اسْتَحَلَّى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُشْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِ نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضٍ لَأُبَدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا».

ورد فى النسخة الموجودة فى المتن المذكور «وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ» إشارة إلى تقوى الإمام عليه السلام وخشيته فى أداء حقوق الناس، بينما ورد فى بعض نسخ «نهج البلاغة» ومتن «الكافي» «بقية» ومعنى ذلك، ما زالت لكم على بقية حقوق لا بد أن أجد فى أدائها، فقد أبان الإمام عليه السلام فى هذه العبارة غاية رفعتة، حيث بين عدم إكترائه بالمدح والثناء من جانب ومنتهى خضوعه لله من جانب آخر وبالتالي اعترافه بعدم أداء الحقوق بصورة كاملة، الأمر الذى قلما نجده فى زعيم طيلة التاريخ.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩٨

## تأملان

### ١. المدح والثناء

مدح الآخرين والثناء عليهم على نوعين؛ نوع ايجابى وبناء وسبب حركة الخدام ويأس الخونه ورقى المجتمع، والآخر مدعاة للخراب والتخلف وتقوية شوكة الظلمة، وللنوع الأول ثلاثة شروط: الأول، مدح من يستحق المدح، الثانى، عدم خروج المدح عن حده، والثالث، ألا يكون هدف المادح التقرب إلى الممدوح وتحقيق الاطماع.

قال النبى صلى الله عليه وآله: «إِذَا مَدِحَ الْفَاجِرُ اهْتَرَّ الْعَرْشُ وَعَظِبَ الرَّبُّ» [٢٨٩].

وورد فى حديث آخر: «الثَّنَاءُ بِأَكْثَرِ مِنَ الْأَسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْأَسْتِحْقَاقِ عَيٌّْ أَوْ حَسَدٌ» [٢٩٠].

ولا ينبغى الغفلة عن هذا الأمر فى ضروره الأخذ بنظر الاعتبار قابلية الممدوح؛ حذراً من أن يدعوه المدح للغرور ويحرفه عن الحق، كما ورد فى قصار كلمات الإمام على عليه السلام: «رَبِّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ» [٢٩١].

لا شك فى أن كل هذه الأمور مع أخذها بنظر الاعتبار فإن المدح والثناء دلالة على التقدير ومعرفة الحق ومدعاة لتشجيع الأخيار والصالحين.

وتعقد اليوم العديد من التجمعات لتكريم المهرة من خدمة المجتمع والعلماء الأعلام وأصحاب الكفاءات العالية وتقدم لهم الجوائز

تقديراً لجهودهم مثلاً، للكتاب جراء أفضل كتاب للسنة والعمال والفلاحين النموذجيين ورسائل السلام والصدقة في العالم وتكريمهم وتقديرهم، والتي تلعب دوراً بناءً إن لم تكتسب صبغةً سياسية وتقدم الروابط على الضوابط وحفظ الشرط الثالث المذكور في حسن نية المشرفين.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ١٩٩

إلا أن النوع الثاني يناقضه تماماً؛ أي إذا مدح الأشرار وغير المستحقين وأثنى عليهم أكثر من الحد وكانت دوافع ذلك العوامل السياسية والحب والبغض الشخصي تشجع الطالحون ويئس الفضلاء والخيرون، فينفرد المتملقون في الميدان والمجتمع ويتوقع الصادقون المخلصون.

قال علي عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالْمَلَقُ فَإِنَّ الْمَلَقَ لَيْسَ مِنْ خَلَائِقِ الْإِيمَانِ» [٢٩٢].

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «أَخْتُوا فِي وُجُوهِ الْمُدَّاحِينَ الثُّرَابَ» [٢٩٣].

والنقطة الأخيرة في هذه الرسالة ونرى من الضروري ذكرها أن للمدح أحياناً جانباً إيجابياً ويتصف بالشروط المذكورة، لكنه يخلق حالة شاذة لدى الرأي العام ويتهم الممدوح بحب المادح وهذا ما ينبغي أيضاً الابتعاد عنه، وأكثر ما ورد في هذه الخطبة من هذا القبيل.

## ٢. السنة التملق

التملق كما قيل، المدح والثناء الذي يتجاوز الحدود والكلام الجُزاف في فضائل الأفراد للتقرب منهم والاستفادة من منافعهم المادية، حتى ذكر الصفات الحقيقية لشخص دون الإشارة إلى نقاط ضعفه يعدّ نوعاً من التملق، وأبعد من ذلك ما يفعله بعض المتملقين ممن جعل نقاط الضعف كنقاط القوة والتملق عادة لأرباب القدرة والجاه والذي يعتبر من أعظم المخاطر التي تهدد الولاية والحكام والمدراء، لأن أول شرائط الإدارة المعرفة بالحقائق المتعلقة بحيز الإدارة والمتملقون يغطون الحقائق ويخفونها عن انظار المدراء والمسؤولين فيخلق ما لا يحصى من المفاسد.

والعجيب أن الزعماء الضالين غير المؤهلين غالباً ما يشجعون المتملقين ويمتعظون من قول الحق ويشعرون بالهدوء الكاذب من تملق المتملقين.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠٠

وقد عدّ الإمام عليه السلام التملق من أسوأ الأمراض أو مرض لا علاج له «أدوى الداء الصلف» [٢٩٤] واحد معاني الصلف التملق والآخر مدح الذات.

وقال في موضع آخر: «إِنَّمَا يُجِبُّكَ مَنْ لَا يَتَمَلَّقُكَ» [٢٩٥].

وقال: «لَيْسَ الْمَلَقُ مِنْ خُلُقِ الْأَنْبِيَاءِ» [٢٩٦].

ولا- ينبغي أن ننسى أن التملق يتم تارة بصورة مباشرة وأخرى غير مباشرة أو عن طريق النثر أو الشعر أو العمل وكل آثاره السيئة متساوية.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠١

## القسم الخامس

### إشارة

فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تَكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَتَّظُّنُوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَمَّا التَمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مِنْ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكْفُفُوا عَن مَقَالِهِ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَيْدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَمَّا رَبٌّ غَيْرُهُ؛ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

### الشرح والتفسير: لا تملقوا أمامي

جانب مهم من هذه الخطبة- كما أشرنا- في بيان حقوق الوالي والرعية وقد غير الإمام عليه السلام مسار الخطبة بعد أن أتني عليه أحد الحاضرين إلى جانب خاص من حقوق الوالي والرعية وهو ترك المدح والثناء على الولاية والحكام. ثم خاض هنا آخر الخطبة في آفة أخرى من آفات الحكام والناس في أن إرتباطهم ببعضهم علاقة تملق وكتمان الحقائق المريرة لصعوبتها وترك النقد الصائب والبناء فقال: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تَكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ» [٢٩٧]، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠٢

إشارة إلى أن العاديين من الأفراد حين يقفون بين يدي الجبابرة يخفون شخصيتهم الحقيقية ويتحفظون عن كل نقد وشكوى واعتراض حذراً من أن يغضبوا عليهم، ويسعون بالعكس إلى الأمان من شرهم بالمدح والثناء والتملق، ومن هنا فلا تتضح لهم قط الحوادث الحقيقية في المجتمع فيغطون في وادي الضلالة والجهل.

يطمنن الإمام عليه السلام كل مخاطبيه بضرورة بت ما لديهم من شكوى ومشكلة فهم أحرار في ما يقولون بشأن الحكومة والمجتمع. نعم فهذه إحدى الفوارق البارزة بين حكام العدل والجور، ورد في «العقد الفريد»: وقام رجل إلى هارون الرشيد، وهو يخطب بمكة، فقال: «كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» [٢٩٨]. فأمر به فضرب مائة سوط، فكان يثن الليل كله ويقول: الموت! الموت! فأخبر هارون أنه رجل صالح، فأرسل إليه واستحلّه فأحلّه [٢٩٩].

وجاء في نفس هذا الكتاب أيضاً: جلس الوليد بن عبد الملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرت الشمس، فقام إليه رجل فقال: ...، إنَّ الوقت لا ينتظر ك، وإنَّ الربَّ لا يعذر ك، قال: صدقت: ومن قال مثل مقالتك، فلا ينبغي له أن يقوم مثل مقامك، من هاهنا من أقرب الحرس يقوم إليه فيضرب عنقه [٣٠٠].

بينما رأينا مراراً في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أن عدداً من المنافقين تفوهوا بأسوأ الكلمات بحضرته كالأشعث بن قيس وبعض الخوارج، فلم يتعرض لهم قط.

ثم قال مواصلاً ذلك الكلام: «وَلَا تَتَّظُّنُوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا التَمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مِنْ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ».

إشارة إلى أن الذين لا يطيقون سماع الانتقاد أعجز عن ممارسة الإصلاح، ومن هنا يوغلون كل يوم في مزيد من الظلم والفساد، وشجع الإمام عليه السلام في تأكيد هذا

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠٣

الكلام جميع مخاطبيه ببيان الحق صراحة وذكر المشاكل الفردية والاجتماعية والتأكيد على العدالة الاجتماعية فقال: «فَلَا تَكْفُفُوا عَن مَقَالِهِ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي».

الجملة «فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ» كانت مبرراً لبعض مخالفي عصمة الأئمة وأكثرها الضجيج بشأنها، بينما العبارة «إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي» تفسرها بصراحة، فمفهوم العبارة الاولى أنني كإنسان لا آمن الخطأ، ومفهوم العبارة الثانية لي وضع آخر في ظل رعاية الله، شبيه ما أورده القرآن بشأن النبي يوسف عليه السلام: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» [٣٠١].

إشارة إلى أن يوسف عليه السلام كإنسان يخشى عليه أن يتلوث بأهواء امرأة العزيز، إلا أن مشاهدته برهان الرب الذي يشير إلى مقام وعصمة يوسف ومعرفته الرفيعة بالله، حفظته من ذلك.

أضف إلى ذلك فإن الإمام عليه السلام في مقام تربيته وتعليم أصحابه فيرشدهم إلى احتمال الخطأ على أنفسهم مهما كانوا؛ لكنه يضع نفسه في زمرتهم تواضعاً، على كل حال لا ينبغي التذرع بهذه العبارة إزاء كل الأدلة على عصمة النبي والإمام.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ. قِيلَ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ» [٣٠٢].

والشاهد البالغ الآخر على ما قلنا ما أورده الإمام عليه السلام أواخر الخطبة ٩٧: «وَإِنِّي لَعَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّ وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقَطُهُ لِقَطًا».

وعلى هذا الضوء للإمام عليه السلام يؤيد أنه سائر على الصواب دائماً بلطف الله ولا سبيل للخطأ إليه.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠٤

ثم قال في إكمال وتأيد الكلام المذكور: «فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لِمَا رَبَّ غَيْرُهُ؛ يَمْلِكُكَ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُكَ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى».

وكما ذكر فإن رواية في «الكافي» حيث وردت هذه الخطبة أطول مما ورد في «نهج البلاغة»، والسيد الرضي اقتطف في الواقع جوانب من الخطبة.

ونقرأ في رواية «الكافي» قسماً آخر من هذه الخطبة:

«يقال: لم ير الرجل بعد كلامه هذا لأمير المؤمنين، فأجابه وقد عال الذي في صدره فقال والبكاء يقطع منطقه وغصص الشجا تكسر صوته إعظاماً لخطر مرزئته ووحشه من كون فجيعة».

فحمد الله وأثنى عليه، ثم شكوا إليه هول ما أشفى عليه من الخطر العظيم والذل الطويل في فساد زمانه وانقلاب جدّه وانقطاع ما كان من دولته ثم نصب المسألة إلى الله عز وجل بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجع وحسن الثناء، فقال: يا ربّانّي العباد ويا سكن البلاد أين يقع قولنا من فضلِكَ وأين يبلغ وصفنا من فعلِكَ أنّي نبلغ حقيقة حسن ثنائِكَ أو نحصى جميل بلائِكَ فكيف وبك جرت نعم الله علينا وعلى يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا، ألم نكن لذلّ الدليل ملاذاً وللعصاة الكفار إخواناً فيمن إلّا بأهل بيتك وبك أخرجنا الله عز وجلّ من فضاة تلك الخطرات، أو بمن فرج عنا غمرات الكربات...» [٣٠٣].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠٥

## الخطبة ٢١٧

### إشارة

فِي الظُّلْمِ وَالتَّشْكِيِّ مِنْ قُرَيْشٍ [٣٠٤]

### نظرة إلى الخطبة

كما قيل في سند الخطبة فإن هذه الخطبة والخطبة ١٧٢ والخطبة ٢٦ تشترك مع بعضها في أقسام مختلفة وتبدو أنها رسالة كتبها الإمام عليه السلام أواخر حكومته في الرد على طائفة من أصحابه، فقد أصرت طائفة على الإمام أن يبين رأيه في الأحداث التي أعقبت عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعصر الخلفاء.

فكتب الإمام عليه السلام بناءً على إصرارهم هذه الرسالة وأمر بقراءتها على الناس حتى لا يتمكن المخالفون من تزييف الحقائق وتحريف التاريخ.

أشار الإمام عليه السلام إلى قضيتين أساسيتين في هذه الخطبة:

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠٦

الأولى: إنه شكاً قريشاً لله أنهم اتحدوا على هضمه حقه وأنهم قالوا له صراحة عليك أن تنازل عن حَقِّكَ في الخلافة!  
الثانية: إن الإمام عليه السلام شرح علّة عدم قيامه لأخذ حقه لأنه لم يجد أعواناً على هذا الأمر وقد رأى الخطر محققاً بأرواح أهل بيته.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠٧

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعْيَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَوُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا:

أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَعْمُومًا، أَوْ مُتَّ مُتَّاسِفًا. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي؛ فَضَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَيْتَةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى، وَجَرَعْتُ رِيْقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ، وَأَلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشُّفَارِ.

قال الشريف رضي الله عنه: وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمه، إلا أنني ذكرته هاهنا لاختلاف الروايتين.

### الشرح والتفسير: تحمل الصعاب

استهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة قائلاً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعْيَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَوُوا [٣٠٥] إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي».

بالرغم من أن الإمام عليه السلام قال هذا الكلام أواخر عهد خلافته، لكن هنالك خلاف عند شراح «نهج البلاغة» والمؤرخين بشأن الزمان، فهل المراد قضية السقيفة والأحداث التي أعقبت وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أم الشورى التي تألفت من ستة

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠٨

أشخاص أم الزمان الذي نكث فيه العهد طلحة والزبير واشعلا فتنة حرب الجمل؟

ويبدو الاحتمال الأول هو الأقوى من بينها ثم الثاني، بينما يستبعد الاحتمال الثالث فتمرد طلحة والزبير لا يعد من اجتماع قريش على الإمام.

العبارة «أَسْتَعْدِيكَ» من «الإستعداد» بمعنى الاستعانة أو الشكوى لأحد.

العبارة «إِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي» ربما تشير إلى أن غاصبي الخلافة استندوا إلى القرابة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حين كان الإمام أقرب إليه من غيره.

العبارة «أَكْفَوُوا إِنَائِي» يمكن أن تكون إشارة إلى أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو الذي ملأ هذا الإناء وسلّمه إلى الإمام وعرفهم به أنه الولي بالخلافة من الجميع كراراً؛ لكنهم قلبوا إناء ماء الحياة رأساً على عقب.

أمّا قوله إنّه أولى بهذا الحقّ منهم جميعاً فهذا ممّا ثبت بالدليل العقلي والنقلي لكلّ منصف؛ فليس هنالك من يمتلك شجاعته أو ورعه وتقواه وزهده.

نقل ابن أبي الحديد في شرح الخطبة ١٧٢ حين ذكر هذه العبارة، عبارات شبيهة أخرى تدلّ جميعاً على أنّ عليّاً عليه السلام كان يرى الخلافة حقّة المسلّم وقد غصبه الآخرون، ثم قال: فسرت الإماميّة والزيديّة هذه العبارات حسب ظاهرها ولم يروا غير علي عليه السلام يليق بها، وأضاف قائلاً: رغم أنّ هذا هو الظاهر الذي ذهبوا إليه لكننا نعتبرها كالمتشابه من الآيات فلا نحملها على ظاهرها [٣٠٦]. هذا الكلام العجيب ناشىء عن نوع من التعصب والذهنيّة المريضة ومعنى ذلك أننا لا نقبل سوى ما نرغب فيه، يقول جزءاً من المتشابهات، في حين يرد المتشابه عندما يكون هنالك إبهام وإجمال في الكلام، لا مثل هذا الكلام الواضح الصريح. ثم أشار الإمام عليه السلام إلى منطق مخالفه العجيب: «وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَعْمُومًا، أَوْ مُتَّسِفًا».

حقّاً هذا منطق رهيب أن يعترف الإنسان ببعض الأمور أنّها حقّ لكن لا بدّ من نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٠٩

التنازل عنها استجابةً للقوّة والغطرسه فأمّا أن يصبر ويتحمل أو يموت كمدّاً من القهر، وهذا هو الشعار الذي يهتف به الاستكبار العالمي خفية أو علانية: «الْمَلِكُ لِمَنْ غَلَبَ» ولا بدّ هنا من سؤال ابن أبي الحديد: هل هذه العبارة جزء من المتشابه وينبغي تأويلها وعدم حملها على الظاهر؟!

ثم قال الإمام عليه السلام مواصلاً كلامه: «فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ [٣٠٧]، وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي؛ فَضَعْنَتْ [٣٠٨] بِهِمْ عَنِ الْمَيْتَةِ».

تشير هذه العبارة إلى أنّ الناس انسأقت للحكومة آنذاك فهذا طمعاً وذاك خوفاً وثالث حقداً وبغضاً ورثه من المعارك الإسلاميّة السابقة، وأخيراً الغفلة الجهالة، كان من الطبيعي أن يتعذر على الإمام في ظل تلك الشرائط أن ينهض ليشكل حكومة العدل الإسلامي وهي الامتداد لحكومة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ومن هنا قال إثر ذلك: «فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَسْدَى [٣٠٩]، وَجَرَعْتُ رِبْقِي عَلَى الشَّجَا [٣١٠]، وَصَيَّرْتُ مِنْ كَظْمِ الْعَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَمِ [٣١١]، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ [٣١٢] الشُّفَارِ [٣١٣]».

إشارة إلى أنّه لا ينبغي قط أن يفسّر سكوتى على تلك الاوضاع بالدليل على الرضى، بل إنى أتأوه بشدّة من الانحرافات التي أعقبت وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الحكومة الإسلاميّة؛ لكن لم يكن أمامى سوى الصبر والسكوت.

وعقب اختتام الخطبة: «قال الشريف رضى الله عنه: وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدّمة، إلّا أنّي ذكرته هاهنا لاختلاف الروايتين».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢١١

## الخطبة ٢١٨

### إشارة

في ذكر السائرين إلى البصرة لحرّبه عليه السلام [٣١٤]

### نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام في هذه العبارات القصيرة إلى الجرائم المتعددة التي إرتكبها أصحاب الجمل الذين انطلقوا برفقة عائشة وطلحة والزبير في طريقهم إلى البصرة ليمردوا على الإمام عليه السلام، ويثبوا التفرقة في صفوف أهل البصرة الذين كانوا متحدين على بيعه الإمام وطاعته، فقد نهب أصحاب الجمل بيت مال المسلمين ونحو خزانه وقتلوا طائفة من شيعة الإمام فثمة ممن قاومتهم وإرتكبوا بعض الجنايات التي لا يأتيتها من كان له أدنى حظ من الإيمان.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢١٣

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَالِي وَخُزَانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي؛ فَشَتَّوْا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَّبُوا عَلَيَّ شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا؛ وَطَائِفَةً عَضُوبًا عَلَيَّ أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ.

### الشرح والتفسير: جنایات أصحاب الجمل في البصرة

كما ورد في سند الخطبة فإن هذا الكلام في الواقع جانب من رسالة طويلة كتبها الإمام عليه السلام لتسجل في التاريخ وعدم نسيان الحوادث المريرة التي حدثت بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

أشار الإمام عليه السلام في هذا الكلام القصير إلى الجنايات العظمى للناكثين الذين أثاروا فتنه حرب الجمل قال: «فَقَدِمُوا عَلَيَّ عُمَالِي وَخُزَانِ مَالِ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ».

ثم أضاف قائلاً: «وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي؛ فَشَتَّوْا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ».

وأشار إلى جريمتهم الكبرى الثالثة وقال: «وَوَثَّبُوا عَلَيَّ شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا؛ وَطَائِفَةً عَضُوبًا عَلَيَّ أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ».

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢١٤

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة القصيرة إلى ثلاث من جرائمهم البشعة: نهب بيت المال، بث الفرقة والنفاق في صفوف المسلمين وقتل عدد من الأبرياء من المسلمين الصالحين الصادقين.

ورد في حوادث الجمل [٣١٦]، عندما أقبلت عائشة- إلى البصرة- على جملها فنادت بصوت مرتفع: أيها الناس، أقلوا الكلام واسكتوا، فأسكت الناس لها، فقالت: إن أمير المؤمنين عثمان قد كان غير وبدل، ثم لم يزل يغيب ذلك بالتوبة.. ألا إن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتهم بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شوري بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان.

قال (الراوي): فماج الناس واختلطوا، فمن قائل: القول ما قالت، ومن قائل يقول:

وما هي وهذا الأمر، إنما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها، وارتفعت الأصوات وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال، وتراموا بالحصا.

ثم إن الناس تمايزوا وصاروا فريقين: فريق مع عثمان بن حنيف، وفريق مع عائشة وأصحابها [٣١٧].

هذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بشأن بث النفاق والفرقة بين المسلمين الذين كانوا متحدين من قبل الفئة الباغية التي شقت عصا المسلمين وزرعت الفتنة بينهم إلى يوم القيامة.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢١٥

### الخطبة ٢١٩

لَمَّا مَرَّ بِطَلْحَةَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ وَهُمَا قَتِيلَانِ يَوْمَ الْجَمَلِ [٣١٨]

### نظرة إلى الخطبة

هذا الكلام القصير الذي اقتطفه المرحوم السيد الرضى من كلام طويل يبين في الواقع ثلاث نقاط: إحداها، إعرابه عن أسفه على قتل طلحة الذي ما كان ينبغي أن يسلك هذا الطريق الخاطئ وله تلك السوابق في الإسلام فيقتل تلك القتلة الغريبة تحت السماء. الأخرى، أن أمراء معركة الجمل الذين قتلوا خزان بيت مال المسلمين في البصرة وشيعة الإمام سينالون جزاءهم. والثالثة، أن أولئك (وأمثالهم) لم يكونوا مؤهلين لما كان يدور في أذهانهم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢١٧

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ فَتَلَى تَحْتَ بَطُونِ الْكُؤَاكِبِ! أَدْرَكْتُ وَتَرَى مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَفَلَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جَمَحٍ، لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَيَّ أَمْرٌ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوْقِصُوا دُونَهُ!

### الشرح والتفسير: المشهد المروع بعد الجمل

كما قيل، فإن الإمام عليه السلام قال هذا الكلام لما مرّ بعد حرب الجمل بجسد طلحة بن عبد الله وعبدالرحمن بن عتاب اللذين صرعا غريبين على التراب.

وطلحة بن عبد الله هو صاحب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المعروف الذي بايع الإمام بعد مقتل عثمان ولكن حين لم تتحقق آماله في الوصول إلى حكمته بعض الولايات الإسلامية، رفع لواء المعارضة واتحد مع الزبير وعائشة واشعل فتيل حرب الجمل واكتوى بنارها.

ولم يكن عبدالرحمن بن عتاب من الصحابة؛ ولكنه يعتبر من التابعين، وكان أبوه عتاب ممن أسلم في فتح مكة وولاه النبي صلى الله عليه وآله إمرة مكة، وكان لوالده آنذاك اثنتان وعشرون سنة وقال له النبي لو كان هنالك من هو أفضل منك لذلك الأمر لوليتيه، واستمر ذلك حتى عهد أبي بكر وتوفى مع أبي بكر في نفس اليوم، لكن للأسف فإن ابنه عبدالرحمن انحرف عن الجادة وأصبح العوبة بيد طلحة والزبير ووسيلة لتحقيق أطماعهما حتى قتل في حرب الجمل فكان جسده في العراء قرب جسد طلحة.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢١٨

قيل: لما قتل عبدالرحمن بن عتاب في الجمل حمل يده المقطوعة عقاباً وألقى بها في اليمامة وتعزف الناس على خبره من خاتمه الذي خط عليه اسمه.

على كل حال، أعرب الإمام عليه السلام في بداية الخطبة عن أسفه لقتل طلحة فقال:

«لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا!».

التعبير (أبو محمد) دلالة على نوع من الاحترام والأسف على غربته لسوابق طلحة الحسنة في الإسلام، حيث كان ممن صحب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومن الأشداء في الذب عن بيضة الإسلام؛ ولكن للأسف فإن حب الجاه والمقام والحسد دفعه لشن حرب دموية ضد خليفة المسلمين الذي نصب من جانب الله والمبايع من قبل الأمة والتي خلفت أكثر من سبعين ألف قتيل.

ثم قال الإمام عليه السلام: «أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ فَتَلَى تَحْتَ بَطُونِ الْكُؤَاكِبِ!».

صحيح أن طلحة والزبير وأمثالهما يستحقون ذلك العقاب، لكن الإمام عليه السلام أعرب عن امتعاضه بكل حب ورأفة وعاطفته الخاصة بالنظر لسوابقه في الإسلام ليته لم يقتل في هذا الطريق وتكون هذه العاقبة، فجميع الأنبياء والأوصياء وأولياء الله يرجحون كف



الخاطئين وحتى المجرمين الطغاة عن مسيرتهم والالتحاق بصفوف المؤمنين والصالحين. ثم قال عليه السلام: «أَدْرَكْتُ وَتَرَى [٣١٩] مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْافٍ، وَأَفْلَتَنِي [٣٢٠] أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ».

هنالك خلاف بين الشراح بشأن المراد من «بني عبد مناف» من هم؛ قال البعض:

إن المراد بهم طلحة والزبير وعبدالرحمن الذين أشير إليهما آنفاً.

وأشكل ابن أبي الحديد على أن طلحة والزبير لم يكونا من بني عبدمناف، واجيب أنهما يتصلان بعبد مناف من جانب الام وإن لم يتصلا به من طرف الأب.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢١٩

واعترض المرحوم العلامة التستري في شرحه لنهج البلاغة على هذا الكلام من جهتين: الأولى أن الانتساب إلى القبائل في عرف العرب عن طريق الأب؛ وليس الام، والأخرى أن أم الزبير وإن انتهى نسبها لعبد مناف كونها بنت عبدالمطلب إلا أن أم طلحة كانت من اليمن. ولم يذكر العلامة التستري بعد هذين الاعتراضين، من الأفراد المرادون ببني عبد مناف.

وربما كان في أهل الجمل غير عبد الرحمن، بنو عبد مناف الذين إرتكبوا بعض الجرائم وقتلوا هناك؛ إلا أن أسماءهم لم ترد في التاريخ لعدم شهرتهم.

فبنو جمح طائفة من قريش كانت في معسكر أهل الجمل؛ ولما رأوا المعركة ليست لصالحهم فروا ولم يقتل منهم سوى اثنان.

واختتم عليه السلام هذا الكلام قائلاً: «لَقَدْ أَتَلَعُوا [٣٢١] أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوْقَ صُوا [٣٢٢] دُونَهُ!».

هذا الكلام إشارة إلى طلحة والزبير وأمثالهما الذين يفتقرون لأهلية الخلافة بوجود الإمام عليه السلام بل ليس لهم أهليتها حتى مع عدم وجود الإمام عليه السلام، فحبّ الجاه والتعلق بالدنيا يحول دون أهلية زعامه الأمة الإسلامية.

## تأملان

### ١. حبّ دنيا وعواقبه المشؤمة

كان طلحة والزبير من السابقين إلى الإسلام الذين قاتلوا ببسالة دفاعاً عن النبي والإسلام، كما كانت لهما مكانتهما المميزة بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى درجة أن عمر لم يتمكن من تجاوزهما في الشورى التي شكّلها لانتخاب الخليفة من بعده؛ لكن حبّ الجاه والمقام والتعلق بالدنيا أخرجهما عن طريق الحق فغيرا مسارهما والتحقا

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٢٠

بصفوف المنافقين.

فمن جانب غارا على بيت مال المسلمين في البصرة وقتلا خزان بيت المال واستغلاه لإثارة معركة الجمل.

ومن جانب، آخر أجبجا نيران فتنة الجمل التي راح ضحيتها مئات الآلاف من المسلمين وأساسا للحروب الأهلية.

ومن جانب ثالث، أخرجنا زوج النبي صلى الله عليه وآله من بيتها وجعلوها مطية لأهوائهم السياسية فانتهاكا من خلال ذلك حرمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ومن جانب رابع، كلاهما قتل في تلك المعركة ولم يحققا اطماعهما الشخصية، وبالطبع سيدوقا وبال أمرهما يوم القيامة بما سوّدا به صحيفة أعمالهما.

هذه كلّها نتائج حبّ الجاه وحبّ الدنيا، الأمر الذي عدّه جميع الأنبياء والأولياء مصدر جميع الذنوب فقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» [٣٢٣].

وقد بين الإمام عليه السلام هذه الحقيقة بوضوح بعبارات موجزة عقب الجمل طبق رواية المرحوم الشيخ المفيد، قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة في قضية معركة الجمل: «مرّ الإمام عليه السلام بعد الجمل بطلحة قتيلاً فقال: أجلسوه، فأجلسوه، فقال: «لَقَدْ كَانَ لَكَ قَدَمٌ لَوْ نَفَعَكَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَضَلَّكَ فَأَزَلَّكَ فَعَجَّلَكَ إِلَى النَّارِ» [٣٢٤].

## ٢. الكفاءة الشرط الأول لكل عمل

صرّح الإمام عليه السلام محتملاً خطبته المذكورة بأن طائفه اشترأت أعناقها لنيل الحكومة الإسلامية؛ وحيث لم تكن جديرة بها فقد كسرت رقبتها، إشارة إلى أن كل عمل ومشروع يتطلب كفاءة معينة ولا يكفي مجرد الرغبة بالشئ بغية الوصول إليه

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٢١

ولا يمكن شغل مواقع العظماء بالمجان إلّا أن يعدّ الإنسان الأسباب العظيمة.

صحيح أن البعض استند إلى تلك المواقع دون إعداد تلك الأسباب؛ ولكنهم واجهوا الهزيمة والخسران في خاتمة المطاف إثر سوء إدارتهم.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٢٣

## الخطبة ٢٢٠

### إشارة

في وَصْفِ السَّالِكِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ [٣٢٥]

### نظرة إلى الخطبة

كما يتضح من عنوان الخطبة خاض الإمام عليه السلام في هذا الكلام الموجز البليغ، في التعريف بالسالك إلى الله والسائر على الطريق وعدّ سبب موفقيته إلى إحياء العقل وإماتة أهواء النفس وصرح أن بارقه من نور ألطاف الحق تقتدح في قلبه في ظل هذا العمل؛ الذي يضيء المسير ويوصله إلى مقام النفس المطمئنة ورضى الله.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٢٥

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطَفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَمَاعِعُ الْبُرُوقِ، فَأَيَّانَ لَهُ الطَّرِيقُ، وَسَيْلَكَ بِهِ السَّبِيلُ، وَتَدَا فَعْتُهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الْأَقَامَةِ، وَتَبَّتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينِهِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ.

### الشرح والتفسير: سالك طريق الحق

طرح الإمام عليه السلام في هذا الكلام العميق المعنى، دورة عرفانية إسلامية من خلال عبارات موجزة واستعرض شرائط السير والسلوك إلى الله ونتائجه ومقاماته فقال:

«قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ [٣٢٦]، وَلَطَفَ غَلِيظُهُ [٣٢٧].»

إحياء العقل إشارة إلى الانفتاح على الأدلة العقلية لتكامل الإيمان والحسن والقبح العقليين لتكامل الفضائل الأخلاقية، وهكذا فإن مفردة العقل هنا تشمل العقل النظري والعقل العملي.

أما النفس فلا تعنى القضاء على الغرائز النفسانية، بل المراد تهذيبها بحيث لا يسعها القذف بالإنسان في مصائد الشيطان وتصده عن سبيل الله.

المفردة «جليل» في العبارة «دَقَّ جَلِيلُهُ» إشارة إلى الأبدان السمينه والتي أصبحت بهذه الصورة إثر كثرة الأكل والافراط في أكل الأطعمة الدسمة، ويخفف

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٢٦

الوزن بترك الشهوات.

والمفردة «عَلِيظ» في «لَطَفَ عَلِيظُهُ» إشارة إلى أن الخلق الخشن والردائل الأخلاقية تتلطف في ظل الرياضة النفسانية.

ثم اتجه الإمام عليه السلام صوب آثار هذه الحركة العقلانية والرياضة الشرعية ليعد ثمارها الطيبة في ثلاث فقال: «وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرٌ الْبُرُقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ».

وهذا هو نور المعرفة والمعنويات التي تتجلى للإنسان إثر الرياضات العقلانية والنفسانية وتضيئ له الطريق كما يقول القرآن المجيد:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ» [٣٢٨].

فقد شبه السائرين على الدرب بالسالكين لطريق صحراوي مظلم؛ ولكنهم يشملون بالعبادات الربانية، يبرق لهم بريق من السماء فينير

لهم الطريق ليلج لهم عمق الصحراء. صرح بعض العارفين المسلمين بثلاث مراحل لأنوار الهداية الربانية التي تحصل إثر الرياضات

النفسانية، المرحلة الأولى التي تسمى «اللوائح»؛ وهو نور يشرق في باطنهم؛ ولكنه لا يدوم طويلاً. المرحلة الثانية، التي تسمى «اللوامع»

التي لا تزول بسرعة؛ ولكنها تنطفئ بالتالي، والمرحلة الثالثة، «الطوالع» التي تدوم مدة مديدة وتصون السالك إلى الله من الانحراف.

وقال في القسم الثاني من تلك الآثار: «وَتَدَفَعَتْهُ [٣٢٩] الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الْأَقَامَةِ».

على غرار ما ورد في القرآن الكريم: «لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيَتَّبِعُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [٣٣٠].

نفحات الولاية؛ ج ٨؛ ص ٢٢٦

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٢٧

وقال على لسان أهل الجنة: «إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ\* الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» [٣٣١].

ثم قال في القسم الثالث من تلك الآثار: «وَبَيَّنَّتْ رِجْلَاهُ بِطَمَآنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ».

وكانه ماورد في القرآن: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ\* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً\* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي\* وَأَدْخُلِي جَنَّتِي» [٣٣٢].

نعم! الإنسان في مسير القرب إلى الله في كل زمان يكون عرضه لوساوس شياطين الجن والإنس ويهزه خوف الضلال حتى يبلغ ما

يزيل عن سماء روحه غيوم وساوس النفس والشيطان، ويقدم في كيانه بريق معرفة الله فيعيش السكينة التامة ويستحق الخطاب

«فَادْخُلِي فِي عِبَادِي\* وَأَدْخُلِي جَنَّتِي».

ثم اختتم هذا الكلام بالتأكيد على هذه الحقيقة: «بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَىٰ رَبَّهُ».

نعم! وهذا ما اشير له في الآيات المذكورة: «ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً».

### تأمل: مقامات السير والسلوك

إن رواج التعبير بالسير والسلوك في تعبيرات أهل العرفان في عصرنا والعصر القريب منه مقتبس في الواقع من القرآن حين قال: «يَا

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْ قِيَهٗ» [٣٣٣].

وآيات التوبة مثل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا» [٣٣٤]. (بالنظر إلى

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٢٨

أنَّ التوبة في الأصل تعنى العودة). والآية الشريفة «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» [٣٣٥].

الواقع أنَّ روح الإنسان كالغواص الذى وطئ عالم المادة واقترب بالجسم المادى ليغوص فى أعماق بحار هذا العالم ويحمل معه الجواهر النفيسة هناك ويخرجها معه.

ويربط الغواصون أحياناً جسماً ثقيلاً بأرجلهم ليلبغ بهم أعماق البحار فإن أتموا بحثهم طرحوا ذلك الجسم الثقيل ثم يعودون إلى سطح الماء، والسعيد من يعلم اين هذه الجواهر النفيسة.

الهدف من هذا السير والسلوك إلى الله الذى يشرع بالتربية وتهذيب النفس والتوبة والإنابة والرياضات الشرعية، هو العبور من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة ومن هناك إلى النفس المطمئنة والوصول إلى رفعة مقام راضية مرضية. العبور الذى ينتهى بالتالى بالمكاشفات وإزالة الحجب عن عين الإنسان، حيث قال النبى الأكرم صلى الله عليه وآله لذلك الشاب السعيد الذى رآه مواقيت الفجر فى صلوات الجماعة وبدت عليه آثار قيام الليل: «هذا عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ» [٣٣٦].

هناك مقامات ومراحل متفاوتة لهذا السير والسلوك يراها العرفاء والسالكون ويعتقد البعض بأنهم اقتبسوها من الآيات القرآنية وروايات المعصومين عليهم السلام.

فقد أوجز بعضهم النظام اليومى للسالكين إلى الله فى أربعة أمور: المشاركة، المراقبة، المحاسبة والمعاقبة أو المؤاخذه.

وعلى هذا الضوء يشترط السالك على نفسه فى الصباح أن لا يتقدم خطوة فى غير رضى الله؛ ثم يراقب أعماله طيلة النهار ويفرغ ليلاً للحساب فإن بدر منه خلاف عاقب نفسه بحرمانها من اللذائذ وما ترغب فيه.

وورد اثنا عشر منزلاً ومقاماً لهذا النظام فى رسالة السير والسلوك للفيقيه الكبير

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٢٩

المرحوم العلامة بحر العلوم، ثم يرد الإنسان بعد طيها عالم الإخلاص ومصداقه «بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» [٣٣٧].

وقد ذكرت فى هذه الرسالة الآداب الخمسة والعشرون لبلوغ هذا المقام [٣٣٨].

المؤسف أنَّ هذه المسألة استغلت كثيراً لاسيما فى عصرنا وقد تشبث بها الصوفيون أساس الانحرافات فى العقيدة والعمل ليجعلوه شماعه ويتصورون أنهم سالكون إلى الله، بينما هم غالباً مصداق «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» [٣٣٩] ولكن هنالك بعض الأفراد الذين يتحركون على هدى الكتاب والسنة ولا يحدون عن مسير القرآن وقول المعصومين وهؤلاء هم السائرون والسالكون الحقيقيون.

وقد اعتبر أمير المؤمنين على عليه السلام إمام العارفين فى كلامه الموجز كما بيناه أن أساس سلوكك طريق الحق هو إحياء العقل وإماتة النفس وإصلاح الأخلاق، وبين الثمرات الثلاث المهمة لهذا السلوك بصيغته غاية فى الروعة والجمال والبلاغة.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣١

## الخطبة ٢٢١

إشارة

قَالَ بَعْدَ تِلَاوَتِهِ: «أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ\* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» [٣٤٠]

### نظرة إلى الخطبة

يمكن تقسيم هذه الخطبة إلى أربعة أقسام وإن كانت واردة في تفسير قوله تعالى: «أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ\* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» [٣٤١].  
الحديث في القسم الأول عن جهل المتبقين، بمصيرهم كيف لا يتعظون بمن يتوسدون التراب وبين في القسم الثاني، كيفية أحوال الماضين وكيف رقدوا تحت التراب وتوسدوا القبور الباردة المظلمة، لا يخبر بهم أحد، خلت بيوتهم ونسيت حياتهم.  
القسم الثالث، كأن الإمام يحدثهم ويردون عليه بلسان الحال بما يهز ويوقظ.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣٢

وتحدث الإمام عليه السلام في القسم الرابع عن أواخر أيام العمر كيف يبأس الأطباء عن العلاج ولا ينفع الدواء ويقترّب الإنسان كلّ آن من نهايته ويتعدّد عن أهله وقربته ويتوقف لسانه ويفقد سمعه ويستحوذ الموت على كيانه، والتمعن في هذه الخطبة يؤثّر في الإنسان ويوقظه مهما كان قاسي القلب.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣٣

### القسم الأول

#### إشارة

يَا لَهُ مَرَامًا مَيَا أَبْعِدُهُ! وَزُورًا مَيَا أَغْفَلُهُ! وَخَطَرًا مَا أَفْطَعُهُ! لَقَدْ اسْتَحَلُّوا مِنْهُمْ أَيْ مُدَّكِرٍ، وَتَنَاوَسُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ! أَمْ بَعْدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثِرُونَ! يَزْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوْثَ، وَحَرَكَاتٍ سَيَكُنْتُ وَلَانَ يَكُونُوا عَبْرًا، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا؛ وَلَمَّا يَهْبُطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذَلِّهِ، أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزِّهِ! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرِهِ جَهَالَةً، وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا، تَطْوُونَ فِي هَامِهِمْ، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَزْتَعُونَ فِيمَا لَفْظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا؛ وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحٍ عَلَيْكُمْ.

### الشرح والتفسير: التفاخر الفارغ بدل الاعتبار!

كما مضى فإنّ هذه الخطبة إحدى خطب أمير المؤمنين على عليه السلام الجامعة الشاملة والمؤثرة.  
وقد أشاد ابن أبي الحديد إشادة عجيبة بهذه الخطبة وعدّها فريدة من حيث الفصاحة والبلاغة وقال: ومن تأمل هذا الفصل علم صدق معاوية في على عليه السلام:  
«وَاللَّهِ مَا سَنَّ الْفَصَاحَةَ لِقُرَيْشٍ غَيْرُهُ».

ثم قال: وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب في مجلس وتلى عليهم، أن يسجدوا له

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣٤

كما سجد الشعراء في مواضع الشعر.

وأضاف: وإنّي لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أنّ طبعه مناسب لطباع الاسود، ثم يخطب في ذلك

الموقف بعينه إذا أراد الموعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسى المسوح الذين لم يأكلوا لحمًا ولم يريقوا دمًا فيكون كالمتسبح في زهده. وأقسم لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندي روعةً وخوفًا وعظماً وأثرت في قلبي وجيباً وفي أعضائي رعدةً وكم قال الواعظون والخطباء في هذا المعنى وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفى عليه فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام [٣٤٢].

واستناداً لما قيل يجدر بنا أن نتوقف عند شرحنا لهذه الخطبة على عمق كلام الإمام عليه السلام فنستفيد منها بما فيه الكفاية ولنمس آثارها في أنفسنا وأرواحنا.

وكما ورد في عنوان الخطبة فإن هذا الكلام في الواقع تفسير لأول آيتين من سورة التكاثر «الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ\* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ». ونلقى بادئ الأمر نظرة إجمالية على تفسير الآيتين:

ذكر المفسرون المعروفون تفسيرين لهما:

(الف) المراد أن تكاثركم أنساكم الله والقيامة حتى خرجتم من الدنيا وحللتكم القبور.

(ب) المراد أن تكاثركم وتفاجركم أنساكم الله والقيامة حتى زرت المقابر لإثبات أفضليتكم فعددت قبور موتاكم فخراً على من سواكم.

طبعاً الأصح التفسير الثاني، لأنه: أولاً زيارة القبور مستبعدة جداً بمعنى الدفن في القبور وثانياً، لو كان التفسير الأول صحيح فلا بد من القول: «تزروروا القبور» أى يكون الفعل بصيغة المضارع لا الماضى، لأن المخاطبين أحياء.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣٥

يدور كلام الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة حول المحور الثانى وهذا دليل واضح على ترجيح هذا التفسير.

فقال الإمام عليه السلام: «يَا لَهُ مَرَامًا [٣٤٣] مَا أَبْعَدُهُ! وَزُورًا [٣٤٤] مَا أَغْفَلُهُ! وَخَطَرًا [٣٤٥] مَا أَفْطَعُهُ! [٣٤٦]».

نعم، فالعظام البالية تحت التراب والأجساد المتفسخة ليس فيها ما يدعو للفخر، فما أحراهم بالاعتبار بدل هذا الافتخار وهم يرون بأعينهم أنهم سيعملون ليوسدوا هذا التراب وينقطعوا عن الأهل والقرابة فيفقدون من هذا السبات العميق والنوم الويليل. ومن هنا قال الإمام عليه السلام مواصلاً كلامه: «لَقَدْ اسْتَحْلَوْا [٣٤٧] مِنْهُمْ أَى مُدَّكِرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ [٣٤٨] مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ!».

فسير بعض الشراح العبارة «لَقَدْ اسْتَحْلَوْا»: «أنهم سيدكروا من مات منذ مدة وأصبح تراباً ففى التفسير الأول «اسْتَحْلَوْا» وجدوهم خالين وفى التفسير الثانى بمعنى ذكر الأموات.

ثم ويخبرهم توبيخاً شديداً وذمهم فقال: «أَفِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ! أَمْ بَعْدِيدِ الْهَلْكِ يَتَكَاثَرُونَ!».

ترى مامدى جهل الإنسان الذى يريد أن يفخر بتلك العظام النخرة ويجعل أمواته فى عداد الأحياء ويعدهم من الأدلة على كثرته. ثم قال: «يَزَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ [٣٤٩]، وَحَرَكَاتٍ سَكَنْتْ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣٦

وأضاف: «وَلَمَّا يَكُونُوا عَجْرًا، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَحَرًا؛ وَلَمَّا يَهْبُطُوا بِهِمْ جَنَابَ [٣٥٠] ذَلِكَ، أَحَجَى [٣٥١] مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ!».

فقد أكد الإمام عليه السلام فى هذه العبارات على هذه النقطة أن نظرة هؤلاء للأموات مقلوبة تماماً وقد أخطأوا فى مسارهم حتى عاد القبيح لديهم حسناً، فعلى هؤلاء أن ينظروا إلى الأموات بعين الاعتبار؛ ويشاهدوا أوضاع أخيارهم تحت التراب ويتأملوا مصيرهم على ضوء قانون الموت الذى لا استثناء فيه قط.

ورد فى الخبر أنه لما سار على عليه السلام بصحبه إلى صفيين بلغ سابات المدائن وأطرافه (الموضع الذى كان يوماً مركز أقوى الحكومات ولكن انتهى فيه كل شيء).

فالتفت أحد أصحابه إلى آثار كسرى فأنشد قائلاً:

جَزَتْ الرِّيحُ عَلَى مَكَانِ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِعَادِ

ولم يكتف الإمام عليه السلام بهذا المقدار فقال هلاً قرأت هذه الآيات: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ\* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ\* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ\* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ [٣٥٢]» [٣٥٣].

وخاض الإمام عليه السلام مواصلاً كلامه في بيان هذا الموضوع، لم هذا الفخر على الآخرين بهذه الأجساد الميتة الخاوية بدل الاعتبار «لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعُسُوءِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةٍ جَهَالَةٍ».

ثم قال: «وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ [٣٥٤] الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلْمًا [٣٥٥]، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا، تَطَّوُونَ فِي

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣٧

هَامِهِمْ [٣٥٦]، وَتَسْتَبْتُونَ [٣٥٧] فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَزْتَعُونَ [٣٥٨] فِيمَا لَفْظُوا [٣٥٩]، وَتَسِيْ كُنُونَ فِيمَا خَرَبُوا؛ وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ [٣٦٠] وَنَوَائِحُ [٣٦١] عَلَيْكُمْ».

العبارة «ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةٍ جَهَالَةٍ» إشارة إلى غرقهم في بحر الجهل و «ضرب» تعطي معنى الغرق بقريته آخر هذه العبارة. والجملة «تَطَّوُونَ فِي هَامِهِمْ» إشارة إلى أن أجسام الناس حين تتعفن وتقلب التربة بواسطة الإنسان وهذا الإنسان الغافل يمر عليها ولا يدرى ماذا يفعل، وذكر بعض العوامل كالرياح والأمطار والسيول وتقلب التربة بواسطة الإنسان وهذا الإنسان الغافل يمر عليها ولا يدرى ماذا يفعل، وذكر «الهام» (أعلى الرأس) كون أهم شيء في جسم الإنسان جمجمته وإلا فإن الجسد بأكمله أصبح تراباً يطأه الآخرون.

الجملة «تَسِيْ كُنُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ» إشارة إلى أن المزارعين يلقون بذورهم على الأرض الممزوجة بتراب أجساد الماضين ومع ذلك هم غافلون.

الجملة «تَزْتَعُونَ فِيمَا لَفْظُوا» تعني أحياناً ما ذكر وأخرى أنه تتناثر من أجسادهم قطع والمزارعون يلقون عليها بذورهم وينتفعون بشمارها.

الجملة «تَسِيْ كُنُونَ فِيمَا خَرَبُوا» ربما هي إشارة إلى أنهم عاشوا مدّة في تلك البيوت فلما انتهوا ووسدوا التراب حللتم في مساكنهم وذهب بعض الشراح إلى أن

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣٨

العبارة «خرّبوا» تعني الخلو من السكنة، وقيل المراد منه أنها خربة لتركها الذكر والعبادة على غرار العمران في الآية الشريفة «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ» [٣٦٢] الذي فسّر بذكر الله والعبادة.

نعم إن هؤلاء لم يؤدوا حق المساكن وخرّبوها عملياً بالغرور والغفلة ونسيان ذكر الله وإن كانت في الظاهر عامرة وورثوها للغفلة وارتحلوا.

الجملة «وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ» إشارة لطيفة إلى هذه النقطة أنكم تكونون وتأوهون على الأموات؛ ولكن الدهر يبكيكم وينوح عليكم على مدى غفلتكم وجهلكم بمصيركم وتنسون أنكم ملتحقون بهم عما قريب.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٣٩

القسم الثاني

إشارة

أُولَئِكَ سَلَفٌ غَايَتِكُمْ، وَفُرَاطٌ مَنَاهِلِكُمْ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ، مُلُوكًا وَسُوقًا. سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبُرْزَخِ سَبِيلًا سَلَطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ؛ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ، وَضَمَارًا لَا يُوجَدُونَ؛ لَمَّا يُفْزَعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَمَّا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَمَّا يَخْفَلُونَ بِالرَّوَاغِفِ، وَلَمَّا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ. غَيْبًا لَمَّا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُودًا لَمَّا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتُّوْا، وَآلَافًا فَافْتَرَقُوا، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلَا بَعْدَ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأَسَا بَدَلْتَهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا، وَبِالسَّمْعِ صِمَمًا، وَبِالْحَرَكَاتِ سُبُكُونًا، فَكَأَنَّهُمْ فِي أَرْتَجَالِ الصَّفَةِ صِرَعَى سُبَات. جِيرَانٌ لَا يَتَأَنُّونَ، وَأَجْبَاءٌ لَمَّا يَتَزَاوَرُونَ. بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْأَخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَجْلَاءٌ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلِ صَبَاحًا، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً.

أَيُّ الْجَدِيدِينَ طَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا، شَاهَدُوا مِنْ أخطارِ دَارِهِمْ أَفْطَحَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَغْطَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكَلَّمْنَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصَفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَانُوا.

### الشرح والتفسير: العالم العجيب بعد الموت

بعد أن وبَّخ الإمام عليه السلام بشدة أولئك الذين يزورون قبور موتاهم ويفخرون

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤٠

بالأجساد البالية لأخبارهم، خاض في هذه النقطة أن مصيرهم من شأنه أن يكون عبرة ودرساً وموعظة قيمة لمن يخلفهم فقال: «أُولَئِكَ سَلَفٌ غَايَتِكُمْ [٣٦٣]، وَفُرَاطٌ [٣٦٤] مَنَاهِلِكُمْ [٣٦٥]، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ [٣٦٦] الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ [٣٦٧] الْفَخْرِ، مُلُوكًا وَسُوقًا [٣٦٨]». التعبير «سَلَفٌ غَايَتِكُمْ» إشارة إلى أن هؤلاء بلغوا آخر نقطة في حياتهم التي هي الموت الذي سبقكم إليه وعلى الخلف أن يعتبر بمصير سلفه.

العبارة «فُرَاطٌ مَنَاهِلِكُمْ» إشارة إلى أن الناس كأنهم في قافلة ينطلقون إلى الموت فهناك طائفة تتقدم القافلة وأخرى تسير خلفها. التعبير «مَقَاوِمُ الْعِزِّ» إشارة إلى أن ذوى القدرة ينبغي عليهم أن يطؤوا هذا الطريق كالأخرين. وشبهه الناس في العبارة «وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ» بالذين يشتركون في سلسلة من المسابقات العظيمة والواسعة لكسب مزيد من الفخر فقد قال الإمام عليه السلام: كل أولئك سيبلغون في الختام منزلاً اسمه القبر.

ثم قال بكلمة واحدة: «مُلُوكًا وَسُوقًا» الكل يذهبون الملوكة والرعايا.

وقال لمزيد من الايضاح: «سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبُرْزَخِ سَبِيلًا سَلَطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ».

ورغم أن البرزخ يطلق عادة الذي يتوسط الدنيا والآخرة كما ورد في القرآن

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤١

المحيد: «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ» [٣٦٩] ولكن البرزخ هنا يعنى القبر بقريته العبارات التي أعقبتها كما ورد في الحديث المروى عن الإمام الصادق عليه السلام: «الْبُرْزَخُ الْقَبْرُ» [٣٧٠] طبعاً أحياناً القبر بمعناه المادى من قبيل ما ورد في هذه الخطبة وأحياناً أخرى بمعناه غير المادى من قبيل ماورد في الحديث المشهور: «الْقَبْرُ إِذَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّيِّرَانِ» [٣٧١].

ثم قال موضعاً أكثر: «فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ [٣٧٢] قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ، وَضَمَارًا [٣٧٣] لَا يُوجَدُونَ؛ لَمَّا يُفْزَعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَمَّا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَمَّا يَخْفَلُونَ [٣٧٤] بِالرَّوَاغِفِ [٣٧٥]، وَلَمَّا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ [٣٧٦]. غَيْبًا لَمَّا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُودًا لَمَّا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتُّوْا، وَآلَافًا [٣٧٧] فَافْتَرَقُوا».

ما ورد في هذه العبارات الملهبة إشارة بالظاهر لجسم الأموات، وإن كانت لأرواحهم في العالم الآخر احساس وخوف ورعب وهم وحزن.



نعم ففي لحظة يغمض الإنسان- اليقظ والضحك أو المهموم المحزون النشط أو الكسل- عينيه عن الدنيا وتنتهي عنده جميع ظواهر الحياة حتى يتحول إلى حجرة خالية من الروح.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة أخرى فقال: «وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَيَّمَتْ دِيَارُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْسًا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ  
نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤٢

خَرَسًا، وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا، فَكَأَنَّهُمْ فِي أَرْتِجَالِ [٣٧٨] الصَّفَةِ صَرَعَى [٣٧٩] سُبَاتِ [٣٨٠].».

يالها من عبارات بليغة وموقظة وكلمات مؤثرة وعميقة! نعم! فقد نسوا حتى كأنهم ابتعدوا عنا قرونًا وانطفأت مساكنهم وكأنهم غادروها منذ سنين مديدة في حين ربما تجرعوا كأس المنون في لحظة وانتهى كل شيء.

وأضاف في عبارات أخرى عميقة المعنى وموقظة: «جِرَانٌ لَا يَتَأَنَسُونَ، وَأَحْبَاءٌ لَا يَتَرَاوِرُونَ. بَلِيَّتٌ بَيْنَهُمْ عُرَا [٣٨١] التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْأَحْيَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَاءٌ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلِ صَبَاحًا، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً. أَيُّ الْجَدِيدِينَ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا.».

نعم كل شيء لهؤلاء يختلف عن الأحياء؛ بيوت قبورهم الواحد يلاصق الآخر دون أن يخبر أحدهم بالآخر أو يزوره؛ إنهم مجتمعون مع بعضهم في الداخل مع ذلك كأنهم مقاطعون لأحدهم الآخر؛ إن غادروا الدنيا ليلاً فسوف لن يروا طلوع الشمس قط وإن غادروها نهاراً لم يروا ظلمة الليل أبداً وفي هذا أنشد الشاعر:

لَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ بِلَا لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَةٍ تَأْتِي بِلَا يَوْمٍ

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى جانب آخر من أحوال الموتى وأرواحهم عند مشاهدة العذاب الإلهي والثواب العظيم فقال: «شَاهَدُوا مِنْ أَحْطَارِ دَارِهِمْ أَفْطَحَ [٣٨٢] مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكَلَّمْنَا الْغَايَتِينَ مَدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءِ [٣٨٣]، فَاتَتْ مَبَالِغَ  
نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤٣

الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يُنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا [٣٨٤] بِصَفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَانُوا.».

الواقع أن ما بينه الإمام عليه السلام هنا ماجاء صراحة في الخطبة ١١٤ من «نهج البلاغة»: «كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عَيَانِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عَيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ.».

ودليل ذلك واضح، فعالم الآخرة غاية في السعة والكبر وإذا ما قورن بالدنيا كان كالدنيا بالنسبة لعالم الجنين في رحم أمه.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤٥

## القسم الثالث

### إشارة

وَلَيْتَنِ عَمِيَتْ آتَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبَسْنَا أَهْدَامَ الْبَلَى، وَتَكَاءَ دَنَا ضَيْقِ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَتْنا الْوُحْشَةُ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوُحْشَةِ إِقَامَتُنَا؛ وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبِ فَرْجَاءٍ، وَلَا مِنْ ضَيْقِ مُتْسِعًا! فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كَشَفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبَ الْغَطَاءِ لَمَكَ، وَقَدِ ارْتَسَيْتْ أَسْمَاعُهُمْ بِأَلْهَوَامٍ فَاسِدَتَّكَ، وَانْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَيْتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعِيدَ ذَلَّاقَتِهَا، وَهَمَيْدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعِيدَ يَقِظَتِهَا، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدٌ بَلَى سَمَّجَهَا وَسَهَّلَ طُرُقَ الْأَفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسَلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبَ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبِ، وَأَقْدَاءَ عُيُونِ،

لَهُمْ فِي كُلِّ فِطَاعَةٍ صِفَةٌ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي.

### الشرح والتفسير: أحوال الأموات!

شرح الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة، وضع الأموات ومتوسدى القبور بيان بليغ ومؤثر فقال: «وَلَيْسَ عَمِيَّتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النَّطْقِ».

ففي الواقع أشار الإمام عليه السلام في هذه العبارة إلى أمرين: أن الاستخبار عنهم ليس

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤٤

بالطرق العادية (كالبصر والسمع)، بل بطرق أعمق وأقوى من خلال بصيرة القلب وسمع العقل، كما أن تكلمهم ليس بلسان القال، بل بلسان الحال الأعمق آثاراً، فلسان القال قد يشوبه الكذب الذي لا مجال له للسان الحال.

ولنرى الآن ما يقولون بهذا اللسان؟ يشير الإمام عليه السلام إلى طبيعة كلامهم: «فَقَالُوا:

كَلَحَتْ [٣٨٥] الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ [٣٨٦]، وَخَوَتْ [٣٨٧] الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ [٣٨٨] الْبَلَى، وَتَكَاءَ دَنَا [٣٨٩] ضَيْقُ الْمَضْجِعِ، وَتَوَارَتْنا الْوُحْشَةُ، وَتَهَكَّمَتْ [٣٩٠] عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الضُّمُوتُ [٣٩١]».

نعم! يتحدثون أحياناً عن مصير أبدانهم وأخرى عن مواضعهم. الأبدان الذابله بديء، الوجوه العابسة، ومن ثم تحللها، وبالتالي تفسخها واستحالتها إلى تراب، القبور الضيقة والمظلمة والباردة الساكنة وقد سيطرت عليهم أجواء الرعب فسادهم الصمت التام.

ثم قال: «فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوُحْشَةِ إِقَامَتُنَا؛ وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرْجاً، وَلَا مِنْ ضَيْقٍ مُتَّسِعاً!».

نعم! فالوجوه النظرة الجميلة والمعروفة والمسكن الواسعة والفارحة التي قلبت رأساً على عقب بحلول الموت، فتبدلت تلك المنازل الجميلة الفارحة إلى قبور مقفرة مظلمة، وتلك الوجوه الناعمة لم تفقد نضارتها وحيويتها فحسب؛ بل تحولت إلى أشباح موحشة.

ومن هنا قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في كلمة موجزة موقظة: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلَّا وَالْقَبْرُ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤٧

أَفْضَعُ مِنْهُ» [٣٩٢].

ثم سعى الإمام عليه السلام ليكشف لمخاطبيه أوضاعهم في القبور بعبارات حية فقال:

«فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ بِعَقْدِكَ، أَوْ كَشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْعِطَاءِ لَسَكَ، وَقَدِ ارْتَسَيْحَتْ [٣٩٣] أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِ [٣٩٤] فَاسْتَكَّتْ [٣٩٥]، وَانْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَيْفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَالَتِهَا [٣٩٦]، وَهَمَدَتِ [٣٩٧] الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا، وَعَاثَ [٣٩٨] فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدٌ بِلَى [٣٩٩] سَمَّجَهَا [٤٠٠] وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبَ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتُ أَشْجَانَ [٤٠١] قُلُوبٍ، وَأَقْدَاءَ [٤٠٢] عُيُونٍ».

صحيح بقبض الروح يتوقف كل شيء؛ لكنه مادام سالماً فإن له القابلية لاستعادة نشاطه لو فرض عودة الروح إليه؛ ولكن يفقد كل شيء بعد تعفنه وتلاشيه، ولذلك صرح الإمام عليه السلام: توقف الحشرات أسماعهم عن العمل والتراب أبصارهم وألستهم عن النظر والنطق.

ثم أكمل كلامه بعبارة بصيغته خلاصة فقال: «لَهُمْ فِي كُلِّ فِطَاعَةٍ صِفَةٌ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ [٤٠٣] لَا تَنْجَلِي».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤٨

إشارة إلى أن مصيبتهم الكبرى أن هذه الأحوال لا تزول عنهم، بل تتشدد عليهم كل يوم؛ وتعاستهم أن ليس أمامهم من مستقبل واضح، وكلما تقادم عليهم الزمان كلما تأكلت أجسامهم أكثر وبلت عظامهم.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٤٩

## القسم الرابع

## إشارة

فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدِي، وَأَنْبِقِ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَدِي تَرَفٍ، وَرَيْبٍ شَرَفٍ! يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعِيهِ حُزْنِهِ، وَيَفْرَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ! فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشِ غَفُولٍ، إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسِيكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْخُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيٌّ هَمٌّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتْرَاتُ عِلَلٍ، آتَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ، فَفَرَعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطْبَاءُ مِنْ تَشْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوْرَ حَرَارَةٍ، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيْجَ بُرُودَةٍ، وَلَا اعْتَدَلَ بِمَمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمِيدًا مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ؛ حَتَّى فَتَرَ مُعَلَّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصَفَةِ دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيحِي خَبِرٍ يَكْتُمُونَهُ: فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُوَ لِمَا بِهِ، وَمَمَّنٌ لَهُمْ إِيَابُ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غَصْبِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَبَسِطَتْ رُطُوبِيَّةَ لِسَانِهِ. فَكَمْ مِنْ مُهَمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءِ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظَّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرَقَ بِصَفَةِ، أَوْ تَعْتَدَلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥٠

## الشرح والتفسير: عقبات الموت لاستوعب في الالفاظ

أشار الإمام عليه السلام هذا المتكلم البليغ الفصيح الفريد، في آخر مقطع من هذه الخطبة إلى جوانب أخرى من قضية الموت ونهاية الحياة وعقباته ليوجزها في أربع مراحل فقال أولاً: «فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ [٤٠٤] جَسَدِي، وَأَنْبِقِ [٤٠٥] لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَدِي [٤٠٦] تَرَفٍ، وَرَيْبٍ [٤٠٧] شَرَفٍ! يَتَعَلَّلُ [٤٠٨] بِالسُّرُورِ فِي سَاعِيهِ حُزْنِهِ، وَيَفْرَعُ إِلَى السَّلْوَةِ [٤٠٩] إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا [٤١٠] بِغَضَارَةِ [٤١١] عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً [٤١٢] بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ!».

وهذا الكلام إشارة دقيقة لمن اعتادوا الحياة الهانئة المرفهة والعيش الرغيد والنعمة الوفرة، الذين يسعون حين نزول المصائب الخروج من ذلك عن طريق أنواع اللعب وقد نسوا كل ما من شأنه إيقاظهم وهدايتهم وهذا بحد ذاته مصيبة عظيمة في أن يلوذ الإنسان بعوامل السكر والجهل والغفلة؛ لكن الأحداث المريعة لاتنسأهم، وبالتالي فإن الأرض سوف تبتلعهم.

نعم، «بَيْنَمَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشِ غَفُولٍ [٤١٣]؛ إِذْ وَطِئَ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥١

الدَّهْرُ بِهِ حَسِيكَهُ [٤١٤] وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْخُتُوفُ [٤١٥] مِنْ كَثَبٍ [٤١٦] فَخَالَطَهُ بَثٌّ [٤١٧] لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيٌّ [٤١٨] هَمٌّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتْرَاتُ عِلَلٍ، آتَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ».

إشارة إلى أن هؤلاء الجهال مهما سعوا للتناسي إزاء المصائب والضحك على الدوام على الدنيا فإن الدنيا هي الأخرى تضحك عليهم؛ ولكن سرعان ما يباغتهم الموت فتفنى قواهم وطاقتهم الواحدة تلو الأخرى، فالعين تعشو وتضعف، والأذن تثقل والعظام

تنحف والأعصاب تنهك وتعجز، وتهجم عليهم أنواع الأمراض فيدق العالم في آذانهم أجراس الموت.

فقد أشار الإمام عليه السلام هنا في الواقع إلى انحلال قوى الإنسان أولاً، وظهور الأمراض إثر ذلك والتي تعدّ الخطوة الأولى نحو الموت.

ثم اتجه صوب الخطوة الثانية في رجوعه دائماً إلى الأطباء وتناول أنواع الدواء وانعدام تأثيرها فقال: «فَفَرَعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَشْيِكِينَ الْحَارِّ بِالْقَارِّ [٤١٩]، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا تَوَرَّ [٤٢٠] حَرَارَةً، وَلَا حَرَكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَهُ، وَلَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ [٤٢١] لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥٢

نعم! فإن حلّ الأجل زالت اسباب الصحة والسلامة ولم يعد هنالك من أثر للدواء، وعادة ما تكون نتيجته معكوسة فيعيب الأطباء وليس للمريض من سبيل سوى السير إلى الموت.

ما ورد هنا في عبارات الإمام الدقيقة إشارة للتقسيمات التي كانت متداولة في الطب القديم حيث كان الأطباء آنذاك يعتقدون بأربعة أنواع من الأمزجة: المزاج الحار، المزاج البارد، المزاج الرطب، والجاف، وهنالك أربعة أمزجة مركبة من زاوية أخرى: المزاج الحار والرطب (الذي يسمى الدموي) والمزاج الحار والجاف (الصفراوي) والمزاج البارد والرطب (البلغمي) والمزاج البارد والجاف (السوداوي).

طبعاً هذه الأمزجة إن كانت في حد الاعتدال لا تقدح بالصحة، ولأصحابها جميعاً باختلافهم الكثير حياة طيبة؛ ولكن إن غلبت إحدى هذه الأمزجة (الحرارة، البرودة، الرطوبة، والجفاف) فلا- مناص من التعامل بالعوامل المخالفة لإعادته إلى اعتدال المزاج؛ فالحرارة تسكن بالبرودة والبرودة تحرك بعوامل الحرارة والرطوبة توازن بالجفاف والجفاف يعدل بالرطوبة. كل هذا التأثير حين لا يختل الأمر وإلا فليس هنالك أدنى تأثير.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى المرحلة الثالثة وهي مرحلة اليأس من عودة السلامة وانتظار نهاية العمر عن قريب: «حَتَّى قَتَرَ مُعَلِّه [٤٢٢]، وَذَهَلَ مُمْرُضُهُ [٤٢٣]، وَتَعَايَا [٤٢٤] أَهْلُهُ بِصَفَةِ دَائِهِ، وَخَرَسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ».

وكان الإمام عليه السلام كان حاضراً عند هؤلاء المرضى واسرهم فهو يتابع عن كثب حالاتهم فالطبيب يظهر عجزه والممرض يبدى تبعه واسرته لا- تدرى ما تقول للناس، إذا قالت: صحته أحسن، فذلك غير صحيح، وإذا قالت: أسوأ، فهذا متعب فلا مناص لها من الصمت وتجب بنظرات العيون المليئة باليأس.

ثم قال عليه السلام: «وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجَى [٤٢٥] خَيْرٍ يَكْتُمُونَهُ: فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُوَ لِمَا بِهِ،

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥٣

وَمَمَّنْ لَهُمْ إِيَابٌ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُدَكِّرُهُمْ أَسَى [٤٢٦] الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ».

وأخيراً بين الإمام عليه السلام رابع وآخر مرحلة حياة هذا المريض. حين يكون على اعتاب الموت والتأهب لسفر الآخرة ومغادرة هذا العالم فقال: «فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَوَكَّ الْأَحْبَبَ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصْبِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِدُ فِطْنَتِهِ، وَبَيَسَتْ رُطُوبُهُ لِسَانَهُ».

ثم قال مواصلاً كلامه: «فَكَمَّ مِنْ مُهَمِّمْ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَنَى عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَ [٤٢٧] عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظَمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ!».

نعم! وفي هذه الحالة حيث يعلم بحلول أجله ونهاية عمره يغط في التفكير في الأموال التي أخفاها أو الديون على الآخرين ويريد إبلاغها الورثة أو يريد أن يحدث أهله عن قضايا الدفن وموضع القبر فلا يسعه الكلام.

أشار ابن أبي الحديد هنا إلى قصة فيها عبرة حيث أنه شهدها آنذاك وهي أن أحدهم حضرته الوفاة فأراد الوصيّه فانعقد لسانه فأشار

إلى القلم والدواة ليكتب فاضطربت يده فكتب كلاماً غير مفهوم حتى توفي [٤٢٨].

واختتم الإمام عليه السلام خطبته العظيمة الموقظة بهذه العبارة فقال: «وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ [٤٢٩] هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرِقَ بِصِفِّهِ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا».

نقل المرحوم العلامة التستري في شرحه لنهج البلاغة حديثاً عن كتاب «الكافي» عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إِنَّ فِتْيَةً مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا مُتَعَبِّدِينَ وَكَانَتْ الْعِبَادَةُ فِي أَوْلَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّهُمْ خَرَجُوا يَسِيرُونَ فِي الْبِلَادِ لِيَعْتَبِرُوا فَمَرُّوا بِقَبْرِ عَلِيِّ ظَهَرَ الطَّرِيقَ قَدْ سَفَى عَلَيْهِ السَّافَى، لَيْسَ يُبَيِّنُ مِنْهُ إِلَّا

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥٤

رَسْمُهُ، فَقَالُوا: لَوْ دَعَوْنَا اللَّهَ السَّاعَةَ فَيُنْشِرَ لَنَا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ، فَسَأَلْنَاهُ كَيْفَ وَجَدَ طَعْمَ الْمَوْتِ، فَدَعَا اللَّهَ ... فَخَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبْرِ رَجُلٌ أَيْضُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ التُّرَابِ فَرَعَاً شَاخِصاً بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا يُوقِفُكُمْ عَلَى قَبْرِي؟ فَقَالُوا: دَعَوْنَاكَ لِئَسْأَلَكَ كَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ الْمَوْتِ، فَقَالَ: لَهُمْ لَقَدْ سَيَكُنْتُ فِي قَبْرِي تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَنَةً مَا ذَهَبَ عَنِّي أَلْمُ الْمَوْتِ وَكَرْبُهُ وَلَا خَرَجَ مِرَارَةً طَعْمَ الْمَوْتِ مِنْ حَلْقِي ...» [٤٣٠].

### تأمل: ممر يرده الجميع

قيل وقلنا كراراً إنَّ الإنسان إن شكَّ في كلِّ شيءٍ ليس له أن يشكَّ في أنَّه سيغادر يوماً هذه الدنيا ويشرب راغباً أو مرغماً كأس المنون. كما أنَّ كلَّ جنين مهما كان شكله وصورته لا بدَّ أن يمر يوماً برحم الام ويطأ هذه الدنيا، وكل فاكهة لا بدَّ يوماً أن تسقط من الشجرة وتقطف. والإنسان شاء أم أبى لا بدَّ أن يشهد الموت.

فإن كان الأمر كذلك فلماذا لا يرغب البعض بسماع اسم الموت؟ لم يسعون لنسيان هذه الحقيقة التي لا تنساهم!؟

والأهم من كلِّ ذلك مقدمات الموت ونتائجه؛ فالحالات العجيبة التي رسمها المولى أمير المؤمنين على عليه السلام في هذه الخطبة بتلك الدقة كصورة حيَّة، وصدى الموت الذي أسمعته كل إنسان مستعد لمغادرة هذه الدنيا ولاسيما من حوله، حيث يبدو أنَّ الهدف الأصلي للإمام هو إيقاظ الغافلين وهزِّ الثملين من الغرور والأنانية والعجب والأهواء، والحق والإنصاف أنَّ الإمام عليه السلام أعطى الكلام حقَّه بهذا الخصوص وقال كلَّ ما ينبغي أن يقال بحيث لا يقرأه غافل أو جاهل إلَّا أيقظه وبلغ منه تأثيره.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥٥

قال الإمام عليه السلام في حديث آخر: «مَا رَأَيْتُ إِيمَانًا مَعَ يَقِينٍ أَشْبَهَ مِنْهُ بِسَدِّكَ عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ، إِنَّهُ كُلُّ يَوْمٍ يُودَّعُ إِلَى الْقُبُورِ وَيُشَيَّعُ، وَإِلَى غُرُورِ الدُّنْيَا يَزْجَعُ وَعَنِ الشَّهْوَةِ وَالذُّنُوبِ لَا يُقْلَعُ» [٤٣١].

بالمقابل نعرف أفراداً هبوا للقاء الموت وابتسموا للأجل ولم يكن لسكرات الموت عندهم من معنى وكأنَّهم كمن يتطلع لعزير فكانت هذه حالتهم أو آخر عمرهم. والنموذج الواضح لذلك شخص الإمام عليه السلام الذي قال في كلامه المعروف في «نهج البلاغة»: «لَأَبْنُ أَبِي طَالِبٍ آتَسُّ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِثَدْيِ امِّهِ» [٤٣٢].

جدير ذكره أنَّه ورد في الأحاديث الإسلامية أن موت المؤمن الصالح يختلف عن موت الآخرين. قال رجل للإمام الصادق عليه السلام: «صِفْ لَنَا الْمَوْتَ» قال: «لِلْمُؤْمِنِ كَأَطِيبِ طَيْبٍ يَشْمُهُ فَيَنْعَسُ لَطِيهٍ وَيَنْقَطِعُ التَّعَبُ وَالْأَلَمُ عَنْهُ وَلِلْكَافِرِ كَلْسَعِ الْأَفَاعِي وَلَمَدِّغِ الْعَقَابِرِ وَأَشَدُّ» [٤٣٣].

لا شك في أنَّ عدم تعلق المؤمن بزخارف الدنيا، وبالعكس تهافت الملحدين عليها هو الذي يؤدي إلى الاختلاف المذكور وإن كان هنالك تأثير في هذا الأمر للطاف الله ومشاهدات المؤمن بالنسبة للنعم التي تنتظره وبالعكس مشاهدات الكافر والعذاب الذي ينتظره.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥٧

## الخطبة ٢٢٢

## إشارة

قَالَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ: «يُسَّخَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ٤٣٤﴾ \* رِجَالٌ لَأَتْلِيهِمْ تِجَارَةً  
وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ٤٣٥﴾ [٤٣٦].

## نظرة إلى الخطبة

هنالك عدّة أقسام مهمّة في هذه الخطبة:

القسم الأول: بين الإمام عليه السلام أهميّة ذكر الله في كلّ شيء وخاض في آثارها على روح للإنسان ونفسه ليشرحها بعبارات مؤثرة. وأشار في القسم الثاني إلى حملة الأذكار في كلّ عصر ومصر ومواعظه في كيفية انقاذ عباد الله من الانحراف ويضيء طرقهم بمصاييح نوره البيّنات.

وجرى الكلام في القسم الثالث عن صفاتهم وتوليمهم عن زخارف الدنيا

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥٨

واجتناب المعصية ومناصرة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وشرح في القسم الرابع أحوالهم في القيامة عند نشر صحف الأعمال وحشر العباد للحساب والحديث عن حسن عاقبتهم والنتائج الباهرة لأعمالهم الصالحة.

وأمر في القسم الخامس مخاطبيه بحساب أنفسهم وإصدار الحكم على أعمالهم.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٥٩

## القسم الأول

## إشارة

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمِعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعُشُورِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرَحَ اللَّهُ عَزَّ  
آلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَرْزَامِ الْفَتَرَاتِ عِبَادًا نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلِمَتِهِمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ  
وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْتِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدْلَةِ فِي الْفَلَوَاتِ.  
مَنْ أَخَذَ الْقَضِيَّةَ حَمِيدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَدَّ ذُرُوهَ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَلِكَ  
مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدْلَةً تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

## الشرح والتفسير: أدلة السائرين على الطريق

لابدّ بادئ الأمر من معرفة تفسير آية سورة النور ليتضح الكلام العميق للإمام عليه السلام في شرحه للموضوع.

تحدث القرآن المجيد في الآية ٣٥ من سورة النور: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...» عن نور الله وشرحه بمثال لطيف يتضمن العديد من الأمور التعليمية ثم قال في الآيات التالية: «فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تَزُفَعُ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَاتُلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» [٤٣٧].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦٠

من الواضح أن هؤلاء الرجال بالدرجة الأولى هم الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام ومن بعدهم المخلصين السائرين على نهجهم.

ونخوض بعد هذه الإشارة الاجمالية في شرح الخطبة، قال الإمام عليه السلام في مستهل هذه الخطبة: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ [٤٣٨] جِلَاءً [٤٣٩] لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرِ [٤٤٠]، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعُشُورَةِ [٤٤١]، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانِدَةِ».

نعم! هنالك آثار عجيبة للذكر إن اقترن بالفكر. فإذا ذكر الإنسان اسم الله بعظمه وعدد صفاته الجمالية والجلالية من علم وقدره وسمع وبصر ومقام الرحمانية والرحيمية ومراقبته بالنسبة لعباده، زالت عن بصيرته حجب الغفلة ورأى الحق واضحاً، وتخدم لجاجته الأهواء والشهوات فيسمع باذن روحه خطاب أولياء الله والدعاء إلى مرضاته ونتيجة ذلك الانقياد التام لأوامر الله.

ذهب بعض الشراح أو احتملوا أن المراد من الذكر في العبارة، القرآن المجيد بقريته ما أورده القرآن بشأنه فقال: «وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ» [٤٤٢] ولكن الحق أن للذكر مفهوم عام، أحد مصاديقه البارزة الآيات الشريفة للقرآن.

ثم قال الإمام عليه السلام: «وَمَا بَرِحَ [٤٤٣] اللَّهُ عَزَّتْ أَلَاؤُهُ فِي التَّبْرَهَةِ [٤٤٤] بَعْدَ التَّبْرَهَةِ، وَفِي

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦١

أَزْمَانِ الْفُتْرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَمَتُهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْنِدَةِ، يُذَكَّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَيُحَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَثَرَةِ الْأَدْلَةِ فِي الْفُلُوتِ [٤٤٥].»

ربما هذا التعبير إشارة لأوصياء الأنبياء المتواجدين طيلة الفترات الزمنية ويستلهمون الحقائق الربانية عن طريق الإلهامات القلبية ويوصلونها إلى العباد.

كما يمكن أن تكون إشارة إلى الصالحين والمخلصين والعارفين والبصيرين غير الأنبياء والأوصياء الذين يعيشون بين الناس في كل زمان؛ فهؤلاء أيضاً يقفون على الصراط المستقيم بالإلهام الغيبي والتأييد الرباني ويسعون لهداية الآخرين، ولعلها تشمل الفريقين.

والتعبير «أدلة» جمع دليل إشارة إلى ما كان سائداً في الأسفار في الأزمنة الماضية، فلم تكن الطرق مشخصة آنذاك كما هي عليه اليوم، فيمر بها المسافر ويصل المقصد، ومن هنا فإن القوافل تحمل معها عارفين بالطريق حتى لا يضلوا الطريق ويطلق عليهم «الأدلة».

فهؤلاء الأولياء في الحياة الدنيا كأدلة الطريق الذين يهدون قافلة البشرية من الضلال وينقذونهم من الهلكة.

ثم قال عليه السلام: «مَنْ أَخَذَ الْقَصِيدَ حَمِيدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً دُمُوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَخِدَرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ».

نعم! فهؤلاء يراقبون بنى جنسهم على الدوام؛ فيشجعون السائرين على الدرب ويشدون عزائمهم ويحذرون المنحرفين ويذمونهم ويصرخون بهم حتى لا يواصلوا طريق الانحراف فيهلكوا.

ثم قال في استنتاج لما ورد في العبارات السابقة: «وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدْلَةٌ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ».

نعم! فهنالك الظلمات المعتمة في مسيرة الحياة الدنيا والطرق المضلة وكلاهما خطر على السالكين، ووجود أولئك الأولياء مصابيح للدجي والأدلة على ذلك الطريق الخطير.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦٢

## ١. ما المراد من أيام الله؟

أشار الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة إلى أن أولياء الله يذكرون الناس بأيام الله. طبعاً كل الأيام هي أيام الله وكل موضع بيته وفي نفس الوقت ليس له يوم ولا بيت فهو اسمى من الزمان والمكان؛ ولكن كما سميت الكعبة كونها اعظم مركز للعبادة «بيت الله»، فإن هناك بعض الأيام الخاصة التي تلالأت لما تحمله من حوادث مهمّة.

قال البعض: «أيام الله» إشارة إلى غلبة الأنبياء لجيوش الشرك والكفر. وقال البعض الآخر: أيام العبادة كأيام الشهر المبارك وأيام الحج، ما ورد في تاريخ بنى إسرائيل وموسى أنه أمر أن يذكر بنى إسرائيل بأيام الله في إشارة إلى يوم النصر على فرعون والنجاة من البحر وما شابه ذلك، ولكن جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير «أيام الله»: «يُرِيدُ بِأَيَّامِ اللَّهِ سُنَّتَهُ وَأَفْعَالَهُ فِي عِبَادِهِ مِنْ إِعْطَامٍ وَاتِّتِقَامٍ» [٤٤٦].

وطبق هذه الرواية فإن كل يوم يلمس فيه العبد نعمته من نعم الله أو ينتصف فيه من الأعداء إنما يعتبر من أيام الله.

على كل حال فإن ذكر أيام الله عامل تكامل الإيمان وآثاره حسن الشكر والتوجه إلى الله.

حتى أيام البلاء الرباني عدت في الرواية من أيام الله كما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «أَيَّامُ اللَّهِ نِعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ وَمَثَلَاتُهُ سُبْحَانَهُ» [٤٤٧]. لا شك في أن لمفردة أيام الله في هذه الخطبة مفهوم عام يشمل كل ما ذكر سابقاً.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦٣

## ٢. الإلهامات الغيبية

العبارة «عباداً ناجاهم في فكرهم وكلمتهم في ذات عقولهم...» أشار فيها الإمام عليه السلام إلى رجال ألقى الله في قلوبهم نور الهدى عن طريق النجوى الفكرية والإلهامات القلبية وطرح عنهم حجب الجهل والظلمة فسعوا بما يتلقون من هدى لهداية الخلق وإرشاد ضالى سبيل الإيمان والتقوى.

فهل هؤلاء هم الأوصياء والأنبياء المعصومون عليهم السلام الذين يتلقون الحقائق من عالم الغيب عن طريق الإلهام في فترات بعته الأنبياء، أم يشمل الصالحين من الأفراد الذين بلغوا قمة الورع والتقوى؟

أى أن قلوبهم مرتبطة بعالم الغيب كما هو به مضمون «إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» [٤٤٨]. ومضمون «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» [٤٤٩].

والله لا يتركهم لوحدهم في الشدة كأم موسى عليه السلام: «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ...» [٤٥٠] حيث ألهمها مسير ولدها، فكيف يمكن أن يحرم من هذا الفيض سائر الصالحين، ومن هنا يعتقد بعض الأعلام بأن كل عمل مهم يصدر من تقى، أو اكتشاف يتوصل إليه عالم، إنما يتم في ظل هداية الله التكوينية والإلهامية.

فروح القدس الذى يعين بعض الأفراد مثل حسان بن ثابت والكميت حين إنشادهم لتلك الأشعار الرفيعة وينطق الشعر على ألسنتهم [٤٥١] فلم لا يمد سائر العشاق.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦٥

## القسم الثانى



وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَاهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا أَطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبُرْزَخِ فِي طَوْلِ الْأَقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ.

### الشرح والتفسير: أولياء الله وأهل الذكر

لما فرغ الإمام عليه السلام من بيان آثار ذكر الله في جلاء القلوب وسعة معطياته على روح الإنسان، خاض في شرح أهل الذكر بالحق، وتطرق إلى صفاتهم الواحدة تلو الأخرى فقال «وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَاهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا».

إشارة إلى أن ذكر الله يعصم من الغرور بالماديات الزائلة للدنيا التي عبرت عن حبها الأحاديث الإسلامية أنها «رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» [٤٥٢] ومصدر جميع المعاصي.

طبعاً هذا لا يعنى أن هؤلاء كالرهبان الملازمين للدير أو المقاطعين للدنيا الذين يولون أديبارهم للحياة الاجتماعية (بقريئة العبارات القادمة) بل المراد أن هؤلاء لا تأسرهم مغريات الدنيا.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦٦

أما ما المراد بـ «الذكر» و «الأهل»؟ هنالك تفسيران رئيسيان: أحدهما خاص والآخر عام؛ التفسير الخاص: أن المراد من الذكر، النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أو القرآن وأهل الذكر «أهل البيت» والأئمة المعصومون عليهم السلام والصفات التي وردت بعد هذه العبارة في أهل الذكر تنطبق عليهم بصورة تامة.

ومفهومه العام يشمل جميع العلماء الأتقياء والمؤمنين الكمل، والصفات الواردة بعدها تنطبق عليهم.

وليس هنالك مانع من الجمع بين المعنيين؛ فمفهوم الجملة عام وأهل البيت من مصاديقها البارزة وأنصح نماذجها.

ثم بين الإمام عليه السلام في مواصلته لكلامه آثار ذكر الله لدى هؤلاء ضمن خمس صفات فقال: «فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ».

لا- أنهم لم يكن لديهم بيع وتجارة ولم يمارسوا الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، بل كانوا يخطون خطوات مؤثرة في هذا المجال؛ ولكن هذه الأنشطة الاقتصادية تجعلهم يغفلون عن ذكر الله ويتهاكفون في الاقبال على الدنيا.

أمّا ما الفرق بين التجارة والبيع؟ يقال أحياناً النسبة بينهم العموم والخصوص المطلق وذكر البيع بعد التجارة من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأن البيع أحد أنواع الفعاليات الاقتصادية.

كما يحتمل أن تكون التجارة إشارة إلى الفعاليات الاقتصادية المستمرة ويشمل البيع الفعاليات المحدودة والزمانية؛ أى أن أهل الذكر لا يفقدون هذا ولا ذاك وفي نفس الوقت يتجلى فيها ذكر الله بصورة دائمة.

ثم أشار إلى باقى صفاتهم فقال: «يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتَفُونَ [٤٥٣] بِالزَّوْجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦٧

الجملة «يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ» إشارة إلى أن ذكر الله وآثاره المباركة ليست مرتبطة بيوم أو بضعة أيام من عمرهم، بل يشمل أيام حياتهم منذ الشباب حتى الكهولة والشيخوخة.

وتشير العبارات بعدها إلى أنهم لا يتخلون قط كالمتوقعين عن المسؤوليات الاجتماعية؛ بل نشطون للغاية في ميدان إرشاد الجاهل وتنبية الغافل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالنظر إلى أن العبارة وردت بصيغة الفعل المضارع والفعل المضارع يدل على

الاستمرار، فهي إشارة إلى أن أعمالهم الصالحة هذه دائمة.

جدير ذكره أن الإمام بين هنا أنهم يأمرون بالمعروف ويأتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه، كما قال الإمام عليه السلام في الخطبة ١٧٥: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي، وَاللَّهِ، مَا أَحْتُكُم عَلَى طَاعَةِ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنهَاكُم عَنْ مَعْصِيَةِ إِلَّا وَأَتْنَاهِي قَبْلَكُمْ عَنْهَا!». ثم خاض الإمام عليه السلام في مزيد من الشرح بخصوص أحوال أولياء الله وأهل الذكر فقال: «فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ».

نعم! فهؤلاء يرون هذا العالم بأعينهم الباصرة النافذة عالم ما بعد الموت والقيامة والبرزخ ويشاهدون مصير الأخيار والأشرار. ثم قال في إيضاح ذلك الكلام: «فَكَأَنَّمَا أَطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طَوْلِ الْآقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا [٤٥٤]». ثم بين نتيجة هذه المكاشفة الروحية: «فَكَشَفُوا غَطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ». لم يعجز أهل الدنيا العاديون عن إدراك أحوال البرزخ والآخرة بينما يشاهدان

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦٨

أولياء الله أهل الذكر بل يرون فيها أنفسهم؟

لأن أرواح أهل الدنيا معلقة بالدنيا فألقت حجاباً بينهم وبين العوالم الأخرى؛ أما أهل الذكر الأطهار المتحررون من تلك التعلقات والذين جلوا أرواحهم بدوام التفكير والعبادة، أزيلت عن أعينهم تلك الحجب فانعكست فيها صور حقائق عالم البرزخ والقيامة. هؤلاء حملة الرسائل الإلهية من ذلك العالم إلى هذا العالم، الرسائل التي تؤدي إلى يقظة الغافلين وإبصار المكفوفين.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٦٩

## القسم الثالث

### إشارة

فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ لَعَقَلْتُكَ فِي مَقَامِهِمُ الْمَحْمُودَةَ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةَ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِينَ أَعْمَى إِلَيْهِمْ، وَفَرَعُوا لِمَحَاسِنِهِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمْرُوا بِهَا فَفَضَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نَهَوْا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الشَّيْءِ تَقَالِبِهَا، فَشَجُوا نَشِيْجًا، وَتَجَاوَبُوا نَحِيْبًا، يَعْجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجَى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدَ الْكِرَامَاتِ فِي مَقْعَدِ اطَّلَعِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِي سَعِيهِمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ. يَتَسَمُّونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنَ فَاقِهِ إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسَارَى ذِلَّةِ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طَوْلَ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطَوْلَ الْبُكَاءِ عُيُوبَهُمْ. لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدُّ قَارِعَةٍ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيْقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِيْبُ عَلَيْهِ الرَّاعِبُونَ. فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيْبٌ غَيْرُكَ.

## الشرح والتفسير: مصير السائرین علی الصراط

رسم الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة صورة دقيقة لحال أهل الذكر وأولياء الله، كيف يحاسبون أنفسهم ويتلافون ما بدر منهم فقال: «فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ [٤٥٥] لَعَقَلْتُكَ فِي

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧٠

مَقَامِهِمْ [٤٥٦] الْمَحْمُودَةَ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةَ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِينَ [٤٥٧] أَعْمَى إِلَيْهِمْ، وَفَرَعُوا لِمَحَاسِنِهِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ

أَمْزُوا بِهَا فَكَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهَوَّا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ [٤٥٨] ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الْأَسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجًا [٤٥٩]، وَتَجَاوَبُوا [٤٦٠] نَحِيبًا [٤٦١]، يَعْبُجُونَ [٤٦٢] إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ.

ولما فرغ الإمام عليه السلام من ذكر حالات أولياء الله كيف يراقبون أنفسهم ويحاسبون أعمالهم وما يبسون من ردود أفعال إزاء ما يبدر منهم من تقصير ويتأوهون إلى الله خلص إلى نتيجة ذلك فقال: «لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجَى [٤٦٣]، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقْعِدِ أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضَى سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ».

هذا القسم من كلام الإمام في الواقع جواب شرط للجمله السابقة: «فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ...». ذكر الإمام عليه السلام هنا خمس صفات أو نتيجة مهمة لمراقبتهم تفيد الهدى وكشف الدجى. إشارة إلى أنهم ليسوا كالزهاد المعتزلين قط الذين لا يرون إلا أنفسهم، بل هم منقذو الغرقى الذين يسعون لإنقاذ الغرقى فى بحر المعاصى، وأنهم على درجة من العلو والرفعة من حيث المقام والمكانة بحيث تحفهم الملائكة وتقوم

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧١

على خدمتهم كما ورد فى القرآن: «الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» [٤٦٤]. وقد عمهم الأمن والسكينة بمضمون «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ» [٤٦٥]. وتنتظرهم بمضمون «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ\* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» [٤٦٦] مقامات لا توصف من الفضل والرحمة الإلهية. حقاً حين يقرأ الإنسان هذه الكلمات العميقة المعنى كيف يبلغ أولياء الله فى ظل العبودية مقاماً لا يرى سوى الله يستغرق فى التفكير فى عظم الاستعداد الذى يملكه ولو عرف قدره وفجر استعداداه.

ثم خاض فى جانب آخر من أحوال أهل الذكر فى إرتباطهم بالله وعبادته فى الخلوات فقال عليه السلام: «يَتَنَسَّمُونَ [٤٦٧] بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقِهِ إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَى [٤٦٨] قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ». إشارة إلى أنهم كلما جدوا فى الطاعة والعبودية شعروا بالتقصير أزاء عظمته الله، ومن هنا يتجهون إليه على الدوام ويلتمسون السكينة عن طريق العفو، ومن جانب آخر فإنهم لا يعولون قط على أعمالهم، بل يتكلمون على فضل الله فينقل بهم قلوبهم ويكشف ذلك لهم عيونهم الباكية.

ثم قال عليه السلام: «لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدُّ قَارِعَةٍ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ [٤٦٩]، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاعِبُونَ». إشارة إلى أنهم لا يتعلقون بأعمالهم وكل أملهم بكرم الله.

يقرعون كل باب ويأتون بكل عمل يعتقدون بأنه سبب لمرضاة الله واستئزال

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧٢

رحمته.

إنهم يعيشون فى الواقع بين الخوف والرجاء دائماً وهو أفضل حالات المؤمن، الخوف من التقصير والأمل بفضل الله. وفى الختام تغير لحن كلام الإمام عليه السلام عن شرح حالات أهل الذكر ليتطرق إلى موعظة عامة فقال: «فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ».

إشارة إلى أنه ينبغى عليك أن تحاسب نفسك هنا قبل أن تحاسب فى البرزخ والقيامة من جانب الملائكة فإن بدر منك خطأ تلافيته وإن كان لك عمل صالح حمدت الله عليه؛ وليس لك أن تدقق فى أعمال الآخرين الصغيرة والكبيرة فإن لهم حسيباً غيرك. فهنالكَ فى الواقع رسالتان فى العبارة الأخيرة؛ إحداهما، رسالة الحديث المعروف «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا» [٤٧٠]. والأخرى، رسالة الآية الشريفة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» [٤٧١].

## تأمل: ذكر الله والذاكرون

كل ما ورد في هذه الخطبة الغراء والعظيمة المضمون كان شرحاً لعبارة من آية في القرآن الكريم وهي أن أولياء الله لا يغفلون قط عن ذكر الله لمتاع الدنيا، فنور الله يسطع في بيوتهم وهم كالنجوم التي تهدي الخلق في ظلمات البر والبحر. بغض النظر عن أن للذكر ثلاث مراحل: الذكر القلبي، واللساني والذكر بالعمل، فهناك مصاديق متفاوتة لكل مرحلة كالنور الذي يشمل نور الشمس ونور الشمعة.

ويكون أحياناً هذا الذكر محدوداً بحيث لا يضيئ أكثر من الوسط، وأخرى على نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧٣

درجة من العمق والسعة بحيث يضيئ العالم.

وأولى القرآن أهمية فائقة للذكر والذاكرين. فقد خاطب الله تعالى موسى عليه السلام: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» [٤٧٢].

وقال أيضاً: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ» [٤٧٣].

وقال بخصوص الخمر: إنه نهى عن الخمر كونه يصد عن ذكر الله: «وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» [٤٧٤].

كما يقول إن نفوذ الشيطان يبدأ حين يغفل الإنسان ذكر الله: «وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» [٤٧٥].

وأوجز تعالى كل عظمه القرآن في عبارة فقال: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» [٤٧٦].

وقال تعالى: «فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [٤٧٧].

وأخيراً وصف ذكر الله أنه وسيلة لاطمئنان القلوب: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» [٤٧٨].

ورغم أن للذكر معاني مختلفة في هذه الآيات؛ لكنها تشترك جميعاً في أمر هو أنه يسوق الإنسان إلى الله، يجري من القلب على اللسان ويتسع من اللسان لجميع أعمال الإنسان. وكأن جميع الأعضاء تذكّر الله بصوت بليغ في كل الأعمال. كما وردت الأهمية الفائقة للذكر والذاكرين في الروايات:

منها ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧٤

إِلَّا الذِّكْرَ فَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ» [٤٧٩].

كما ورد عنه عليه السلام أيضاً: «مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي جَنَّتِهِ» [٤٨٠].

ويستفاد من بعض الروايات أن ذكر الله يدفع أنواع البلاء. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الصَّوَاعِقَ لَا تُصِيبُ ذَاكِرًا» [٤٨١].

بل أبعد من ذلك أنه عليه السلام قال: «مَا مِنْ طَيْرٍ يُصَادُ إِلَّا بَتَرَكَ التَّشْبِيحِ وَمَا مِنْ مَالٍ يُصَابُ إِلَّا بَتَرَكَ الزَّكَاةِ» [٤٨٢].

زبدة الكلام أن الآيات والروايات في ذكر الله وأهميته وآثاره على الحياة المادية والمعنوية والدنيا والآخرة كثيرة، وما ورد سابقاً هو جانب من ذلك.

ونختتم هذا الكلام برواية عن الإمام الصادق عليه السلام التي بينها في تتمه حديث، عدم محدودية الذكر فقال: «كَانَ أَبِي كَثِيرَ الذِّكْرِ لَقَدْ كُنْتُ أَمْشِي مَعَهُ وَإِنَّهُ لَيَذْكُرُ اللَّهَ وَآكُلُ مَعَهُ الطَّعَامَ وَإِنَّهُ لَيَذْكُرُ اللَّهَ وَلَقَدْ كَانَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَمَا يَشْغُلُهُ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ...» [٤٨٣].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧٥

## الخطبة ٢٢٣

## إشارة

قاله عند تلاوته:

«يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ [٤٨٤]» [٤٨٥]

## نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة الواردة في تفسير الآية الشريفة: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» من عدة أقسام: القسم الأول: تساءل الإمام وويخ صحبه ومخاطبيه من أجل إيقاظهم وبث الوعي بين صفوفهم فإلى متى هم نائمون ولم لا يفيقون من هذا السبات؟ لم لا يرحمون أنفسهم وينقذونها ممّا تغط به في مستنقع الذنوب والمعاصي ويطلبون جروحهم وآلام قلوبهم التي أفرزتها الآثام.

ودعا في القسم الثاني هذا الإنسان الهارب لمحاكمة نفسه. فيذكرها بنعم الله فلو

نقعات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧٤

تفرغ لمحاكتها لأدان نفسه قطعاً.

وتحدث في القسم الثالث عن تقلب أوضاع الدنيا والاعتبار بحياة الماضين ومماتهم. وحذر في آخر قسم ببضع عبارات موجزة فناء الدنيا وقيام القيامة وحضور محكمة العدل الإلهي وغياب الأعداء هناك.

ثم جعل كل هذه التذكيرات والتحذيرات وسيلة لخرق حجاب الغرور الذي أشار إليه في الآية المذكورة.

\*\*\*

نقعات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧٧

## القسم الأول

## إشارة

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجْبَةً، وَأَقْطَعُ مُعْتَرٍّ مَعْدِرَةً، لَقَدْ أْبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقْظَةٌ؟ أَمَا تَرَحَّمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرَحَّمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلِيَّ بِالْمِمْصِ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ، وَجَلَدَكَ عَلَى مُصَابِحِكَ، وَعَزَّأَكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ! وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نَفْسِي، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مِدَارِجِ سَطَوَاتِهِ! فَتَدَاوِ مِنْ دَاءِ الْفُتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِيقْظَةٍ، وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعًا، وَبِدْرِكِهِ آتِسًا.

## الشرح والتفسير: الرحمة بالنفس؟

قال الإمام عليه السلام في مستهل الخطبة على ضوء الآية المذكورة «أَدْحَضُ [٤٨٦] مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرَّ مَعْدِرَةٍ، لَقَدْ أُبْرِحَ [٤٨٧] جَهَالَةً بِنَفْسِهِ».

فقد أشار الإمام عليه السلام في الواقع إلى هذه النقطة وهي أن الله يصرح في هذه الآية:

لقد أفاض الله عليك كل هذا الكرم بالنعم المادية والمعنوية من رأسك إلى أخمص قدمك ومازلت مغروراً وعاصياً ومتمرداً؟! فليس لديك أدنى حجة وليس لديك من

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧٨

عذر وعملك يدل على أنك لم تعرف نفسك.

ومن هنا يتضح خطأ من ذهب إلى أن صفة الكريم في الآية لتلقيين المخاطب بأن يقول في الجواب: «غرنى كرمك»، بل يريد أن يقول بالعكس رغم كل هذا الكرم واللفظ مع كل هذا العصيان المخجل الذي يفتقر إلى العذر والحجة، لذلك ورد في الحديث النبوي أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لما تلا الآية قال: «غرة جهله» [٤٨٨].

ثم خاض الإمام عليه السلام في شرح هذا الكلام ليسلط بهذه العبارات سوط ملامته وتوبيخه على جسد أرواحهم الهامدة عليهم فيقول ويعودوا عن غيهم فقال: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟».

إشارة إلى أن غريزة حب الذات في الإنسان أقوى الغرائز؛ فالإنسان بصورة طبيعية يحب نفسه أكثر من أي شخص آخر وإذا رأينا شخصاً يطعن صدره وعضده لذهلنا وتساءلنا مع أنفسنا: هل أصيب بالجنون، أو يرغب شخص عاقل بهلاك نفسه؟ فإن لم تكن للإنسان أدنى رغبة بهلاك نفسه فلم يتقبل الغرور والذنب والمعصية التي تؤدي إلى هلاكه؟!

ثم قال عليه السلام: «أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ [٤٨٩]، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقْظَةٌ؟ أَمَا تَرَحَّمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرَحَّمُ مِنْ غَيْرِكَ؟».

ثم أوضح هذه الحقيقة بذكر مثال فقال: «فَلَرَبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ [٤٩٠] مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ قَتِظْلُهُ، أَوْ تَرَى الْمُتَبَلِّغَ بِأَلَمٍ يُمِضُ [٤٩١] جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ، وَجَلَّدَكَ [٤٩٢] عَلَى مُصَابِكَ، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ!».

إشارة إلى ما نراه من تناقض في فعل الآخرين وازدواج في أحكامهم فهم يبدون

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٧٩

أشد ردود الأفعال إزاء انزعاج الآخرين وسقم المرضى وأحياناً تسيل الدموع من أعينهم في حين مرضهم أشد ومصيبتهم أعظم ولا يبدون أي رد فعل.

أراد الإمام عليه السلام بهذا البيان المنطقي البليغ أن يوقظ هؤلاء الغافلين الجهال والسادجين ويلفت انتباههم إلى ما ينتظرهم من مصير خطير لعلهم يتوبون وينيبون إلى الله.

ثم قال عليه السلام: «وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتٍ [٤٩٣] نَقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطَتْ [٤٩٤] بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجِ سَطَوَاتِهِ [٤٩٥]! فَتَدَاوٍ مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بَعْرِيْمَةٍ، وَمِنْ كَرَى [٤٩٦] الْغَفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِيَقْظَةٍ».

هنالك أمران ضروريان للخلاص من الخطر: اليقظة والحذر من جهة والإرادة والعزم الراسخ من جهة أخرى وقد أشار الإمام إلى هذين الأمرين بهذه العبارة الموجزة فحذر الجهال بأن يفيقوا من سبات الغفلة ويعقدوا العزم مادامت الفرصة سانحة على خلاص أنفسهم من مخالف المعاصي التي توجب نيران الغضب الرباني.

التعبير ب «بَيَاتٍ نَقْمَةٍ» كون ضحايا البلاء النازل ليلاً أكثر؛ من قبيل الزلازل والسيول والعواصف التي تحدث ليلاً ويغيب الناس في النوم ولا يملكون من وسيلة للدفاع عن أنفسهم.

قال تعالى في القرآن المجيد: «أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ \* وَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ» [٤٩٧].

وقال في ختام هذه الفقرة: «وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعًا، وَبِذِكْرِهِ آنِسًا».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٨١

## القسم الثاني

### إشارة

وَتَمَثَّلُ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهَ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَعَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلِّئٌ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ! وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ. فَلَمْ يَمْنَعَكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ! فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ! وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَفَقِّهِينَ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِينَ فِي الصُّدْرَةِ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حِرَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِيءِ الْأَعْمَالِ.

### الشرح والتفسير: رحمة الله ومعصية العبد!؟

دعا الإمام عليه السلام الناس في هذا الجانب من الخطبة إلى الحكم على أنفسهم وعدد أدلة إدانته، ومن ذلك أنه يحث الخطي دائماً في طريق العصيان من جهة ومن جهة أخرى يمتدح الله بوابل فضله ورحمته فقال: «وَتَمَثَّلُ [٤٩٨] فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهَ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَعَمَّدُكَ [٤٩٩] بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلِّئٌ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ».

حقاً إنه لمن المؤسف والمخجل أن يكون مولى الإنسان كريماً يغذيه بأنواع النعم لكنه يتولى عنه دائماً؛ الأمر الذي لا يقبله أى وجدان.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٨٢

وهذا ما نقرأه في دعاء الافتتاح في شهر رمضان المبارك: «يَا رَبِّ، أَنْكَ تَدْعُونِي فَأَوْلَى عَنكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَاتَّبِعْضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِي التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعَكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي وَالْإِحْسَانِ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ».

ثم قال: «فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ! وَأَنْتَ فِي كَنْفِ [٥٠٠] سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ!».

إشارة إلى أنه ليس من العجب أن يعتمد الأفراد الأقوياء أسلوب العنف. والعجب أن يسلك الفرد الضعيف والذليل العاجز هذا الطريق؛ إلا أن الله بكل تلك القدرة العظيمة هو منتهى الحب والرافة بينما يبدى هذا الإنسان بكل هذا الضعف والعجز كل هذه الجراءة على المعصية في حين لا يمسك عنه فضله ورحمته وهذا عجب حقاً!

ثم قال عليه السلام: «فَلَمْ يَمْنَعَكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ [٥٠١] فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ! فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ!».

إشارة إلى أن الإنسان لا يخلو من ثلاث حالات: إما مشمول بنعمة لا بد أن يؤدي شكرها، أو ارتكب معصية سترها الله وعليه أن يمتن لذلك الستر ويستغفر أو دفع عنه بلاءً وينبغي له أن يعرف قيمة هذه النعمة، هذا بينما من يسير في طريق العصيان لا يكثرث لأوامر الله ونواهيها، فما عساه أن فكر بأن الله الرحيم والغاية في الكرم كيف سيجازيهم إن أطاعوه، وهذه هي مسألة «وجوب شكر المنعم» التي يمكنها أن تكون دافعاً لمعرفة الله كما يقول علماء العقائد.

آنذاك نظر الإمام إلى هذه المسألة من زاوية أخرى فحاض في بيان آخر لإيقاظ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٨٣

مخاطبيه فقال عليه السلام: «وَأَيْمُ اللَّهِ ٥٠٢] لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصَّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقِينَ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِينَ فِي الْقُدْرَةِ، لَكُنْتُ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِدَمِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِيِ الْأَعْمَالِ».

ذهب بعض شراح «نهج البلاغة» إلى أن العبارة السابقة بصيغته صغرى وكبرى من الشكل الأول من القياسات المنطقية؛ ولكن الظاهر أن سياق العبارة ناظر لقياس الأولوية؛ أى أن فردين متشاكلين لا يخشيان بعضهما عادة، مع ذلك إن كان أحدهما يحسن دائماً والآخر يسيئ فإن وجدان الفرد الثانى يدينه ويتهمه بسوء الخلق. فإن كانت هذه المسألة بين أحد غايته فى العظمة وآخر غايته فى الصغر بحيث ليست هنالك من حاجة وخوف وخشية فى لطفه ورحمته من جهة ومن جهة أخرى كله حاجة وخشية من العقاب على المعاصى، قطعاً على ذلك الفرد الصغير فى ظل تلك الظروف أن يلوم نفسه لِمَ الفعل المخجل إزاء كل هذا الكرم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٨٥

### القسم الثالث

#### إشارة

وَ حَقًّا أَقُولُ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَزْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفْتِكَ الْعِظَاتِ، وَآذَنْتَكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعَدُّكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّفْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصِيدُكَ وَأُوفِي مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَعْرُكَ. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، صَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكْذَبٌ، وَلَكِنَّ تَعَرَّفَتْهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ! وَلَيَعَمَّ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرِضْ بِهَا دَارًا، وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا مَحَلًّا! وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا عَدَا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

#### الشرح والتفسير: الدنيا أعظم واعظ

لما كان أغلب المتهافتين على الدنيا يحملون الدنيا مسؤلية معاصيهم لإبراء أنفسهم ويعدون زخارف الدنيا ونعمها المادية سبب ااثامهم فإن الإمام رد عليهم فى هذا الجانب من الخطبة فقال: «وَ حَقًّا أَقُولُ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَزْتَ». ثم خاض فى بيان دليل ذلك الكلام فقال: «وَلَقَدْ كَاشَفْتِكَ الْعِظَاتِ ٥٠٣]، وَآذَنْتَكَ ٥٠٤] عَلَى سَوَاءٍ».

إشارة إلى أن الدنيا ليست غرارة فحسب، بل تقع فيها أحداث موقظة، والإمام

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٨٦

خاض فى العبارات الآتية فى شرحها قائلاً: «وَلَهِيَ بِمَا تَعَدُّكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّفْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصِيدُكَ وَأُوفِي مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَعْرُكَ. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكْذَبٌ».

إشارة إلى أن الدنيا عندما تصيبك بأنواع البلاء والمصائب والأحداث الأليمة وتغير القدرة، وهى صادقة ولا يصح وصفها بالخداع كما صدق من أخبرك من أولياء الله والصالحين عن غدر الدنيا وتقلب أحوالها وإن لم يكن كلامهم موافقاً لهوى نفسك؛ فلم تقبل لسان حال الدنيا ولا لسان حال أولياء الله واتهمت الجميع بالكذب، وعليه فهذا أنت من غر نفسك.

كما يحتمل أن يكون تفسير العبارة الأخيرة، أن الناصح هو الحوادث الأليمة وأخبار الصدق علامات غدر الدنيا التى يراها الإنسان بعينه ويسمعها بأذنه؛ ولكنها حيث لا تتفق وأهوائه فإنه يكذبها جميعاً ويقول هى مجرد حادثه صدفه فزالت ولن تتكرر.

ثم وضع أكثر هذه الحقيقه وجعلها معلومه للجميع فقال: «وَلَكِنَّ تَعَرَّفَتْهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ ٥٠٥]، وَالرُّبُوعِ ٥٠٦] الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ ٥٠٧] بِكَ!».



ثم قال في آخر عبارة: «وَلِنَعْمَ دَارٌ مِّنْ لَّمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا، وَمَحَلٌّ مِّنْ لَّمْ يُؤْتِهَا مَحَلًّا! وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ». إشارة إلى أن الأفراد المؤمنين واليقظين يسعهم أن يجعلوا من هذه الدنيا المليئة بالشر والمفعمة بالغرور والخداع وسيلة لسعادتهم الأبدية وسلماً لبلوغ المقامات

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٨٧

الرفيعة، بحيث تكون نظرتهم إلى الدنيا بخلاف نظرة المتعلقين بها فهي نظرة إلى الممر أو السلم؛ فأولئك الذين يهربون من زخارفها ويتنفعون بطيباتها للقرب من الله، ومن هنا يتضح الفارق بين الدنيا الممدوحة والمذمومة كما سيرد في مبحث التاملات.

### تأمل: الدنيا الممدوحة والمذمومة

وصف الإمام عليه السلام الدنيا في العبارات السابقة بالواعظ الحريص والمخبر الصادق والوفى والتي أفصحت عن تقلبها من خلال تقلباتها السريعة وأحداثها وآفاتنا المختلفة وحدّر الجميع من التعلق بها وإنما عليهم التزود منها.

نفحات الولاية؛ ج ٨؛ ص ٢٨٧

لأكثر صراحة من ذلك ما ورد في قصار كلماته بشأن الدنيا حيث قال:

«مَسَّ جِدُّ أَحِبَّاءِ اللَّهِ» «وَمَتَّجِرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ»، «وَمَهْطُ وَحْيِ اللَّهِ»، «وَمُصَيِّمِي مَلَائِكَةِ اللَّهِ»، «دَارٌ عَاقِبَةٌ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ... وَدَارٌ مَوْعِظَةٌ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا» [٥٠٨].

هذا في الوقت الذي دُمت الدنيا بشده في خطب متعددة من «نهج البلاغه» والعديد من الروايات: «دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْعُدْرِ مَعْرُوفَةٌ» [٥٠٩]، «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَّسُّهَا وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا» [٥١٠].

ثم حذر في عبارة أخرى من الدنيا فقال: «تَعْرُ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ» [٥١١].

وطلاق الدنيا ثلاثاً من جانب الإمام عليه السلام لمساوئها وقبائحها، معروف اشير له في قصار الكلمات ضمن عبارات موقظة [٥١٢].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٨٨

وأبعد من ذلك آيات القرآن المجيد التي دمت الدنيا بشده ومنها ما ورد في سورة الزخرف: «وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ\* وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ» [٥١٣].

وإن رتبنا هذه الآيات والروايات مع بعضها لورد هذا السؤال: إن كانت الدنيا بكل هذا الحسن، فلم كانت سيئته لهذا الحد، وإن كانت سيئته فلم هذا الحسن؟

يكمن الجواب في عبارة: أن الاختلاف نتيجة لاختلاف الرؤى.

والذين يكتفون بالنظر الظاهري وأصحاب الدنيا من ذوى النظرة الضيقة والسطحية لا يرون سوى زخارف الدنيا وزينتها وملذاتها فيتعلقون بها، والدنيا خطيرة للغاية على هذه الفئة، ولما كانت هذه الفئة تشكل الأكثرية، كانت هنالك الكثير من الآيات والروايات التي تدم الدنيا ولذلك يهتف القرآن: «فَلَا تَعْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزَنُكُمْ بِاللَّهِ الْعُزُّورُ» [٥١٤] الجدير بالذكر أن الدنيا الغرور في هذه الآية عدت في مصاف الشيطان المكار (لأن المراد من الغرور في هذه الآية هو الشيطان).

أمّا أهل البصائر والمؤمنون الصالحاء والعقلاء الذين ينظرون ببصرهم الحاد إلى باطن الدنيا ويرون بأفقههم البعيد بدايتها ونهايتها وتتجسد لهم عاقبة الأسلاف وتاريخهم ويضعون مصير الفراعنة والعمالقة والأباطرة نصب أعينهم يسمعون بآذان أرواحهم رسائل الوعظ النبوي المشفق ويعتبرون بتلك الدروس؛ فيستبدلون الدنيا بجماعة لكسب المعارف الربانية ومتاجر للتزود وحمل المتاع ومعبد رائع للعروج إلى ساحة القرب الربوبى.

وزبده الكلام فإن الدنيا حسب قول أمير المؤمنين على عليه السلام في إحدى الخطب:

«مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ» [٥١٥].

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٨٩

\*\*\*

## القسم الرابع

### إشارة

إِذَا رَجَعْتَ الرَّاجِفَةَ، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ، وَلِحَقِّ بِكُلِّ مَنْسِكٍ أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا هَمْسٌ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَكَمْ حُجَّةً يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةً، وَعَلَانِيَةً عُذْرٍ مُنْقَطِعَةً!  
فَتَحَرَّرَ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثَبَّتْ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ، وَتَيَسَّرَ لِسِرِّكَ؛ وَشِمَّ بَرَقَ النَّجَاهِ؛ وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

### الشرح والتفسير: الاستعداد لسفر الآخرة

أشار الإمام عليه السلام في آخر جانب من هذه الخطبة بالالتفات إلى الإشارة في العبارة السابقة إلى عالم الآخرة إلى محكمه العدل الربانية في عالم الآخرة فذكر بعض الأمور الدقيقة وقال: «إِذَا رَجَعْتَ الرَّاجِفَةَ» [٥١٦]، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا [٥١٧] الْقِيَامَةُ، وَلِحَقِّ بِكُلِّ مَنْسِكٍ [٥١٨] أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ [٥١٩] فِي عَدْلِهِ

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩٠

وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا هَمْسٌ [٥٢٠] قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ.

وكلام الإمام يؤكد على أمرين: الأول أن كل طائفة تلحق ذلك اليوم بإمامها ومعبودها ومطاعها وما كان في هذه الدنيا سيتجسم هناك قطعاً حتى ورد عن الإمام الرضا أنه قال: «فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا أَحَبَّ حَجْرًا لَحَشَرَهُ اللَّهُ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [٥٢١] ومن قبل صرح القرآن قائلاً: «اِحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ\* مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ» [٥٢٢].

والآخر: أن حساب الله ذلك اليوم على درجة من الدقة والعدل المطلق بحيث لا يغادر ذرة من ذنب أو خطوة من باطل على الأرض فالويل للآثمين والظلمة والمذنبين!

طرح هنا بعض شراح «نهج البلاغة» سؤالاً: إن لحق ذلك اليوم كل عابد بمعبوده ومطيع بمن أطاع، فلا بد أن تلحق النصارى بالمسيح، والغلاة بأمر المؤمنين وعبدة الملائكة بهم، وفي ذلك سرورهم طبعاً؟

أجاب القرآن المجيد عن هذا السؤال فقال: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ\* قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا».

وقال إثر ذلك: «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا» [٥٢٣].

نعم! لعلهم يلحقون لولا أن تبرأ أئمتهم منهم؛ وعليه واستناداً لهذه البراءة فسوف

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩١

لن يلتقوا بهم قط.

ثم حذر أولئك الذين يبرّون أنفسهم في هذه الدنيا بالأدلة الواهية والأعذار التافهة أن الأمر ليس كذلك في الآخرة فقال: «فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاخِضَةٌ [٥٢٤]، وَعَلَائِقُ [٥٢٥] عُدْرٍ مُنْقَطِعَةٌ!».

إشارة إلى أنه يتضح ويظهر كل شيء في ذلك اليوم وليس هنالك من قيمة للأعذار الواهية في ظل تلك الأجواء.

قال القرآن المجيد بشأن المكذبين بآيات الله: «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ» [٥٢٦].

ثم أشار في ختام الخطبة- بعنوان استنتاج عملي واضح- إلى سبيل الخلاص ضمن خمس عبارات موجزة وعميقة المعنى فقال: «فَتَحَرَّ [٥٢٧] مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُدْرُكَ، وَتَثَبَّتْ بِهِ حُجَّتُكَ».

وقال في السبيل الثاني: «وَأَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ».

المراد من «مِمَّا يَبْقَى لَكَ» النعم الأبدية يوم القيامة أي الأعمال الصالحة، والمراد من «مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ» نعم الدنيا التي يتركها الإنسان ويمضي.

وقال في الثالث: «وَتَيَسَّرْ لِسَفْرِكَ».

والذي قال فيه الله: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» [٥٢٨].

وقال في الرابع: «وَشِمَّ [٥٢٩] بَرَقَ النَّجَاةِ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩٢

وقال أخيراً: «وَأَرْحَلْ مَطَايَا [٥٣٠] التَّشْمِيرِ [٥٣١]».

وخلاصة الكلام فإن الإمام أبان سبيل النجاة من مخالب أخطار الدنيا والآخرة في هذا السفر المنتظر وذكر المواعظ بشأن زاد السفر ومتاعه والالتفات إلى علائم الدليل ومن ثم إعداد أعذار التقصير وأسباب الزلل والخطأ، فمثل هذا المسافر لا يضل الهدف ولا يتوقف حين يبلغ: «بلى يا زهري ليس ما ظننت ولكنك الموت وله كنت استعددت وإنما الاستعداد للموت تجنب الحرام وبذل الندى والخير» [٥٣٢].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩٣

## الخطبة ٢٢٤

### إشارة

يَتَبَرَّأُ مِنَ الظُّلْمِ [٥٣٣]

### نظرة إلى الخطبة

قال بعض الشراح أن الإمام علياً عليه السلام قال هذا الكلام لما اعترض عليه بعض أصحابه قائلين: إن معاوية جمع الناس حوله بما يبذل لهم من بيت المال فلو فعلت لرضى الناس ولتوكلوك، فغضب الإمام وصرح بأننى ... هذا الكلام الذى يتألف فى الواقع من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذى استهله ببحث كلّى جامع وقارع فى البراءة من الظلم والجور وقال لست مستعداً لأدنى ظلم وجور وإغضاب الله وإسقاطه.

وخاض فى القسم الثانى فى بيان أحد المصاديق الواضحة لذلك المطلب وبين فقر عقيل وما كان يطلب بغير حق من بيت المال وكيف أجابه بالحديدة المحمأة.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩٤

وذكر في القسم الثالث مصداقاً حياً آخر عن براءته من الظلم والجور فتطرق إلى قصة الأشعث بن قيس المناق والحلوى الملفوفة. واختتم الكلام بعبارات بليغة وفريدة في إعلان براءته من الظلم والجور وهضم حقوق الآخرين.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩٥

## القسم الأول

### إشارة

وَاللَّهِ لَئِنْ آبَيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعِيدَانِ مُسَيِّدًا، أَوْ أُجِرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَيِّدًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لَشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلِي قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟!!

### الشرح والتفسير: ارتكاب الظلم

كما اشير فإن بعض أصحاب الإمام عليه السلام قالوا للإمام: إنك عمد العدالة وتساوى بين الصغير والكبير إلا أن جماعة نعموا عدالتك بينما يغدق عليهم معاوية الأموال والهدايا حتى التحق به جماعة كثيرة فهلا قربتهم بالأموال. فأجابهم الإمام عليه السلام بكلام بعضه هذه الخطبة موضوع البحث [٥٣٤].

يستفاد من هذا الكلام مدى نعمة الإمام عليه السلام من هذا الانحراف الفكري الذي أصاب جماعة من خاصته، لذلك سعى لإزالة هذه الثقافة الجاهلية الفاشلة من أفكارهم التي يتبناها اليوم بعض الساسة المحترفين بايضاحات قاطعة وذكر الشواهد وأمثال ذلك ويستبدلها بثقافة القرآن والتبى الأكرم صلى الله عليه وآله التي تشد بسط العدل والقسط تجاه الجميع فقال: «وَاللَّهِ لَئِنْ آبَيْتَ عَلَى حَسَكِ [٥٣٥] السَّعِيدَانِ [٥٣٦] مُسَيِّدًا [٥٣٧]،

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩٦

أَوْ أُجِرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَيِّدًا [٥٣٨]، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لَشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ [٥٣٩]». أسوأ العذاب بالنسبة للإنسان أن ينام على أشواك السعدان (الأشواك الثلاثية أطرافه على الأرض وطرفه الحاد إلى الأعلى) ويقيدون يده ورجله في النهار ويجر في السوق والشارع.

وقد أقسم الإمام عليه السلام بالله بكل حزم فقال: تحمل هذا العذاب أهون عليّ من أن ألقى الله وأنا ظالم لبعض العباد وغاصب لشيء من حطام هذه الدنيا الزائلة فذلك العذاب ابدى وعذاب هذه الدنيا عابر مهما كان، فكيف تتوقعون أن أسلك طريق معاوية الذي لا يقيم وزناً لحساب الآخرة. فأترك الشريعة وألجأ إلى الشرك والجاهلية.

ثم قال عليه السلام: «وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلِي قُفُولُهَا [٥٤٠]، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى [٥٤١] حُلُولُهَا؟!».

إشارة إلى أن أى عقل لا يقبل بهذا المنطق فى أن يضحى الإنسان بالسعادة الأبدية من أجل السعادة العاجلة وأولئك الذين لهم هذه الممارسات كمعاوية وبطانته على خطأ عظيم.

وهكذا يريق الإمام عليه السلام الماء الطاهر فى يد من اقترح عليه الظلم واعتقد بأن الغاية تبرر الوسيلة فقد يئس أولئك الذين يظنون أنهم قادرون على تغيير نهجه العادل الشاق للغاية.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩٧

لا ينبغي أن ننسى أن عهد خلافة الإمام الظاهرية وبمنتهى الأسف، إنما ابتدأت حين اعتاد المسلمون بكرم عثمان على طريقة حاتم الطائي من بيت المال والتميز البغيض والذي أدى بالتالي إلى الخروج عليه وسار معاوية على نهجه، غير أن الإمام عليه السلام كان يسعى لإعادة الأمة إلى عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ورغم عدم تحقيق هذا المشروع، النتيجة التامة؛ لكنه انطوى على فائدة مهمة حفظت الرسالة الإسلامية الأصلية وفضحت المنحرفين.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٢٩٩

## القسم الثاني

### إشارة

وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمَلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرُكْمٍ صَاعًا، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْتَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلَمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكَّدًا، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا، فَأَضِغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبَعُ قِيَادَهُ مُفَارِقًا طَرِيقَتِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَهُ، ثُمَّ أَذْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيُعْتَبَرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنْفٍ مِنْ أَلْمَهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسِمَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكَلْتُكَ الثَّوَالِكُ، يَا عَقِيلُ! أَتَنْتُ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانَهَا لِلْعَبِيهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعَضْبِهِ! أَتَنْتُ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَتْنُ مِنْ لَظِي؟!!

### الشرح والتفسير: قصة الحديد المحماة

كان للإمام عليه السلام في القسم السابق بحث كلى بشأن اجتناب الظلم والجور التي تشير إلى ذروة السلامة من الظلم والجور، وقد ركز هنا على مصداقين واضحين كشاهدي صدق على ما ذكر. فبين أولاً قصة عقيل والحديده المحماة فشرح نموذجاً من عدله الذي ليس له مثل ربما في تاريخ العالم فقال: «وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمَلَقَ [٥٤٢] حَتَّى اسْتَمَاحَنِي [٥٤٣] مِنْ بُرُكْمٍ [٥٤٤] صَاعًا [٥٤٥]».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠٠

ظاهراً، مراد عقيل «صاع» كحصه يومية منظمة لتؤمن بصورة كاملة هذه المادة الغذائية وإلا لو كان صاعاً ليوم فإنه لا يحل مشكلته وليس له قيمة أن يأتي عقيل من ذلك البعد لأخيه.

كما تجدر الإشارة إلى أن عقيلاً طلب طلباً آخر بأداء دين ثقيل عليه لكن الإمام اقتصر على الإشارة إلى الطلب الأول. ثم قال: «وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْتَ [٥٤٦] الشُّعُورِ، غُبْرَ [٥٤٧] الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلَمِ [٥٤٨]».

وأضاف عليه السلام: «وَعَاوَدَنِي مُؤَكَّدًا، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا، فَأَضِغَيْتُ [٥٤٩] إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبَعُ قِيَادَهُ مُفَارِقًا طَرِيقَتِي».

شرح الإمام عليه السلام هنا جميع العوامل التي يراها اهل الدنيا تقتضى التمييز بالنسبة لأخيه.

فمن جانب لم يطلب كثيراً.

ومن جانب آخر كان أولاده فقراء ومعدمين.

وأخيراً كان يكثر من تكرار طلبه.

ولكن مع كل ذلك كان على الإمام أن يميز بين عقيل والآخرين من المحتاجين ويعطى لأخيه من بيت المال العائد لعامة المسلمين

ويضفى عليه ميزة خاصة.

قطعاً هذا العمل لا ينسجم مع العدالة الإسلامية وسَمَو روح الإمام عليه السلام، لذلك وبغية كَفَّ عقيل عن التكرار ليقنع بحقه من بيت المال عامله بما يثبت له عملياً عاقبة الظلم فقال: «فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَذْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيُعْتَبَرَ بِهَا».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠١

عقيل ظاهراً كان مكفوفاً آنذاك ومدَّ يده عله يحصل على درهم أو دينار ولم يكن يعلم ما الذى ينتظره فلما شعر بالحرارة تقترب من يده: «فَضَحَّ صَحِيحٌ ذِي دَنْفٍ [٥٥٠] مِنْ أَلْمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَخْتَرِقَ مِنْ مَيْسَمِهَا [٥٥١]».

ثم قال الإمام عليه السلام مواصلاً كلامه: «فَقُلْتُ لَهُ: تِكَلُّكَ التَّوَاكُلُ [٥٥٢]، يَا عَقِيلُ! أَتَيْتُ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا [٥٥٣] لِلْعَبِيهِ، وَتَجَرَّنِي إِلَى نَا سَجَرَهَا [٥٥٤] جَبَّارَهَا لِعَضْبِهِ! أَتَيْتُ [٥٥٥] مِنَ الْأَذَى وَلَا أَتُّنُّ مِنْ لَطْيٍ؟! [٥٥٦]».

«تواكل» جمع «ثاكله» الام التى مات ولدها وإن اطلق على كل ام فى عزاء.

التعبير باللعب إشارة إلى أن نار الدنيا مهما كانت محرقه إلا أنها ليست أكثر من لعبة إزاء نار الآخرة فالنار الحقيقية هناك، لذلك عبّر الإمام عليه السلام عن الاولى ب «أذى» والثانية «لظى».

يستفاد ضمناً من تعبيرات الإمام عليه السلام خلافاً لما يظنه بعض الجهال، فإن الإمام عليه السلام لم يضع قط حديده محمأة فى يد عقيل، بل قربها من يده وحيث كان أعمى خاف وصرخ.

انتشرت هذه القصة فى جميع الأوساط حتى وصلت إلى معاوية حسب بعض الروايات فأيقظت العديد من الغافلين وأفادت نهاية الكرم العثماني من بيت المال على القرابة والأفراد المقربين. فإذا كانت هذه معاملة الإمام لأخيه إزاء طلب صغير على خلاف العدالة فما بال الآخرين، فما عليهم سوى عدم التفكير بأى امتياز.

وتطلق هذه المفردة أحياناً على جهنم كما ورد فى الآية ١٥ من سورة المعارج: «كَلَّا إِنَّهَا لَطْيٌ».

بعبارة اخرى أن ذلك لم يكن درساً لعقيل فحسب، بل لعامة الناس فى العالم

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠٢

الإسلامى فأفاد مساواة الجميع أمام العدالة، وليس لأحد طلب المزيد وإن كان أقرب المقربين إلى رئيس الدولة. الطريف ما ورد فى ذيل بعض الروايات أن عقيلاً قال للإمام عليه السلام إذا كان الأمر كذلك فسأذهب إلى من يكثر من البذل والعطاء. ومراده (معاوية) فردَّ عليه عليه السلام: «رَاشِدًا مَهْدِيًّا» [٥٥٧].

ولترك الكلام لعقيل يتحدث عن قصة الحديد المحمأة: ثم تلا الآية: «إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ» [٥٥٨].

فقال معاوية: «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ عَقِمَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَهُ» [٥٥٩].

وقد روى المرحوم العلامة المجلسي فى «بحار الأنوار» قصة مكملة لما سبق [٥٦٠].

على كل حال تشير القرائن إلى أن هدف الإمام عليه السلام لم يكن مجرد بيان قضية شخصية وتحذير عقيل، بل كان الهدف انتشار هذه القضية فى كل مكان وكان كذلك وأن يفكر أصحاب الامتيازات أن تكليفهم أصبح واضحاً بعد أن تصرف الإمام مع عقيل بهذه الطريقة فلا يفكرون قط فى تلك الامتيازات، وبعبارة أخرى كان الهدف وضع حد لثقافة عهد عثمان فى بيت المال وإعادة ثقافة العهد النبوى.

تأملان

١. نظرة إلى شخصية عقيل

هو عقيل بن أبي طالب وأخو أمير المؤمنين علي عليه السلام لأمه وأبيه وكان أبو طالب أربعة وهو أسن من الإمام بعشرين سنة ويكنى أبا يزيد.

وكان أبو طالب يحبه كثيراً فلذلك قال له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «يا أبا يزيد إنني أحببك حُبِّين؛ حُبًّا لِقْرَائَتِكَ مِنِّي وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠٣

وورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «إِنَّ وَآلِدَهُ لَمَقْتُولٌ فِي مَحَبَّةٍ وَآلِدِكَ فَتَدْمَعُ عَلَيْهِ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ وَتُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ثُمَّ بَكَى حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُ عَلَى صَدْرِهِ».

شهد عقيل كعمه العباس بن عبدالمطلب معركة بدر الكبرى مع المشركين مجبراً فأسر وعاد إلى مكة بفديته وأسلم بعد صلح الحديبية وهاجر ووصل إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله [٥٦١].

## ٢. التسوية بين المسلمين في بيت المال

لا شك في أن لبيت المال مصادر مختلفة؛ وأحد تلك المصادر، الزكاة، ونعلم أن المساواة ليست شرطاً في الزكاة، بل تصرف الزكاة على أساس الحاجة كما لا ضرورة لأن ننتظر محتاجاً آخر بحضور محتاج معين، بل لنا أن نعطي المحتاج الحاضر بما فيه الكفاية.

المصدر الآخر: الخمس الذي كان يؤخذ في صدر الإسلام غالباً من غنائم الحرب، والخمس بيد الحاكم الإسلامي ليصل المحتاجين حسبما ورد في الفقه والروايات ولا يشترط فيه المساواة أيضاً.

الثالث: الغنائم الحربية التي توزع على المقاتلين بالسوية؛ لكن للمشاة سهم وللفرسان سهمان حيث كانوا آنذاك هم الذين يشتركون في الغنائم، طبعاً كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أحياناً يستجيز أصحابه في دفع شيء من الغنائم إلى أفراد معينين لجلبهم إلى الإسلام.

المصدر الرابع والخامس والسادس، المداخل الخيرية وخمس غير الغنائم والأنفال التي لا يشترط في توزيعها المساواة أيضاً، ولا مجال لشرحها هنا.

المصدر السابع الذي كان أهم من الكل آنذاك والذي يشكل عمدة بيت المال

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠٤

وهو دخل أراضي الخراج؛ أي مبالغ الاستئجار أو خراج الأراضي للمناطق المفتوحة والتي توضع في خزائن الدولة الإسلامية، فتلك الأراضي ملك لعامة المسلمين وليس الجيل القائم آنذاك، بل جميع الأجيال، وبالطبع فإن دخلها يعود إلى الجميع. بالضبط كالملك المشاع الذي يتساوى فيه الجميع، ومن الطبيعي أن ليس للدولة الإسلامية أن تميز بين المسلمين في هذا الدخل. وإن لم يلتزم أغلب الخلفاء بهذا الحكم وبل يتصرفون في تلك الاموال حسب ما يشاؤون.

وماورد في قصيدة عقيل في هذه الخطبة يتعلق بهذا الأمر الذي يشكل أهم قسم في بيت المال ولعل عقيلاً اعتقد أن تلك الأموال بيد الحاكم الإسلامي يتصرف بها كما يشاء ولاسيما أنه شاهد ما كان يفعله الخليفة الثالث بتلك الأموال.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠٥

## إشارة

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَبِثَتْهَا، كَأَنَّمَا عَجِنَتْ بِرَبِيقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْتْهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَّةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبْلَثُكَ الْهَبُولُ! أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَحْدَعَنِي؟ أَمْ حَبِطْتُ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ؟

وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعِيَّةَ بِمَا تَحْتُ أَفْلَاكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسِيلُهَا جُلِبَ شَعِيرَةٌ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا. مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْتَنِي، وَلَذَلِكَ لَا تَبْقَى! نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلْلِ. وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

## الشرح والتفسير: قصة المنافق الأشعث بن قيس

بين الإمام عليه السلام في القسم السابق كما رأينا القصة التاريخية لأخيه عقيل والحديده المحمأة لبياس أصحاب الامتيازات الطامعين في بيت المال، القصة التي تتجلى فيها ثقافة العدالة الإسلامية وتقديم الضابطة على الرابطة، ثم أشار هنا إلى مصداق آخر من هذا القبيل فذكر قضية المنافق الأشعث بن قيس وقال: «وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ ٥٦٢» طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَبِثَتْهَا [٥٦٣]، كَأَنَّمَا عَجِنَتْ بِرَبِيقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْتْهَا».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠٦

المعروف أن ذلك الطارق كان الأشعث بن قيس رأس النفاق في الكوفة شبيه عبدالله بن أبي رأس النفاق على عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في المدينة.

أمّا قول الإمام عليه السلام: «مَلْفُوفَةٌ فِي وَعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٌ شَبِثَتْهَا، كَأَنَّمَا عَجِنَتْ بِرَبِيقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْتْهَا» حيث كان هدف الأشعث أن يستعطف قلب الإمام لتحقيق غرض دنيوي. (يقال أحياناً إنه تنازع مع أحد المسلمين باطلاً على مياه وملك، ورفع الأمر إلى علي عليه السلام، لعل هذا الرجل الأعمى البصيرة أراد من خلال ذلك أن يستميل الإمام ويشتري رأيه؛ ولكن الإمام عليه السلام رأى بعينه الملكوتية باطن تلك الحلوى الذي كان كسم الحية، لأنها كانت بمثابة رشوة).

المفردة «مَلْفُوفَةٌ» رغم أنها من مادة «لَفَّ» لتشير هنا إلى طرف القماش الذي يلف به؛ ولكن حيث قال الإمام عليه السلام كانت تلك الملفوفة في وعاء وعطف عليها مفردة معجونة فيحتمل أن تكون الملفوفة نوعاً من الحلوى التي كانت معروفة ومرغوبة في الكوفة [٥٦٤].

احتمل بعض شراح نهج البلاغة أن المفردة «قِيء» بمعنى سَمِ الحية لاقينها، لأنها تطرحه من فمها كقيئها وهذا ما يقتضيه المقام والشائع لدينا في الاستعمال بشأن الطعام. «فَقُلْتُ: أَصِلَّةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ». طبعاً الزكاة محرمة على جميع بني هاشم والصدقة التي تشير إلى الإنفاق المستحب وهي ليست حرام حسب المشهور ولعل حرمتها كانت مختصة بأهل البيت عليهم السلام، واحتمل البعض أنها إشارة إلى الكفارات والصدقات الواجبة غير الزكاة، هذا أيضاً حرام على بني هاشم.

أما «صلَّة» فربما تعني الرشوة التي يعبر عنها في مباحث رشوة القاضي ب «صلَّة»

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠٧

القضاء» ومن هنا يقال لها «صلَّة» التي يجعلها الراشي وسيلة للوصول إلى هدفه غير المشروع.

وقيل «صلَّة» تعني «هدية» أو جائزة ومنه في جائزة الشاعر، يقال «صلَّة شاعر» وعليه فالعبارة: «لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ» إشارة إلى نفى الزكاة والصدقة وإثبات كونها هدية.



كما احتمال أن تكون العبارة «لا ذا ولا ذاك» نفى للجميع؛ أى ليست رشوة ولا زكاة ولا صدقة، بل هدية.

ثم وجه الإمام عليه السلام أشد ضربات التوبيخ والتفريع للمناقش الأشعث بن قيس، وقال: «فَقُلْتُ: هَبْلَثُكَ الْهَبُولُ!» [٥٦٥] أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتُخَدَعَنِي؟».

إشارة إلى أنك كأغلب الشياطين تلبس طلبتك المنكرة لباس الشرعية لتحقيق غرضك فتسمى الرشوة هدية وتظن أنك تغر بهذا الظاهر من ترى عينه أعماق الوجود. ثم قال: «أَمْخُتَبُ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ؟».

إشارة إلى أن عاقلاً لا يتصور أن أحداً يمكنه خداع شخص كعلى عليه السلام بهدية تفوح من باطنها رائحة الرشوة فإن جرب ذلك أحدهم فهو مجنون أو مختبب في عقله لمرض.

«مختبب» من مادة «خبط» بمعنى فقدان التوازن ويستعمل تارة في التوازن الظاهري وأخرى في التوازن الفكري، والمعنى الثاني هو المراد هنا والعبارة «ذُو جِنَّةٍ» إما إشارة إلى وساوس الشيطان التي تعد من الجنون ويختل إثرها عقل الإنسان، أو إشارة إلى المعروف بين الناس حيث البعض ممن أصابه الجن.

المفردة «تَهْجُرُ» من مادة «هجر» هذيان القول، وعليه فالفرق واضح بين هذه المفردات الثلاث؛ فالمختبب المختل العقل الذى يفقد توازنه العقلي، وذو جنه، الذى يعانى من نوع من الجنون لعامل باطنى، وتهجر تقال للمجنون ذاتاً ويصاب بالهذيان

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠٨

اثر شدة المرض.

طبعاً حين تكون هذه المفردات مع بعضها تفيد المعنى المذكور بينما إن أتت كل مفردة لوحدها أفادت معانٍ أخرى.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى قضية بمنتهى الأهمية بشأن عدالته لعلها لم تسمع من غيره طيلة التاريخ ليفهمه مدى الخطأ الذى إرتكبه ولم يعرفه وهى تحذير إلى جميع الزعامات وحكام المجتمعات الإنسانية فقال: «وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ» [٥٦٦] بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصَى اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ [٥٦٧] شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ».

ثم تطرق عليه السلام إلى دليل ذلك فقال: «وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا» [٥٦٨].».

وأكد عليه السلام ذلك بالقول: «مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلِدَّةٍ لَا تَبْقَى!».

حيث صرح الإمام عليه السلام فى هذه العبارات الصريحة والبلغية، لو أعطيت أعظم الرشاوى المتصورة فى العالم بما فيها ما على الأرض والقصور والثروات والأموال، لمارس أدنى ظلم وهو سلب غطاء حية شعير (لا جبه شعير) من فم نملة والى تبدو أصغر المخلوقات، لما فعلت.

ما أكثر الأفراد الذين تستميلهم المبالغ البسيطة والمتوسطة فى الرشوة أما إذا كان امتيازاً هاماً يعادل جميع حياته فذلك ما يهزه من الأعماق.

وهل هنالك من يسعه الزعم أنه لن يمارس أدنى خلاف ولو أعطى أعظم امتياز

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٠٩

ولا يهتز لذلك؟ الإمام يقول أنا ذلك الشخص ويقسم عليه صراحة.

ويمكن توجيه الدليل الذى ذكره الإمام عليه السلام على هذا الأمر، فالامتيازات المادية إنما تحظى بأهمية من الدنيا كبيرة وعظيمة لديه أما من كان فى قمة معرفه الله وكل ما سواه لا شىء بالنسبة له والدنيا عنده كورقة نبات فى فم جراد، فليس هنالك من داع لأن يعصى الله ويرتكب الظلم.

فالإمام على عليه السلام كان ينظر إلى باطن الدنيا ببصيرته؛ حيث كان يرى كل تلك الملذات والنعم المادية آيلة إلى الفناء والزوال وليس هنالك ما يستحق التعلق به أو يفكر بالتعلق به.

ومن هنا إن أردنا أن نقطع دابر الرشوة والظلم والجور والتعدى على حقوق الآخرين لا بد أن نجتهد من أجل رفع مستوى معرفة الإنسان بالله والدنيا.

يفهم ضمناً من هذه العبارات بالدلالة الالتزامية أن الظلم والجور والحكم بغير الحق لمن أسوأ المعاصي لا ينبغي إرتكابها حتى لو حصل على الدنيا برمتها.

ثم اختتم الإمام عليه السلام بعبارة موجزة وموقظة في الواقع ناظرة لكل مضمون الخطبة فقال: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ ٥٦٩ [العقل، وَقَبْحِ الزَّلَلِ. وَبِهِ نَسْتَعِينُ».

إشارة إلى أن العقل إن كان يقظاً واقترب بلطف الله لما قارف الإنسان الكبيرة وقلما يرتكب الصغيرة.

ونختتم هذا الكلام بنقل روايتين: قال الحافظ أبو نعيم الاصفهاني أحد علماء العامة في كتابه المشهور «حلية الأولياء»: «إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام:

«يا علي! إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله منها هي زينة الأبرار عند الله تعالى والزهد في الدنيا فجعلك لا تزوء من الدنيا شيئاً ولا تزوء منك

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣١٠

الدنيا شيئاً» [٥٧٠].

وورد في رواية أخرى أن امرأة شجاعه من شيعة علي عليه السلام تدعى «دارمية الحجونية» أحضرت عند معاوية فسألها:

هل رأيت علياً؟

قالت: أي والله رأيت.

قال: كيف رأيتيه؟

قالت: «رأيتُه لَمْ يَفْتِنَهُ الْمَلِكُ الَّذِي فَتَنَكَ وَلَمْ تَشْغَلْهُ النَّعْمَةُ الَّتِي شَغَلَتْكَ» [٥٧١].

### تأمل: من هو الأشعث بن قيس؟

ذكرنا في الجزء الأول عند تفسير الخطبة التاسعة عشرة أن «الأشعث» كان من المنافقين ثم أسلم ظاهراً على عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ثم إرتد بعد وفاته واسر فندم عند أبي بكر فعفا عنه، ووقف إلى جانب أعداء أمير المؤمنين علي عليه السلام مثل عمرو بن العاص، لبث الفرقة والنفاق في صفوف أصحاب الإمام ليكون مصدراً لكثير من المفاسد والاضطرابات، وكان صاحب نفوذ في قبيلته فكان يستعين بهم لتحقيق مآربه، حتى قال بعض المحققين: إن أغلب مشاكل عصر خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام كانت من هذا المنافق اللدود.

للمزيد يراجع الجزء الأول صفحة ٦٤٤ فصاعداً.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣١١

### الخطبة ٢٢٥

#### إشارة

يَلْتَجِي إِلَى اللَّهِ أَنْ يُغْنِيَهُ [٥٧٢]

## نظرة إلى الخطبة (الدعاء)

الهدف الأصلي للإمام عليه السلام في هذا الدعاء كما يتضح من العنوان، طلب الغنى وعدم الحاجة إلى غيره، فالحاجة إلى الآخرين مدعاة أحياناً لمدح الآخرين، بينما لا يستحقون ذلك المدح، أو ذم المانعين ولعلمهم لا يستحقون ذلك الدم، والأسوأ من ذلك مد اليد إلى شرار الخلق، فالدعاء في الواقع تعليم لجميع الناس ولاسيما الأتباع، وإلّا فالإمام عليه السلام أسمى مقاماً من أن يتجه صوب الأشرار أو يمدحهم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣١٣

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْأَقْتَارِ، فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعِظْ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلِيَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتِنَنَّ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْأَعْطَاءِ وَالْمَنْعِ؛ «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

## الشرح والتفسير: الغنى عن شرار الخلق!

ذكر الإمام عليه السلام في هذا الدعاء القصير مطالب عميقة ضمن ثمان عبارات فهو دعاء ودرس في الأخلاق، فبين في البداية أصل الدعاء بعبارتين فقال: «اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي [٥٧٣] وَأَعْطَانِي [٥٧٤] بِالْيَسَارِ [٥٧٥]، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي [٥٧٦] بِالْأَقْتَارِ [٥٧٧]».

ليس المراد من «اليسار» الغنى بالمعنى السائد في العرف، بل المراد الغنى عن الآخرين المقترن بالكفاف والعفاف، وإلّا فالغنى بالمعنى المذكور يؤدي أحياناً إلى إراقة ماء الوجه، وهنالك تفسيران للعبارة «وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْأَقْتَارِ» بالنظر إلى أن «ولا تبذل» من مادة «بذل» و «بذل» له معنيان: أحدهما العطاء والفقدان، والآخر القدم والضياع: التفسير الأول اللهم لا- تتوفاني على الفقر، والآخر لا تبذل شخصيتي بالفقر.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣١٤

ثم خاض في أربع عبارات في آثار الفقر والحاجة إلى الآخرين فقال:

«فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعِظْ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلِيَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتِنَنَّ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي».

وقال عليه السلام في الختام: «وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْأَعْطَاءِ وَالْمَنْعِ؛ «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»».

فقد أشار الإمام عليه السلام في هذه العبارات الموجزة في أربعة آثار سيئة للفقر التي تتم في مرحلتين فقال أولاً: أدنى ما يترتب على ذلك أن أمد يد الحاجة إلى المحتاجين إليك والأسوأ من ذلك أن تقضى الحاجة من قبل السيئين، وحقاً أئمة للغاية هي الحياة في ظل تلك الشرائط بالنسبة للأفراد المؤمنين ذوى الشخصية.

في المرحلة الثانية: أى بعد الطلب فإن أجاب الطرف المقابل اضطّر الإنسان إلى مدحه وإن تحفظ عن الاجابة انطلق لسانى بذمه ولعل لديه حاجاته الكبيرة، ولكن حيث «صاحبُ الحاجة لا يرى إلّا حاجته» [٥٧٨]، فبمجرد أنه لم يستجب لى أتهمته بالبخل، والحال ما أحرانى أن أتجه إلى الله فهو ولي المنع والعطاء وهو القادر على كل شيء!

من البديهي أن روح الإمام عليه السلام السامية لا تقبل هذه الأمور قط وإن أصابته الحاجة، فالإمام يريد بيان الآثار الطبيعية للفقر والتي تبدو على أغلب الناس ليجدوا ويواجهوا الفقر ولا يمدوا أيديهم إلى الآخرين أبداً.

## تأمل: الآثار السيئة للفقر

رغم ما ورد في عدة روايات في مدح الفقر، كحديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «الْفَقْرُ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣١٥

فَخَرَى وَبِهِ أَفْتَحِرْ». وروايه الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلًا فَقُلْ مَوْجِبًا بِشِعَارِ الصَّيِّحِينَ وَأَذَا رَأَيْتَ الْغِنَى مُقْبِلًا فَقُلْ: ذَنْبٌ عَجَلْتُ عُقُوبَتَهُ» [٥٧٩]. وسائر الروايات، ولكن من الواضح أن الفقر بمعنى العوز ولا سيما الذى يحصل بفعل الكسل والتقصير وضعف الإدارة فإنه ليس مدعاة للفخر ولا شعار الصالحين، بل مدعاة للذل والهوان والتلوث بأنواع المعاصي.

المدعاة إلى الفخر، الفقر إلى الله، فالكل محتاج إلى الله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» [٥٨٠] والذى يشبه ما ورد فى حديث أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كَفَى بِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا وَكَفَى بِي فَخْرًا أَنْ تَكُونَ لِي رَبًّا» [٥٨١].

أو أن المراد بالفقر، الحياة البسيطة الخالية من التكلف والتعقيد إزاء الثراء الذى يؤدي إلى السكر والغرور والتناول. والعبارة «شعار الصالحين» عن الفقر، والتعبير بـ «العقاب المعجل» عن الغنى، شهادة واضحة على هذا المعنى، لأن شعار الصالحين قطعاً ما يوجب الصلاح والفلاح؛ كالزهد وبساطة العيش وعقوبة المعصية ترتبط بالأمر الملوث بالذنب.

كما يحتمل أن تكون بعض الروايات التى أتت على الفقر تشير إلى الفقر المفروض الذى يطال الإنسان إثر القيام بالوظيفة، مثلاً، فى بداية الدعوة النبوية اضطر العديد من المسلمين إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ولم يتمكنوا من حمل ممتلكاتهم معهم فعانوا هناك من فقر شديد أو المسلمون الذين حاصروهم خصوم الدعوة اقتصادياً فأصبحوا فقراء، الفقر الذى أصابهم بسبب الإيمان بالله وطاعة أوامره وكان النبى صلى الله عليه وآله يواسيهم ويبين لهم أن الفقر مدعاة للفخر وشعار الصالحين.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣١٦

كما عانى خواص أهل البيت عليهم السلام فى العصور اللاحقة بمضمون المثل المعروف «الْبَلَاءُ لِلْوَالِي» من هذا الفقر المفروض واستمر ذلك حتى عصرنا الحاضر، وهذا الفقر ليس بعيداً عن العيب فحسب، بل هو فخر، والعيب أن يتخلى الإنسان عن الوظيفة من أجل الدنيا والاستسلام للعدو.

وإلى ذلك أشار الحديث الشريف «مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَعِدَّ لِلْفَقْرِ جَلْبَابًا» [٥٨٢].

وعليه فالفقر الحاصل من الكسل والهروب من العمل أو سوء الإدارة ليس مطلوباً للإنسان قط.

ويشير كلام الإمام عليه السلام فى هذا الدعاء إلى أن سلسلة من الرذائل الأخلاقية التى يفرزها الفقر بمعنى العوز والحاجة، فالتواضع للأشرار ومدح وذم من لا يستحق، لمن تلك الرذائل الأخلاقية التى تنشأ من الفقر بمعنى العوز.

الجملة «لا تَبْتَدِلْ جَاهِي بِالْأَقْتَارِ» دليل على أن الفقر الفردى يزيل ماء وجه الإنسان، والفقر الاجتماعى يزيل ماء وجه المجتمع وهذا ما لا ينسجم أبداً والعزة الناشئة من الإيمان: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [٥٨٣].

قال أمير المؤمنين على عليه السلام: «يَا بَنِي الْفَقِيرِ حَقِيرٌ لَا يُسْمَعُ كَلَامُهُ وَلَا يُعْرَفُ مَقَامُهُ لَوْ كَانَ الْفَقِيرُ صَادِقًا يُسْمَعُ كَلَامُهُ وَكَانَ زَاهِدًا يُسْمَعُ جَاهِلًا».

ثم أضاف عليه السلام: «يَا بَنِي مَنْ ابْتُلِيَ بِالْفَقْرِ ابْتُلِيَ بِأَرْبَعِ خِصَالٍ: بِالضَّعْفِ فِي يَقِينِهِ وَالنَّقْصَانِ فِي عَقْلِهِ وَالرَّقَّةِ فِي دِينِهِ وَقِلَّةِ الْحِيَاءِ فِي وَجْهِهِ، فَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفَقْرِ» [٥٨٤].

وإننا نرى اليوم بام أعيننا أن الفقر مصدر ما لا يحصى من المفسد كالابتلاء بالمخدرات والفساد والخيانة والسرقة وخدمة الأجانب وما شابه ذلك، ومن هنا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «غِنَى يَحْجُزُكَ عَنِ الظُّلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَقْرٍ يَحْمِلُكَ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣١٧

عَلَى الْإِثْمِ» [٥٨٥].

ولذلك قال النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: «الْفَقْرُ سَوَادُ الْوَجْهِ فِي الدَّارَيْنِ» [٥٨٦].

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا» [٥٨٧].

ومن الطبيعي أن تكون تلك العيوب التي اشير إليها أعظم خطورة إن عمّ الفقر المجتمع، وإنما نرى اليوم المجتمعات الإسلامية الفقيرة كيف هوت في مخالاب الأجانب وأعداء الإسلام بما يدعو الإنسان إلى مزيد من الأسى والأسف.

ونختتم هذا البحث بدعاء عن الإمام السجاد عليه السلام ضمن أحد أدعيته العميقة المعاني إذ تضرع: «اللهم إني أسئلك خير المعيشة معيشة أقوى بها على طاعتك وأبلغ بها جميع حاجاتي وأتوسلُ بها إليك في الحياة الدنيا وفي الآخرة من غير أن تُترَفني فيها فأطغى أو تَقْتُرَها عليّ فأشقى» [٥٨٨].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣١٩

## الخطبة ٢٢٦

### إشارة

في التَّنْفِيرِ مِنَ الدُّنْيَا [٥٨٩]

### نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة في الواقع من ثلاثة أقسام وكل قسم في مطلب مكمل لمطلب آخر: خاض الإمام عليه السلام في القسم الأول في التعريف بالدنيا أنها دار متقلبة مليئة بالأحداث الأليمة دائمة التغير وأهلها عرضة لسهام البلاء.

وحذر في القسم الثاني من أن قبلكم كثير ممن عمّر الدنيا وكانوا أكثر منكم إمكانات وأقوى لكنهم رحلوا جميعاً وحلّوا مساكن من التراب والطين والحجر بدل تلك القصور، هي قبورهم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢٠

وقال في القسم الثالث: إنكم سائرون على طريقهم وملاقون مصيرهم. وسيحل اليوم الذي تنتهي فيه حياتكم وتضم القبور أجسادكم وستبعثون من تلك القبور وتظهر لكم أعمالكم التي أسلفتم وعليكم تبعثها.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢١

### القسم الأول

### إشارة

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْعَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نَزَالُهَا. أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصِدِّقَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

### الشرح والتفسير: تقلب احوال الدنيا

تناول الإمام عليه السلام كما قيل في هذا الجانب من الخطبة تقلب الدنيا وغدرها فقال:

«دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ [٥٩٠] مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نَزَالُهَا» [٥٩١].

والبلاء الذى يصيب الحياة فى هذه الدنيا كثير ومتنوع من قبيل الأمراض البدنية والنفسية والأحداث الاجتماعية الأليمة والعواصف والزلازل والسيول والغارات والحروب وما يؤدي إلى جرح الإنسان أو موته وفقدان الأعزّة وأمثال ذلك.

والعبارة: «دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ» إشارة بليغة لكل ما ذكر، غدر الدنيا وربّما يشير إلى أهلها الغدرة غالباً فإن أقبلت الدنيا على أحد أحيوه وإن ولّت ولّوا كأنّهم لم يعرفوه. أو إشارة إلى غدر النعم الدنيوية بينما ترى الإنسان سالماً معافى ويظن أن وضعه سيستمر كذلك وإذا بحادث بسيط يقضى على سلامته، أو تراه جمع أموالاً وثروة طائلة فتفاجأ بحادث أفلسه. وتقلّب الدنيا المبين فى العبارة «لَا تَدُومُ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢٢

أَحْوَالُهَا» نتيجة لتلك الحوادث المتنوعة والبلايا التى تصيب الإنسان من كلّ جانب، وعدم أمن سكنتها فى العبارة «وَلَا يَسْلَمُ نَزَالُهَا» بسبب تلك الحوادث المريرة وتقلبات الدنيا.

ثم أكد عليه السلام ذلك بعبارة موقظة فقال: «أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ [٥٩٢] مُتَصَرِّفَةٌ [٥٩٣]، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، الْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ».

وتاريخ البشرية برمته شاهد حى على هذا الكلام العميق المعنى وأبعد من ذلك آيات القرآن التى تكشف الستار عن قصص الماضين، والصورة ذات العبرة التى رسمها القرآن وأخر سورة القصص عن حياة الثرى المعروف من بنى إسرائيل قارون الذى ظهر يوماً بين بنى إسرائيل بزينته وخدمه وحشمه ويستعرض قوته وثراءه أمام الجميع حتى انبرى البعض منهم ممن غرّته زخارف الدنيا ليقولوا: «يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ» ولم يطلع الغد حتى ابتلعه الأرض بالزلزلة والخسف بكلّ ما يملك فأخذت أصحاب الدنيا الرهبة ليقولوا «لَوْ لَأَنَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا».

ولا تبدو هذه الحوادث قليلة فى عصرنا، بل اتسعت للغاية وانتشرت لنرى كلّ يوم تلك المشاهد باعيننا.

ثم شبه الإمام عليه السلام فى ختام هذا المقطع حوادث الدنيا وسكنتها تشبيهاً رائعاً فقال: «وَأَيْنَمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ [٥٩٤]، تَزْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا [٥٩٥]».

نعم فالناس فى هذا العالم أهداف فاقدة للدفاع أمام سهام البلاء المصوبة نحوها من اليمين والشمال والأعلى والأسفل؛ السهام التى قلّما تخطئ وتصيب كبد الهدف فتقضى عليه، وهل من أمن فى الميدان الذى أحاط به الرماة ويستهدفون الإنسان

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢٣

كلّ حين؟! أليست الحياة مذمومة قبيحة فى هذا الوسط؟ لعل ذلك الميدان مليئاً بالجواهر والألبسة الفاخرة والأطعمة المتنوعة، لكن هل يسع هذه الأمور إسعاد الإنسان فى ذلك الوسط؟! كلا. هنالك قصة معروفة من شأنها تجسيد غدر الدنيا.

### تأمل: دار محفوفة بالبلاء

هذا العالم موضع المشاكل والمصائب والآلام والمحن. وإننا نعلم إجمالاً بهذا الموضوع، لكننا غالباً نتأمل فى شرحه وتفصيله.

والآفات التى تهدد سلامة الإنسان أكثر من أن تحصى. تتألف بنية الإنسان من أعضاء مختلفة لكل منها عدّة شرائط للقيام بوظيفته، وأدنى تغير فى تلك الشرائط بالنسبة للقلب والكليتين والعروق والأعصاب والعضلات والعظام يخلق أزمة.

يعتقد بعض الأطباء بأنّ كبد الإنسان يدفع ثلاثمائة نوع من السموم ولو اختل قليلاً لما وسعه دفع بعضها وهذه أولى الأزمات، وهكذا العين والأذن والأنف واللسان وأمثالها ولو تجاوزنا الآفات الباطنية فإنّ الآفات الظاهرية كثيرة للغاية ومتنوعة بحيث إن موت الإنسان كامن فى عوامل حياته؛ فالمطر مصدر الحياة لو زاد عن حدّه لكون سيولاً عظيمة تأتي على كل شىء، والرياح المهمة للحياة لو ازدادت سرعتها لأصبحت عاصفة تجتث الأشجار وتقذف بسقوف المنازل بعيداً، والشمس الذى تفيض بأشعتها الحياة لو تركزت هذه الأشعة لأصيب الإنسان بضربة الشمس وهدده خطر الموت، والأرض التى يسكنها الإنسان ومنها جميع البركات لو طغت وحدثت

الزلازل لأحالت مدناً عمرت بالبناء لسنوات إلى ركام من التراب خلال لحظة.

وآفات النباتات وطفغان البحار وهجوم الأمراض المعدية من الأرض والهواء والماء والطعام كل منها من شأنه تهديد حياة الإنسان، وإذا

صدرت الأوامر لأسراب

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢٤

الجراد بالهجوم وتقدمت بجيشها الجرار من كل مكان لأبادت أوراق الأشجار والسيقان والمحاصيل دون أن يسع أحد مواجهتها ولو بأقوى الوسائل المتطورة.

هذا ما يتعلق بالحوادث الطبيعية أما الآفات الاجتماعية فليست بأقل منها خطراً، فهناك الحروب الدموية كالبراكين التي تحدث كل يوم في منطقة من العالم والتي تهدد على الدوام حياة الإنسان، التنافس المحموم للاستيلاء على المناصب السياسية والقضايا الاقتصادية تمرغ كل يوم أنف جماعة في التراب أو تقضى على حياتها الاختلافات الاسرية التي تؤدي إلى الطلاق وتصدع كيان الاسرة وعقوق الأبناء وخيانة الشركاء وأصحاب السوء وضربات المنافقين كل منها عامل يهدد حياة الإنسان واستقراره. وعليه فلا بد أن نقبل بكل كياننا على كلام «دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ».

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢٥

## القسم الثاني

### إشارة

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ خَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً. فَاسْتَبَدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ وَالْإِحْجَارَ الْمُسْنَدَةَ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فَنَاوَهَا، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاوَهَا؛ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ، وَسَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوَحِّتَيْنِ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاعِلَيْنِ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ، وَدُنُوِّ الدَّارِ.

وَكَيفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَرَاوُرٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبَلَى، وَأَكَلَتْهُمْ الْجِنَادِلُ وَالتَّرَى.

## الشرح والتفسير: جيران متباعدون

أخذ الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة يد مخاطبيه ليحملهم إلى أعماق تاريخ الماضين ليريهم مصيرهم بعد ذلك العمر الطويل وتلك القوة والافتقار ويضع أمسهم مع يومهم فيلهم مخاطبيه وجميع عباد الله من كل ملة ونحلة أعظم وأعمق درس وعبرة فقال: «وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ».

ثم خاض عليه السلام في شرح هذا المجمل فقال: «مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢٦

دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً [٥٩٦]، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ خَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً [٥٩٧].»

وقد قدم القرآن في مختلف السور نماذج واضحة لهؤلاء الأقبام، ومن ذلك قوم عاد وثمود كنموذج واضح فقال في سورة والفجر

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ \* إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ \* الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ \* وَثَمُودَ الَّذِينَ حَمَلُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ \* وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ \* الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ \* فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ \* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ» [٥٩٨].

فقد ذكر عليه السلام ثلاث خصائص تفيد رجحان الأقوام السابقة عليهم؛ الأولى طول العمر (بحيث قيل إن بعضهم كان يعمر أربعمئة سنة) [٥٩٩] وعمارة المدن حتى قال فيهم القرآن: «وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ» [٦٠٠]. وكانت لهم أراضٍ عامرة وبساتين نضرة ونعمة وافرة وكانوا بارعين في الزراعة.

وأخرى كانت آثارهم أبقى، إشارة إلى أن مساكنهم وقصورهم وسائر أعمالهم العمرانية كانت على درجة من الإحكام بحيث بقيت لسنين عديدة، لكن كيف كانت عاقبتهم، سكنت الأصوات والضجيج وسيطر عليها الصمت وتعفت أجسادهم تحت التراب وبليت عظامهم وطويت آثارهم.

والعبارة «وَرِيَا حُهُم رَاكِدَةٌ» بالنظر إلى أن رياح جمع ريح والريح هنا بمعنى الروح والقوة فمفهوم ركودها أنهم قعدوا تماماً عن العمل، وفسره البعض بمعنى سكون ريح الغرور. كما يحتمل أن يكون المراد بها الريح التي تطال رايات الملوك والمقتدرين.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢٧

ثم أشار عليه السلام إلى قضية مهمته بعد مغادرتهم لتلك القصور الفارهة والحياة المترفة وأين حلوا فقال: «فَأَسَدَيْتَبَدَّلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشِيدَةِ [٦٠١]، وَالنَّمَارِقِ [٦٠٢] الْمُمَهَّدَةِ، الصُّحُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُسْنَدَةِ [٦٠٣]، وَالْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ [٦٠٤] الْمُلْحَدَةِ [٦٠٥]».

حقاً ياله من أمر عظيم أن ينتقل الإنسان من ذروة القدرة وهو يعيش النعمة واللذة إلى النقطة المقابلة تماماً، فلا بيت ولا شمعة ولا سراج ولا فراش ولا نعمة وبطر. طبعاً هذا الأمر المؤلم بالنسبة لأولئك الذين اعتادوا الحياة المرفهة والمريحة، أما أولئك الذين عاشوا حياة الزهد والبساطة فلا يعانون من هذا الانتقال، لاسيما أن القبر بالنسبة لهم روضة من رياض الجنة.

ثم خاض في بيان وضع قبورهم وسكنتها فقال: «الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فَنَأَوْهَا» [٦٠٦]، وَشِيدَ بِالْتَّرَابِ بِنَأَوْهَا؛ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ، وَسَاكُنُهَا مُعْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ».

نعم، إن كانت قصورهم بنيت بمواد قيمة باهضة جمعت بجهد جهيد من مختلف المناطق فإن قبورهم بنيت بمواد لا قيمة لها فهي حفنة تراب، وسكنة هذه القبور في حالتين متناقضتين، القرب والبعد، قريبون من حيث المكان وبعيدون من حيث الارتباط، أو أنهم منهمكون بأنفسهم إلى درجة عدم الارتباط بالآخرين، أو لا يؤذنون لهم بالارتباط، ويبدو أن ذلك ليس مهماً لهم، لكنهم في الواقع متضجرون

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢٨

لأنه وإن لم يكن هناك شيء من الأمور الدنيوية، لكنهم وجلون من أعمالهم بحيث لا يكثرثون لغيرهم (طبعاً يحدث كل هذا في الحياة البرزخية).

ثم قال عليه السلام في مواصلة ذلك: «لَمَّا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَمَّا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ، وَدُنُو الدَّارِ».

العبارة «لَمَّا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ» لعل العبارة لا يستأنسون بالأوطان إشارة إلى أنهم وإن ناموا سنين متمادية في قبورهم؛ لكن لا رغبة لهم بها ولا يأمنون بها، كما احتمل أن يكون المراد ترك ارتباطهم بأوطانهم في عالم الدنيا فهم لا يفكرون في الرجوع إليه، إلا أن المعنى الأول بقرينة العبارة (ولا يتواصلون ...) أصوب.

وأشار عليه السلام في الختام إلى هذه النقطة، لم لا يسعهم الارتباط مع بعضهم: «وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَرَؤُورٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ [٦٠٧] الْبَلْبَى، وَأَكَلَتْهُمْ الْجِنَادِلُ [٦٠٨] وَالثَّرَى [٦٠٩]!».

إشارة إلى أنهم كانوا متلاصقين في قبورهم، لكنهم فقدوا كل قدرتهم وتحولوا إلى قبضة تراب، وهل من تراور ولقاء من العظام



البالية والأجساد الخاوية؟

غَرِيبٌ وَأَطْرَافُ النَّبُوتِ تَحُوْطُهُ أَلَا كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ غَرِيبٌ [٦١٠]

### تأمل: عاقبة الإنسان بعد الموت

ما ورد في الجمل المذكورة قرينه من الجمل التي جاءت بعدها والتي ترتبط بجسم الإنسان بعد الموت، لأن الأجساد تتحول إلى التراب وليس في مقدورها الترابط والتواصل بل تعيش الغربه تماماً.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٢٩

ولا شك أن الأرواح لها شأن آخر، فإن أرواح المسيئين في عذاب شديد كما أشار القرآن الكريم إلى نماذج منها مثل عاقبة آل فرعون حيث قال:

«النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» [٦١١].

وأما أرواح الأخيار في الجنة البرزخية وكما قال القرآن الكريم بشأن الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله: «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» [٦١٢].

بل هذا ما يستفاد من بعض الروايات أن أرواح الأخيار في تلاقى وتزاور، بل هم في حلقات الانس والمؤانسة.

فقد روى المرحوم الكليني في الجزء الثالث من كتاب «الكافي» في باب أرواح المؤمنين عن حبة العرنى قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر، فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام، فقامت بقيامه حتى أعيتت ثم جلست حتى مللت، ثم قمت، حتى نالني مثل ما نالني أولاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت رداي فقلت: يا أمير المؤمنين إنني قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحه ساعة! ثم طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال لي: «يا حبة، إن هو إلا ما حدثه مؤمن أو مؤانسته». قال: قلت: يا أمير المؤمنين، وإنهم كذلك؟ قال: «نعم، ولو كشف لك لرأيتهم خلقاً خلقاً محبتين يتحدثن». فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: «أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض، إلا قيل لروحه: الحقى بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن» [٦١٣].

وعلى هذا الأساس فإن الإمام على عليه السلام صرح في هذه العبارات إلى عدم انحصار الموت بالحياة الجسمانية للإنسان ولا بعالم الأرواح فقط، وذلك أن أغلب الناس

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣٠

في هذه الحياة يقتصرون على الجانب المادي والملذات الجسمانية فقط، بل يحذرهم بأن هذه الأجساد إلى أين يكون مصيرها؟ فعليكم أن تستيقظوا من سباتكم ولا تنغمسوا في الملذات الجسمانية والمعاصي والذنوب فقط.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣١

### القسم الثالث

#### إشارة

وَكَأَنَّ قَدْ صَرُّمْتُ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمُ ذَلِكَ الْمَضْجِعُ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدِعُ. فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ، وَبُعِثْتِ

الْقُبُورُ: «هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ، وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

### الشرح والتفسير: المصير المحتوم

طبق الإمام عليه السلام على مخاطبيه هنا ما أورده بشأن مصير الأسلاف كى لا يظنوا أن الوفاة ومغادرة القصور والثروات وإمكانات الحياة واللحاق بالموسدين تحت التراب الذين لم يحملوا معهم شيئاً ولا يتصلوا ببعضهم مقتصر على أولئك الأسلاف فقال: «وَكَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجِعُ [٦١٤]، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدِعُ».

نعم فهذا قانون لا استثناء فيه مع أن لكل عام ما يخصصه، إلا أن هذه الأمور لا تخصص (أى أن تلك القاعدة لها استثناء أنها لا تعرف الاستثناء فى بعض الموارد).

ثم أشار عليه السلام إلى قضية مهمة وهى أن مشكلة الإنسان لا تنتهى بالموت، والمشكلة حضوره محكمة القيامة ومسؤوليته عن صغار أعماله وكبارها فقال:

«فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ [٦١٥] بِكُمْ الْأُمُورُ، وَبُعِثْتِ [٦١٦] الْقُبُورُ: «هُنَالِكَ تَبْلُو [٦١٧]. كُلُّ نَفْسٍ مَا

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣٢

أَسْلَفَتْ، وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

نعم هنالك بعض الأمور المهمة فى ذلك اليوم؛ فالجميع حاضرون بين يدى العدل الإلهى ويرون أعمالهم أمام أعينهم ولا تنفع جميع الأعذار الواهية والكذب لتبرير أسباب المعصية والانحراف وليس لأحد من سبيل للهروب من نتيجة أعماله.

حقاً لو تأمل الإنسان هاتين القضيتين سيرى أن الحياة آيلة للزوال وسيترك كل شىء ويلتحق بالنائمين تحت التراب ثم يعقب ذلك الحساب وجزاء الأعمال، الحساب الذى لا مفر منه؛ لو فكر فى هذين الأمرين لراقب أعماله قطعاً فى هذه الدنيا ولما بدر منه كل هذا الفساد والعصيان.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣٣

### الخطبة ٢٢٧

#### إشارة

يَلْجَأُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ لِيَهْدِيَهُ إِلَى الرَّشَادِ [٦١٨]

#### نظرة إلى الخطبة (الدعاء)

يتألف هذا الدعاء العميق المعنى ذو المضامين الرفيعة من قسمين:  
القسم الأول فى حبّ الله لعباده والمتوكلين عليه والعلم ببواطنهم.  
ويستعبد عليه السلام فى القسم الثانى بالله ليرشده فى الحوادث المضلة ويهديه لما فيه الخير ويعامله برحمته لا بعدله.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣٥

## القسم الأول

## إشارة

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُّ النَّاسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكَفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ. تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ. فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ. إِنَّ أَوْحَشَتَهُمُ الْغُرْبَةُ أَنْسَهُمْ ذِكْرَكَ، وَإِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ.

## الشرح والتفسير: انس العباد

تضرع الإمام عليه السلام إلى الله في مستهل هذا الدعاء المهذب للروح والمربى للإنسان قائلاً: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُّ [٦١٩] النَّاسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكَفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ».

إشارة إلى أن من تحلى بهاتين الصفتين سيشمل بهذه النعمة العظيمة بالأنس بالله وقضائه لمشاكله بأن يكون في عداد أولياء الله أو المتوكلين عليه، وهكذا يعطى الإمام عليه السلام درساً في تهذيب الإنسان ضمن مناجاته لربه. ولما كان حل المشاكل منوط بالعلم بهم قال مواصلاً دعاءه: «تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ. فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ» [٦٢٠].

نعم، الله عالم بأسرارهم وبواطنهم، فهو أقرب إلينا من حبل الوريد: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣٦

الْإِنْسَانَ وَتَعْلَمُ مَا تُوَسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» [٦٢١].

ولعل الفارق بين السرائر والضمائر أن السرائر تقال للحالات الخلقية والضمائر للنيات التي تساور قلب الإنسان ويتحرك إثرها. كما تستعمل هاتان المفردتان بنفس المعنى. وبصائر البشرية بالإضافة لكمالها مفهوم هذا الدعاء تكمن في المراقبة التامة للظاهر والباطن والنية والعمل، فالله عالم بكل هذه الأمور، أسرارهم الخفية مكشوفة لله ونياتهم ظاهرة له. والعبارة: «قُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ» نتيجة لإيمانهم بالله ومعرفتهم به وتوكلهم عليه. فكلما ازداد الإيمان والعلم به ازداد شوقه لمبدأ الرحمة والحب والكرم.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة هي أن أولياء الله والمتوكلين عليه لا يركعون قط للمصائب ولا يفقدون ثقتهم بالله فقال: «إِنَّ أَوْحَشَتَهُمُ الْغُرْبَةُ أَنْسَهُمْ ذِكْرَكَ، وَإِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ». وفي الواقع أن كل هذه الصفات والحالات ناشئة من الإيمان بالتوحيد الأفعالي ويشير إلى أن هذا الغصن من التوحيد إن نما في روح الإنسان أفضى إلى ثمار جمّة، فلا يشعر بالوحدة إزاء المشاكل ولا يشعر بالغرابة في وحدته.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣٧

## القسم الثاني

## إشارة

اللَّهُمَّ إِنْ فَهَيْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيْتُ عَنْ طَلِبَتِي، فَدَلِّلْنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاتِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلَا يَبْدَعُ مِنْ كِفَايَاتِكَ.

اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذَابِكَ.

### الشرح والتفسير: الله كهف الوري

عقب بيان مقدمات الدعاء وإعداد القلب والروح للتضرع إلى الله الذي ورد سابقاً، خاض الإمام عليه السلام هنا في أصل الدعاء فذكر أصلاً كلياً أوجز فيه طلباته دون التركيز على كل واحدة فقال: «اللَّهُمَّ إِنَّ فَهَيْتُ [٦٢٢] عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيْتُ عَنْ طَلْبَتِي، فَدَلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، خُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَادِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلَا يَبْدَعُ مِنْ كِفَايَاتِكَ».

فهذا الدعاء ينطوي على منتهى الأدب أمام الله وتلاحظ فيه ضمناً شمولية لجميع الطلبات ويشير إلى هذه الحقيقة وهي أننا مهما علمنا بمصالحنا ومطالبنا مع ذلك تغيب عنا كثيراً من الأمور أو نخطئ في تشخيصها؛ إلا أن الله أعلم بمفاسدنا ومصالحنا، فنسأله إرشادنا لمصالحنا وما نسأله الله ما فيه خيرنا وصلاحنا ولا يستبعد ذلك قط من لطف الله.

وأود أن أذكر هنا حديثاً رائعاً عن الإمام زين العابدين عليه السلام أن الحسن البصري

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣٨

قال: «لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا».

فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ مَعَ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ» [٦٢٣].

ثم ابتهل عليه السلام في الختام: «اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذَابِكَ».

وكأنه عليه السلام عدّ العدل والعفو في هذه العبارة مطية، والعدل مطية مقلقة بينما العفو مطية سمحة فسأل الله أن يحمله على تلك المطية السهلة لنفوز بالقرب هائنين ومرتاحين من العقاب الأليم في ظل لطفك، وهذا مضمون العبارة التي تورد كدعاء في الصلاة وغيرها: «إِلَهْنَا عَامِلْنَا بِفَضْلِكَ وَلَا تُعَامِلْنَا بِعَذَابِكَ يَا كَرِيمٌ».

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ نَاسٍ أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ».

فقال الأصحاب: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟».

فقال صلى الله عليه وآله: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَطَوَّلَ بِهَا صَوْتَهُ» [٦٢٤].

### تأمل: أدعية المعصومين عليهم السلام المهذبة

تختزن أدعية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة العصمة عليهم السلام جانباً مهماً من التعاليم الدينيّة، ولقراءة هذه الأدعية أثر عظيم في ترسيخ عرى الإيمان وتهذيب النفوس وتربية الفضائل بالاضافة إلى سوق الإنسان إلى القرب من الله وإبعاده عن الشيطان ووساوسه وتلطيف الروح. ولما كانت تلك الأدعية نابعة من الروح السامية للمعصوم فهي جميعاً في مستوى رفيع واحد وإذا تلاها الإنسان عالماً بمضامينها ساقته لذروة المعرفة والكرامة فإذا جمعت هذه الأدعية - وقد تصدى لذلك أخيراً بعض

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٣٩

المحققين [٦٢٥] - كانت خزانة نفيسة من المعارف الدينيّة والدروس الخلقية ومرآة السير والسلوك إلى الله. وقد وردت على هامش خطب نهج البلاغة والرسائل.

وقصار الكلمات ما يقارب ثلاثين دعاءً تؤيد بأجمعها ما ذهبنا إليه. فبعض الأدعية كدعاء الصباح وكميل وعرفة للإمام الحسين عليه السلام وأدعية الصحيفة السجادية وسائر الأدعية كالندبة وغيره التي وصلت عن المعصوم عليه السلام كلّ واحد منها شاهد آخر على هذه الدعوى، وليت اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام سبقوا سائر المذاهب الإسلاميّة بهذا الخصوص وألزموا الشبان بحفظ مقاطع

من هذه الأدعية (مع فهم معانيها) ليصانوا من هجوم أمواج المعصية التي تنامت في عصرنا.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٤١

## الخطبة ٢٢٨

### إشارة

يُرِيدُ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ [٦٢٦]

### نظرة إلى الخطبة

هذا الكلام الموجز تعريف بشخصية أدت وظائفها في عصرها ورحلت طاهرة وجهدت في حفظ سنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وطاعته الله. هنالك خلاف بين الشراح في هذه الشخصية. فالشراح من أبناء العائنة كابن أبي الحديد ومحمد عبده زعموا أنها إشارة إلى الخليفة الثاني وزعموا أنّ عليّاً عليه السلام قال هذا الكلام بعد وفاة عمر، في حين لا ينسجم هذا الكلام مع سائر خطب «نهج البلاغة». فقد شكّا عليه السلام كثيراً في الخطبة الشقشقية من خلافة الثاني وبث شدة شكواه من غضب الخلافة في الخطب وبعض الرسائل، فكيف يمكن تجاهل كلّ ذلك واعتبار هذا الكلام المبهم والمجمل في الخليفة الثاني؟

والطريف أنّ الطبري [٦٢٧] الذي يراه في عمر إنّما رواه عن المغيرة بن شعبه وهو من

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٤٢

خصوصاً على عليه السلام.

العجيب ما قاله ابن أبي الحديد أنّه رأى في نسخة من «نهج البلاغة» بخط الرضى أنّه كتب «عمر» تحت كلمة فلان ويدل هذا على أنّ الرضى له مثل هذا الاعتقاد [٦٢٨]، والحال لا يستبعد أبداً أنّ تلك النسخة إن كانت أصلية تقلبت لسنوات بيد هذا وذاك فكتب بعضهم تلك الكلمة.

والأعجب من ذلك أنّ ابن أبي الحديد روى حديثاً عن ابن عباس (ج ١٢، ص ٢٠) ذكرناه سابقاً أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أراد أن يكتب بصراحة اسم علي وصيّته في مرضه الذي توفي فيه فمنعته.

فهل ينسجم هذا الكلام مع تفسير ابن أبي الحديد للخطبة التي تبحث؟

ولنفرض أنّ كلام علي عليه السلام كان في عمر، فلا يبعد هذا الاحتمال أنّه لم يكن جدياً وكان تقيّة، سيما طبق الرواية المذكورة أنّ المغيرة طرح هذا السؤال بعد وفاة عمر، بالنظر إلى أنّ المغيرة كان طالحاً ولعله أراد بثّ الشر في صفوف المسلمين.

فأورد الإمام عليه السلام هذا الكلام على أساس المصلحة الإسلامية، وإلّا فرأيه الصريح ما ورد في الشقشقية وسائر خطب «نهج البلاغة».

وقوله: فلان، بدل عمر من شأنه تأييد هذا المعنى، فهذا الإبهام علامة على التقيّة، يوقن للشراح الإماميّة أنّ هذا الكلام ليس في الخليفة الثاني ويعتقدون أنّه إشارة إلى مالك الأشتر والبعض الآخر يرى أنّه في سلمان الفارسي يبدو أنّ الاحتمال الأوّل أنسب وينسجم مع موقع مالك ودوره من بين أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وإمرته للجيش وفكره الرفيع وعزمه الراسخ.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٤٣

لَهُ بِلَاءٌ فَلَانٍ فَلَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدِ، وَدَاوَى الْعَمَدَ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ! ذَهَبَ نَقَى النَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا. أَدَى

إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي.

### الشرح والتفسير: مالك الأشر

لقد اختلف شراح الفريقين كما قيل في تفسير هذه الخطبة والشخص المعنى بهذا الكلام. فقد ذهب أغلب الشراح من أبناء العامة (سوى صبحي الصالح) إلى أن المراد به الخليفة الأول أو الثاني في حين لا ينسجم هذا المدح البليغ مع ذلك الدم الشديد الذي أورده الإمام عليه السلام في مختلف خطب «نهج البلاغة» ولا سيما الخطبة الشقشقية، ولكلماته حين دفن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام (الخطبة ٢٠٢) في ذمهما واستهجان أعمالهما.

ومن هنا أجمع الشراح الشيعة على أن الخطبة إشارة إلى أحد خواص أصحابه ولا سيما مالك الأشر، خاصة وردت في بعض العبارات المروية عنه عليه السلام مثل ذلك المدح البليغ لمالك التي تشير إلى جدارته بهذا الكلام، ومن ذلك ما رواه ابن أبي الحديد في شرحه أنه عليه السلام قال:

«رَحِمَ اللَّهُ مَالِكًا فَلَقَدْ كَانَ لِي كَمَا كُنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» [٦٢٩].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٤٤

على كل حال، قال: «لله بلاء فلان فلقد قوم [٦٣٠] الأود [٦٣١]، ودأوى العمدة [٦٣٢]، وأقام السنة، وخلف [٦٣٣] الفتنة!». البلاء هنا الامتحان ويشير هنا إلى ثواب هذا الامتحان ويعنى أن الله امتحنه كثيراً وقد دعا الإمام عليه السلام ليوفيه أحسن الثواب على ذلك البلاء.

وردت في كثير من النسخ (بلاد) بدل (بلاء) جمع بلد، أي لله البلد التي ترعرع فيها حتى هذا الشخص وهو كلام شائع الاستعمال لدى العرب فيقال: «لله در فلان» و «لله نادى فلان».

فقد بين عليه السلام في العبارة أربعاً من صفاته، الأولى أنه قوم الأود ولهذه العبارة معنى واسع يشمل المسائل العقائدية والأخلاقية والاجتماعية، والكلام في العبارة الثانية عن معالجة المرضى يشير قطعاً إلى الأمراض الأخلاقية والاجتماعية، وإقامة السنة بمعنى العودة إلى عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والتولى عن البدع الكثيرة التي ظهرت بعده صلى الله عليه وآله والعبارة «خلف الفتنة» إشارة إلى أنه ظهرت بعده العديد من الفتن والاختلافات بين المسلمين ومن توفيقاته أنه لم يتعرض لتلك الفتن.

ثم خاض في صفات مهمة أخرى فقال: «ذَهَبَ نَقِي الثُّوبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا».

هذه الصفات الأربع تأكيد لما ورد في الصفات الأربع السابقة. وبالطبع فإن من يقوم الأود ويدأوى العمد ويقوم السنة سيكون: «نَقِي الثُّوبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ وَيُعَادِرُ الدُّنْيَا مَلِينًا بِالْخَيْرَاتِ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٤٥

ثم اختتم عليه السلام الكلام بثلاث صفات أخرى فقال: «أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ» [٦٣٤]، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي».

هذا الكلام إشارة إلى الحوادث التي وقعت الواحدة بعد الأخرى بعد مالك الأشر رحمه الله والتي كانت من آثار موقعة صفين والنهروان والتي يثيرها المنافقون وأعداء الإسلام، فلم يمر يوم دون ظهور فتنة ولا اسبوع وشهر دون قتال.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٤٧

### الخطبة ٢٢٩

فِي وَصْفِ بَيْعَتِهِ بِالْخِلَافَةِ [٦٣٥]

### نظرة إلى الخطبة

مضمون الخطبة واضح. أكد الإمام على عليه السلام: إنني لم اطلبكم للبيعة وأنتم من انبريتم لها وتلهفتم عليها واندفعتم حتى أسقطتم رداي وقطعتم نعلي وعمّ الفرح والسرور المجتمع برمته بهذه البيعة.

ترى لم أورد الإمام عليه السلام هذه الخطبة؟ الجواب يكمن في سائر عبارات الخطبة كون هذه الخطبة جانب من رسالة طويلة رواها الكليني في كتاب الرسائل حيث إن الإمام عليه السلام لما عاد من النهروان كتب كتاباً وأمر بأن يقرأ على الناس، حيث تحرك المنافقون وقصدت فئة، الإمام وقالت: ما تقول في أبي بكر وعمر وعثمان؟

فأجاب الإمام عليه السلام: رغم هذه الظروف وقتالنا لأهل الشام فإنه سؤال حسن

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٤٨

وسأكتب جواباً شافياً وكافياً وليطلع عليه المسلمون.

ثم كتب ذلك الكتاب التاريخي في ما يقارب من عشرين صفحة وأمر بقراءته في صلاة الجمعة. فلما بلغ قضية مقتل عثمان وبيعته التي تضمنت ذلك الهجوم الفريد شرح ذلك بعبارات موجزة عميقة المعنى في هذه الخطبة، كما شرح ما حدث من وقائع عقب ذلك حتى يسلب المتذرعين الحجة، وهناك كلمات رائعة للإمام بشأن اندفاع الناس لبيعته ورد بعضه في الخطبة الشقشقية (الخطبة ٣) والخطبة ١٣٧.

\*\*\*

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٤٩

وَبَسَّ طُئْمَ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُ مَوْهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وَرَدَهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرَّدَاءُ، وَوُطِيَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سِرُّورِ النَّاسِ بَيْنَعْتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ.

### الشرح والتفسير: الإندفاع العجيب لبيعة الإمام عليه السلام

ركز الإمام عليه السلام في كل هذا الكلام على قضية مهمّة هي أنني لست طالباً قط للحكومة وأنتم الذين أصررتم عليّ، فأشار هنا إلى موضوعين: الأول اندفاع الناس المتلهفة لبيعتي، والثاني سرورهم الفائق وفرحهم الكبير بذلك العمل.

فقال في القسم الأول: «وَبَسَّ طُئْمَ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُ مَوْهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ [٦٣٧] عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وَرَدَهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرَّدَاءُ، وَوُطِيَ الضَّعِيفُ».

حقاً ليس هناك من شبه بين بيعة الناس لعلّي عليه السلام ومبايعة الخلفاء السابقين، فبيعته تشبه بيعة المسلمين للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في فتح مكة فقد سئمت الامّة حكومه

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥٠

عثمان وعانت الأمّرين على عهده من غياب العدالة، ومن هنا كانت متعطشة للعدل وحيث رأتها في ينبوع على عليه السلام سارعت إليه بتلك اللهفة والشوق.

ذكر المرحوم مغنية في شرحه «في ظلال نهج البلاغة» قضية من شأنها ايضاح سبب هجوم الائمة لمبايعة على عليه السلام فقال: قرأت اليوم وأنا أشرح هذه الخطبة نسخة من صحيفة أخبار اليوم المصرية في ٢١ / ١٠ / ١٩٧٢ مقالة بقلم الأستاذ سامي محمود عنوانها «شرح في خلافة المسلمين» يقول فيها: لما ولي عثمان الخلافة أسرف فيها وطغت بنى أمية لتفسد هنا وهناك: «الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ \* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ» [٦٣٨].

فسلطهم على المسلمين حتى غرقت الائمة في الفتنة وقامت على عثمان فقتلته.

أمياً على عليه السلام وولده سبطى رسول الله صلى الله عليه وآله كان لهم أسلوب واضح وصحيح فلم يفكروا لحظة في الدنيا وزخارفها، فهجرتهم كانت منذ البداية لله ورسوله [٦٣٩].

وعليه فلا عجب أن تندفع الائمة لبيعة الإمام على عليه السلام.

وقال في المرحلة الثانية: «وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِنَبِيِّهِمْ إِيَّائِي أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ [٦٤٠] إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ [٦٤١] نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ [٦٤٢] إِلَيْهَا الْكِعَابُ [٦٤٣]».

عادة ما يلتحق كبار السن للمشاركة في الأحداث العادية أو غير العادية، أما في الأحداث الفريدة النادرة التي تشهد حضوراً عظيماً فهناك حضور حتى للعجزة والمعذورين الذين لا يشتركون في أى تجمع. والإمام رسم بما عهد عنه من فصاحة فريدة حضور الائمة في ذلك المشهد العظيم وتلك البيعة التاريخية بأسمى صورة

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥١

وأشار إلى موجة الفرح والسرور العارمة التي اجتاحت جميع أفراد الائمة بحيث خرج لها حتى الضعفاء والعجزة وشهدوا ذلك الحدث العظيم.

### تأمل: البيعة الفريدة المطلقة

رغم أن نصب الأئمة المعصومين عليهم السلام زعماء الائمة خاضع لانتخاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومن جانب الله كما أن اصطفاء النبي لهذا المقام من جانب الله، لكن للبيعة: أى إعلان الوفاء والطاعة دور مهم في مسيرتهم، ومن هنا أخذ النبي صلى الله عليه وآله البيعة من الائمة كراراً (بيعة العقبة الاولى والثانية والحديبية وبيعة المهاجرات في المدينة).

وعلى هذا الأساس سعى الخلفاء لأخذ البيعة من الناس؛ إلا أن البيعة لم تكن كبيعة الإمام عليه السلام. فبيعة الخليفة الأول في الواقع حصلت في السقيفة وشهدها عدد محدود جداً وأصبحت الائمة أمام أمر واقع فبايعت.

والخليفة الثانى نصب من جانب الخليفة الأول فجعل الائمة أمام فعل حاصل.

وحصلت بيعة الخليفة الثالث في الشورى المؤلفه من ستة أفراد التي شكلها عمر ولبنتها الأصلية التي صوتت لعثمان ثلاثة أفراد (عبدالرحمن بن عوف، وطلحة، وسعد بن أبى وقاص) ورأت الائمة أنها أمام أمر واقع.

أما أمير المؤمنين على عليه السلام- بغض النظر عن كونه منصب من جانب الله بواسطة النبي صلى الله عليه وآله- فقد انتخب من قبل الأكثرية الساحقة ودون مقدمات فبيع بيعة غاية في النشاط ومفعمة بالفرح والسرور الذى بينه عليه السلام بدقة في هذه الخطبة، وعليه قد قلنا بضرورة انتخاب الائمة والتعويل على آرائها وأسمينا ذلك بالديمقراطية الإسلامية فالحاكم الوحيد الذى حصل على هذه الآراء هو أمير المؤمنين على عليه السلام دون من سواه.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥٣



## الخطبة ٢٣٠

## إشارة

في مقاصد أخرى [٦٤٤]

## نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة في الواقع من أربعة أقسام:  
تحدث الإمام عليه السلام في القسم الأول عن أهمية الورع والتقوى وآثارهما.  
وتناول في القسم الثاني بعد الفراغ من الوصية بإتيان العمل الصالح ضرورة ذكر الموت ونهاية الحياة وفقدان الفرص.  
وأكد ثانية في القسم الثالث على بذل الجهد والسعي للتزود للدار الآخرة فأشار إلى خداع الدنيا مخاطباً المسلمين: احذروا أن تفتنكم الدنيا واعتبروا بما آلت إليه حياة أسلافكم وقارنوا بمصيرهم مصيركم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥٤

كما أورد في القسم الرابع والأخير الذي يبدو منفصلاً عن الخطبة حسب ظاهر كلام السيد الرضى، كلمات موجزة عميقة المعنى في صفات الزهاد وخصائص معيشتهم وشرح حقيقة الزهد.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥٥

## القسم الأول

## إشارة

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةٌ مَعَادٍ، وَعِثَّةٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ. بِهَا يَنْجُحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ.

## الشرح والتفسير: سر السعادة والفلاح

بين الإمام عليه السلام في هذه الخطبة كسائر أغلب الخطب، أهمية التقوى وآثارها ليوجزها في سبع عبارات قصيرة عظيمة المعنى، فقال في الأولى: «فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ [٦٤٥]».

فبالنظر إلى أن التقوى هي خشية الله الباطنية التي تصد الإنسان عن الفحشاء والمنكر وتسوقه للمعروف والإحسان فإنه يمكن القول: التقوى مفتاح أبواب السعادة؛ فكما توضع النفائس في الخزائن وتقفل أبوابها ولا يمكن فتحها سوى بمفاتيحها فإن مفتاح التقوى من شأنه فتح خزائن السعادة بوجه الإنسان واستنزال رحمة الله المطلقة.

وقال عليه السلام في العبارة الثانية: «وَذَخِيرَةٌ مَعَادٍ». وهي إشارة في الواقع لذيل الآية الشريفة: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» [٦٤٦]. وقال في الثالثة: «وَعِثَّةٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ» [٦٤٧].

وسعة مفهوم هذه العبارة يشمل التحرر من عبودية الشيطان واهواء النفس

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥٦

والظلمة. وقال عليه السلام في العبارة الرابعة: «وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ» فهلكة الإنسان في اتباع هوى النفس، فإذا كبح الإنسان هوى النفس بالتقوى نجا من الهلكة.

وقال عليه السلام في الخامسة: «بِهَا يُنَجِّحُ الطَّالِبُ» فالتقوى هي الصراط المستقيم البعيد عن كل إفراط وتفريط وتقصير وعدوان، ومن الطبيعي أن يختزل الصراط المستقيم ليوصل الإنسان بأقل مدّة إلى الهدف.

نفحات الولاية؛ ج ٨؛ ص ٣٥٦

ال عليه السلام في السادسة: «وَيَنْجُو الْهَارِبُ» فالعذاب الإلهي يطال عبدة الأهواء، والمتقون بعيدون عن الأهواء، وكما ورد في الآيتين ٧١-٧٢ من سورة مريم: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا \* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا» وقال عليه السلام في العبارة السابعة والأخيرة التي تعتبر عصارة العبارات السابقة «وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ [٦٤٨]»، لِمَ عَدَّ اللَّهُ الْأَتَقَى أَكْرَمَ إِنْسَانٍ عِنْدَهُ. «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ» [٦٤٩] ولم كانت التقوى مفتاح الجنة «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا» [٦٥٠]، وَلِمَ لَا يَنْفِكُ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَنِ التَّأَكِيدِ عَلَى أَنَّ أَهْمَ شَيْءٍ هُوَ التَّقْوَى وَلَمْ كَانَتْ ضَرُورَةٌ فِي الْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوَى فِي كُلِّ صَلَاةٍ جَمْعَةً وَفِي كُلِّ الْخُطْبَتَيْنِ؟

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥٧

## القسم الثاني

### إشارة

فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِيَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ. وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُرًا نَاكِسًا، أَوْ مَرَضًا حَابِسًا، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا. فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لِمَذَاتِكُمْ، وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدٌ طِبَائِكُمْ. زَائِرٌ غَيْرٌ مَحْيُوبٍ، وَقَرْنٌ غَيْرٌ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ غَيْرٌ مَطْلُوبٍ. قَدْ أَغْلَقْتُمْ حَبَائِلَهُ، وَتَكَنَّفْتُمْ غَوَائِلَهُ، وَأَقْصَيْدْتُمْ مَعَابِلَهُ. وَعَظَمْتُمْ فِيكُمْ سَيِّئَاتِهِ وَتَتَابَعْتُمْ عَلَيْكُمْ عِدْوَتَهُ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ. فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلْمِهِ وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ، وَخَنَادِسُ عَمْرَاتِهِ، وَعَوَاشِي سَيِّئَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ، وَدُجُوْ أَطْبَاقِهِ، وَجُشُوبِيَّةُ مَذَاقِهِ. فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَعْتُهُ فَاسِيكَتْ نَجِيَّتِكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّتِكُمْ، وَعَقَى آتَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وَرَائِكُمْ، يَفْتَسِمُونَ تَرَائِكُمْ، بَيْنَ حَمِيمِ خِمَاصٍ لَمْ يَنْفَعِ، وَقَرِيبِ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعِ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ.

## الشرح والتفسير: المعبر الذي لا مفر منه

أوصى الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة بضرورة استغلال الفرص المتاحة قبل حلول الأجل وأكد ذلك فقال: «فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِيَةٌ» [٦٥١]، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ» [٦٥٢].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥٨

حيث أشار عليه السلام في هذه العبارات الموجزة إلى أمر مهم: لديكم خمس فرص ما دمتم في الدنيا: أعمالكم الصالحة ترفع إلى الله ويسعكم أن تغسلوا المعاصي بماء التوبة. ودعاؤكم يسمع عند الله وأنتم وادعون فيمكنكم الإتيان بما تشاؤون من العمل الصالح وأخيراً الملائكة مستنفرون ليكتبوا صالح أعمالكم في صحيفة أعمالكم، لكن إن مرت هذه الفرصة وكنتم على أعتاب الموت ستسلبون هذه الفرص وليس لكم من زاد سوى الحزن والحسرة.

ثم قال عليه السلام موضحاً كلامه ومكملاً: «وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نَاكِسًا» [٦٥٣]، «أَوْ مَرَضًا حَابِسًا، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا» [٦٥٤].

فالواقع أن الإمام عليه السلام شجع جميع مخاطبيه للسبق في هذه الأمور الثلاثة؛ مدّة الكهولة التي تفقد فيها جميع الأعضاء قوتها وقدرتها والتي أسماها القرآن الكريم «أرذل العمر» والأمراض التي تطول أحياناً وتسلب الإنسان نشاطه وحيويته فلا يقدر على الإتيان بالعبادات بصورة تامة ولا- خدمة المؤمنين وقضاء حوائجهم، والموت الذي شبّهه عليه السلام بالسارق الذي يسرق كل شيء من الإنسان خلصه.

ثم وضع حقيقة الموت من خلال ذكره لست من خصائصه، الموت الذي لا مهرب منه ولا مفر لأحد من ملاقاته فقال: «فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لِدَاتِكُمْ، وَمُكَدِّرٌ شَهْوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدٌ طِيَّاتِكُمْ» [٦٥٥]. زَائِرٌ غَيْرٌ مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ [٦٥٦] غَيْرٌ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ [٦٥٧] غَيْرٌ مَطْلُوبٍ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٥٩

فقد حدّر عليه السلام من أن الزائر الذي يقدم على الجميع والرامي المصوب نحو الجميع والأشوس الذي يعجز عن مواجهته الجميع. فإن قدم حطم كل شيء فطوى بساط العيش وصادر اللذات والمتع وحمل معه الإنسان، والأهم من كل ذلك أنه لا يعرف من معنى للزمان والمكان. حقاً أن هذه العبارات البليغة العميقة المعنى موقظة ومحرّكة توقظ الغافلين وتفيق الثمليين.

وكما خاض عليه السلام في ستّة خصائص أخرى للموت ليكمل كلامه السابق فقال:

«قَدْ أَعْلَفْتَكُمْ حَيَاتِكُمْ، وَتَكَنَّفْتُمْ غَوَائِلَهُ» [٦٥٨] «غَوَائِلُهُ» [٦٥٩]، «وَأَقْصَيْدَتِكُمْ مَعَابِلَهُ» [٦٦٠]. وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَيِّطَوْتُهُ وَتَبَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عِدَوْتُهُ» [٦٦١]، «وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبَوْتُهُ» [٦٦٢].

شبه الإمام عليه السلام الموت في هذه العبارات الرائعة بصياد رمى شبّاهه نحو جميع الناس وأخرى برام لا تطيش سهامه أو سيف قاطع بسيفه.

نعم، إن شك الإنسان في كل شيء فلن يشك في الموت ونهاية الحياة. يركع له صنّاديد أبطال العالم ويقع في شبّاهه أذكي الأذكياء وكفى به أنه لم يستثن حتى الأنبياء والأولياء وكما قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» [٦٦٣].

وأشار عليه السلام إلى سبعة أمور أخرى بشأن حملات الموت على الإنسان والعجز عن مواجهته فقال: «فَيُوشِكُ أَنْ تُعْشَاكُمْ دَوَاجِي» [٦٦٤] «ظَلَّلَهُ» [٦٦٥] «وَاحْتَدَامُ» [٦٦٦] «عَلَيْهِ، وَخَنَادِسُ» [٦٦٧]

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦٠

عَمْرَاتِهِ» [٦٦٨]، «وَعَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمٌ إِزْهَاقِهِ» [٦٦٩]، «وَدُجُؤُ» [٦٧٠] «أَطْبَاقِهِ» [٦٧١]، «وَجُشُوبُهُ» [٦٧٢] «مَذَاقِهِ».

حيث بيّن عليه السلام بهذه الحملات السبع وبمختلف العبارات وبأدق وصف، اللحظات الرهيبة آخر العمر، لحظات مهولة وموحشة للغاية، لحظات مظلمة ودامية وصف عليه السلام ظلمتها بأربع مفردات مختلفة (دواجي، حنادس، غواشي ودجو) تكشف مدى بلاغة الإمام عليه السلام وتنوع الألفاظ يضاعف فصاحة كلماته وبلاغتها.

ثم حدّر عليه السلام مخاطبيه من نزول الموت المفاجئ وضرورة اليقظة في أن هذا الموت لا يقبل دائماً بعد مقدمات طويلة وأمراض، بل ما أكثر أن يحلّ ويفنى كل شيء بلحظة فقال: «فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَعْتُهُ فَأَسِيكَتَ نَجِيَّتَكُمْ» [٦٧٣]، «وَفَرَّقَ نَدِيَّتَكُمْ» [٦٧٤]، «وَعَفَى» [٦٧٥] «آثَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَثَكُمْ، يَقْتَسِمُونَ تِرَاثَكُمْ».

وموت الفجأة الذي كان وما زال يفاجئ الناس، أعظم عبرة من غيره، حيث لا يعرف صغيراً أو كبيراً ويطل الإنسان كيفما كان، وقد ذكر المرحوم العلامة التستري في شرحه لنهج البلاغة عدداً من الأنبياء ومنهم موسى وداود وسليمان الذين ماتوا موت الفجأة، نعم، ظاهر القرآن بشأن سليمان يشهد أن ملك الموت توقّاه واقفاً مستنداً على عصاه «فَلَمَّا قَضَىٰ بَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ» [٦٧٦].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦١

حتى شوهد البعض وقد توفى وهو يتحدث، فذكر المبتدأ ولم يبلغ الخبر.

فقد بين عليه السلام في هذه العبارات آثار الموت في وسط المتبقين حيث لا ينقطع كلامه الظاهري فحسب، بل يخمد حتى الهمس؛ فيتفرق عنه الحاضرون فجأة وسرعان ما تزول آثار الإنسان ويفرغ بيته وينطفئ ضياؤه وإن كان هنالك من ضجيج فيبين الورثة الذين عادة ما يتنازعون على الميراث وكأنهم لا يدرون أنهم سيلتحقون بالموتى عن قريب.

ثم قسم عليه السلام الورثة في ختام هذه الفقرة إلى ثلاث؛ فته من خواص الإنسان؛ إلا أن مودتهم تزول آنذاك: «بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعِ».

والثانية، القرابة المحزونة والملتاعة التي لا يسعها دفع الموت «وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعِ». والثالثة، العدو الشامت الذي لا يجزعه موت «وَأَخْرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ».

وأشار الإمام عليه السلام في المقطع الأخير من كلامه إلى موت الفجأة؛ السكته القلبية أو الدماغية والحوادث الأليمة المتنوعة التي تفنى الإنسان في لحظة، الموت الذي لا يأبه بمكانة الأشخاص ولا بعمرهم فيطال كما مضى حتى الأنبياء، وبألها من عبرة يخترنها هذا الموت الذي يحدث كثيراً ويزداد يوماً بعد آخر، ففي لحظة آنية ينتهي كل شيء ويتفرق الجمع ويغتم الصديق ويفرح العدو- وبالهم من غافلين أولئك الذين يتجاهلون هذه الحوادث وينهمكون بالذنوب والمعاصي ويقارفون أنواع الآثام بغية الحصول على المال. نعم إن هؤلاء المغفلين ينسون طبيعة ظروف حياتهم.

ورد في كتاب «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة: فلما كانت سنة إحدى وخمسين، مرض الحسن بن علي مرضه الذي مات فيه، فكتب عامل المدينة الى معاوية يخبر بشكايه الحسن، فكتب إليه معاوية: إن استطعت ألا تمضى يوم يمر بي إلا يأتيني فيه خبره فافعل: فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفى (الإمام الحسن عليه السلام)، فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلك عبدالله بن عباس وكان بالشام يومئذ، فدخل على معاوية، فلما جلس قال معاوية:

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦٢

يا ابن عباس هللك الحسن بن علي، فقال ابن عباس: نعم، هللك «إِنَّا لِلَّهِ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» [٦٧٧] ترجيعاً مكرراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أما والله ما سدّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك ولئن أصبنا لقد أصبنا بمن كان خيراً منه، جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فجير الله مصيبتته، وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة، ثم شهق ابن عباس وبكى، وبكى من حضر في المجلس، وبكى معاوية فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم [٦٧٨].

وجاء في «تاريخ الطبري»: عندما وصل خبر وفاة علي عليه السلام إلى معاوية فرح فرحاً شديداً، وكذلك لما انتهى الخبر إلى عائشة قتل علي عليه السلام وقالت:

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ

فقلت زينب بنت أبي سلمة: ألعليّ تقولين هذا، فقالت: إني أنسى فإذا نسيت فذكروني [٦٧٩].

نعم، فمثل هؤلاء الأشخاص الغفلة ينسون ما هم عليه من العيش الدوني والانحراف وحب الدنيا والقدرة.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦٣

## القسم الثالث

### إشارة

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالتَّاهِبِ وَالْأَسْتَعْدَادِ، وَالتَّرْوُدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ.

وَلَمَّا تَعَرَّزْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا عَرَّثَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا. وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَانًا، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا. لَمَّا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَخْفَلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ. فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا عَدَاةٌ عَرَّازَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مُنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ رَحَاؤُهَا، وَلَا يَنْفَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَزُكُّدُ بِلَاؤُهَا.

### الشرح والتفسير: الدنيا الغرارة!

متابعة لبحث الإمام عليه السلام في شذائد الموت وفناء الحياة في المقطع السابق خاطب الجميع فأوصاهم بالتزود من الدنيا ما دامت الفرصة قائمة وعدم الاغترار بزخارفها ولذاتها والاعتبار بالماضيين فقال: «فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْأَجْتِهَادِ، وَالتَّاهِبِ ٦٨٠] وَالْأَسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ».

قال بعض الشراح في الفارق بين الجد والاجتهاد أن الجد يشير إلى مرحلة العزم على الإتيان بالفعل والاجتهاد مرحلته العملية، والتأهب إشارة إلى التيقن على الاستعداد والاستعداد جانبها العملي ٦٨١].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦٤

لكن لم يذكر لذلك أى دليل من اللغة أو القرائن المتصلة والمنفصلة ولا يبعد أن يكون الجد حين يقترن بالاجتهاد إشارة إلى أنه ينبعث من الإنسان نفسه ولعل الفارق بين التأهب والاستعداد كذلك، طبعاً لا يستبعد احتمال التأكيد.

ثم قال: «وَلَمَّا تَعَرَّزْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا عَرَّثَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ».

نعم، يمكننا مشاهدة مصير حياتنا بصورة شفافة في مرآة حياة الآخرين وهذه حقيقة أكدها الإمام عليه السلام في عده خطب من «نهج البلاغة» فتأخذ بأيدينا لتضعنا في تاريخ الماضين؛ التاريخ التكويني لا التدويني الذي يتجلى في أطلال قصورهم الخبرة والآثار الباقية من معيشتهم المترفة.

ولحسن الحظ فإن المتاحف التي تضم الكثير من آثار الماضين يمكنها أن ترشدنا؛ فعرش الملك الفلاني وتاجه هنا والمهند المرصع وجواهر الأمر الكبير هناك وفي زاوية الأجساد المحنطة للفرعنة، مع أن طلاب الدنيا شوهوا هذا الموضوع المهم وأحاله إلى صورة أخرى من الاستغراق في الدنيا؛ فأصبحت المتاحف وسيلة تدر الأرباح على أصحابها.

وقال الهيثم بن عدي، عن رجاله: بينا حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي يتذاكران أعاجيب الزمان، وتغير الأيام، وهما في عرصه أيوان كسرى، وكان أعرابي من غامد يرمى شويهاً له نهاراً، فإذا كان الليل صيرهن إلى داخل العرصه، وفي العرصه سرير رخام كان كسرى ربما جلس عليه، فصعدت غنيمات الغامدى على سرير كسرى، فقال سلمان: ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدى على سرير كسرى ٦٨٢].

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا مَقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلٌ  
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةً لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَضِيهِ رَحِيلٌ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦٥

ثم تناول عليه السلام حال الماضين ببضع عبارات موجزة فقال: «الَّذِينَ اخْتَلَبُوا [٦٨٣] دِرَّتَهَا [٦٨٤]، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا [٦٨٥]، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا [٦٨٦] جِدَّتَهَا [٦٨٧]. وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَانًا [٦٨٨]، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا. لَمَّا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَخْفَلُونَ [٦٨٩] مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ».

العبارات: «الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا...» والعبارات... إشارة إلى الأشخاص الذين تمتعوا بجمع ملذات الدنيا. وكان لبناً فى ثدى الدنيا فحلبوه وشربوه إلى آخره واستغلوا كل متع الدنيا ولكنهم كأن لم يلبثوا فيها فكانوا طبق العبارة «وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَانًا».

ولهذه العبارة القيمة معنيان؛ الأول: انتقلوا من قصورهم إلى القبور، والآخر: إن قصورهم تهدمت عليهم بفعل بعض الحوادث المهولة كالزلزلة فأضحت قبورهم.

وبين عليه السلام بالدقة في العبارات الخمس الأخيرة التي تبدأ ب (أصبحت) أنهم اغتربوا عن الدنيا بحيث لم يعودوا يعرفون من يزورهم ويبيكهم من قرابتهم ومعارفهم ولا يسمعون صراخهم.

طبعاً هذا بخصوص أصحاب الدنيا الذين نسوا الله ولم تكن حصيلة أعمارهم سوى التهافت على الدنيا، أما المؤمنون الصالحون حسب ما ورد في الرواية فيعرفون من يقف على قبورهم ويأنسون بهم ويغتمون لانصرافهم.

قال أحد أصحاب الكاظم عليه السلام إسحاق بن عمار: سألت عن المؤمن يعرف من يزوره في قبره؟ فقال: «نَعَمْ وَلَا يَزَالُ مُسِدِّتًا نِسَاءً بِهِ مَادَامَ عِنْدَ قَبْرِهِ فَإِذَا قَامَ وَأَنْصَرَفَ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦٦

مِنْ قَبْرِهِ دَخَلَهُ مِنْ أَنْصَرَفِهِ عَنْ قَبْرِهِ وَحَسَنَةً» [٦٩٠]. ثم استنتج عليه السلام عقب ذلك «فَاخْذَرُوا الدُّنْيَا».

ثم أورد ثمان صفات للدنيا (أو عشرة على قول) كأدلة دامغة على الحذر من الدنيا فقال: «فَإِنَّهَا عَدَارَةٌ غَرَارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ [٦٩١]، لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَزُكُّ [٦٩٢] بِلَاؤُهَا».

والمفردات «عَدَارَةٌ غَرَارَةٌ خَدُوعٌ» وإن كانت متقاربة من حيث المعنى لكنها في الواقع تختلف في الدقة؛ غداره من مادة غدر نقض العهد، وغراره من غرور، الخدوع من خدعه الحيلة وتعلم أنها متفاوتة وإن كانت غالباً من قبيل اللازم والملزوم، نعم، فالدنيا لا تفي لأحد وزخارفها تغر العديد من الناس ومختلف مناظرها ومشاهدها خدعه، العبارة «مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ» تعود لصفة؛ أي لا تكاد تعطى الإنسان شيئاً حتى تسترده، فلا يمضي عهد الشباب حتى تحل الكهولة ولا يذوق السلامة حتى تطاله الأمراض.

وذهب بعض الشراح إلى أن هاتين الصفتين منفصلتان وقال: الدنيا تعطى الأشياء التافهة وتمنع الأشياء القيمة، فلا قيمة لعطائها ولا يطاق منعها.

كما هنالك تفسيران للعبارة «مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ»: الأول: إنه وصف مفهومه أن الدنيا تكسو الإنسان لباساً جميلاً من القدرة والعظمة وتنزعه بعد مدة قليلة من قبل الآخرين، أو المراد أنها تلبس ثياباً تافهة وتنزع ثياباً قيمة والتفسير الأول يبدو أصح في كلتا العبارتين.

وهنالك اختلاف واضح بين المفردات (رَخَاءٌ) و (وعناء) و (بلاء) فالرخاء، الهدوء الذي قلما يحصل في الدنيا، والعناء، المتاعب والمصاعب التي تطال دائماً أهلها،

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦٧

والبلاء، الحوادث الأليمة سواء الحوادث الطبيعية كالزلازل والسيول والعواصف أم البليات التي يصنعها الإنسان كالحروب، وزبده الكلام: الدنيا دار لا تدوم.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٦٩

## القسم الرابع

### إشارة

مِنْهَا فِي صِفَةِ الزُّهَادِ: كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَيَلْبَسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا

يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبَ أْبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَيَزُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظُمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

### الشرح والتفسير: الزهاد الحقيقيون

قال الإمام عليه السلام في الجانب الآخر من هذه الخطبة الذي يشير تعبير السيد الرضى أنه مستقل عما سبق لأنه يقول (منها في صفة الزهاد). «كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا».

هذه هي الصفة الأولى من الصفات الخمس التي ذكرها الإمام عليه السلام للزهاد في هذه العبارة. من الواضح أن لا تناقض قط في العبارة، فالمراد أن جسمهم في الدنيا لكن روحهم وقلوبهم معلق بالآخرة.

وقد جرب ذلك كل شخص في حياته أن قلبه حين ينشغل بقضية مهمة يكون فكره متعلق بموضوع آخر وإن كان وسط أي جماعه، وتؤدي هذه الصفة إلى اختلاف أعمال الزهاد مع أصحاب الدنيا، فهؤلاء يجدون في التزود من الدنيا وأولئك في التزود لها، ودليل ذلك واضح أن الزهاد لا يرون الدنيا سوى ممر والحياة الواقعية حسب القرآن هي الدار الآخرة «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» [٦٩٣].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٧٠

ثم أشار عليه السلام إلى الصفة الثانية «عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ».

ومن ثم قال عليه السلام: «وَبَادَرُوا [٦٩٤] فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ». فهؤلاء يرون ببصيرتهم سبل النجاة ويقفون على عناصر السعادة والفلاح، ومن هنا يلهثون وراءها دائماً، ويعرفون من جانب آخر عوامل البؤس والشقاء، لذلك يسعون للهروب منها وعدم التلوث بها.

وقال في الصفة الرابعة: «تَقَلَّبَ أْبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي [٦٩٥] أَهْلِ الْآخِرَةِ». نعم فهم يعيشون مع الجميع ظاهرياً؛ إلا أن معاشرتهم الحقيقيين أهل الآخرة، كونهم يعلمون أن معاشرتهم لأصحاب الدنيا تमित قلوبهم، فلا شيء في مجالسهم سوى الدنيا ولذاتها، فهم في الواقع أموات بصورة أحياء.

ثم قال في الصفة الخامسة والأخيرة: «وَيَزُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظُمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ».

يستفاد من الصفات الخمس المذكورة أن معنى الزهد وحقيقته ليس في كون الإنسان فقيراً ومعدماً أو يتخلى عن الحياة الاجتماعية والتفوق في زاوية للعبادة؛ بل حقيقة الزهد أن يرى الأولوية للدار الآخرة في كل شيء وحيثما كان ولا يكون أسير زخارف الدنيا والأهواء والشهوات، وجاء في خطبة أخرى للإمام عليه السلام.

«إِنَّهَا النَّاسُ الرَّهَادَةُ قَصْرُ الْأَمَلِ وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمُحَارِمِ» [٦٩٦].

وقد بحثنا بما فيه الكفاية حقيقة الزهد في تلك الخطبة.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٧١

### الخطبة ٢٣١

#### إشارة

حَطَبَهَا بِذِي قَارِ [٦٩٧] وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْبَصْرَةِ، ذَكَرَهَا الْوَأْدِي [٦٩٨]

فِي كِتَابِ «الْجَمَلِ»: [٦٩٩]

#### نظرة إلى الخطبة

يفيد مستهل الخطبة أن ما ورد ذكره من جانب من خطبة مفصلة أوردها الإمام عليه السلام في ذى قار ولا يبدو مستبعداً أن تكون هذه الخطبة متممة للخطبة ١٠٤ والتي تبدو امتداداً للخطبة ٣٣ والتي قيلت في ذى قار.

على كل حال أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى أمرين مهمين؛ الأول: إنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أبلغ ما أمر به وأتى بوظيفته بأكمل وجه.

والآخر: إنَّ إحدى المهام الرئيسية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله توحيد الصفوف وتكوين المجتمع الإسلامى الموحد وحصد العداوات من الصدور.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٧٣

فَصَدَعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلْفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعِدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

### الشرح والتفسير: النبي صلى الله عليه وآله حصد العداة من الصدور

قال الإمام عليه السلام بعد بيانه لمقدمات في خطبته بذي قار: «فَصَدَعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ».

بالنظر إلى أنَّ (صدع) من مادة (صدع) على وزن (صبر) تعنى لغته الشق أو الشق في الأجسام المحكمة أو شق الشيء فيظهر باطنه، فإنَّ هذه المفردة تعنى الظهور والوضوح وقد استعملت هنا كون إبراز حقيقة التوحيد في ذلك الوسط الجاهلى المليء بالشرك بمثابة شق تلك الحجب الضخمة للكفر والانحراف، والواقع انها اقتباس من الآية ٩٤ من سورة الحجر «فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ».

ولعل الفارق بين هذه العبارة والعبارة «وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ» أنَّ فى «بلغ» مفهوم التأكيد والتكرار. وعليه فمفهوم العبارتين أنَّ النبي أظهر الحق وأكد عليه.

ثم خاض عليه السلام فى إحدى أهم وأمثل خدمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقال: «فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلْفَ بِهِ الشَّمْلَ [٧٠٠] بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعِدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ [٧٠١]»

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٧٤

فى الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ [٧٠٢] الْقَادِحَةِ [٧٠٣] فى الْقُلُوبِ».

فقد ذكر الإمام عليه السلام فى وحدة الكلمة التى بثها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بين صفوف الائمة رغم كل تلك الاختلافات ثلاثة تعابير:

الأول: التعبير ب «لم» على وزن (غم) بمعنى الجمع أو الجمع المقرون بالإصلاح ويصبح مفهومه أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ردم تلك الهوة فى ظل التعاليم الإسلاميه بحيث لم يعد هنالك من أثر للماضى.

الثانى: التعبير ب «رتق» الذى يعنى ترقيع القطع الممزقة ولعله تأكيد على العبارة السابقة أو إشارة إلى الموارد التى كانت متصله سابقاً وانفصلت، ثم وصلها.

الثالث: التعبير ب «تأليف» الذى يعنى الجمع المقترن بالانس والانسجام الذى ذكر بخصوص ذوى الأرحام، فكثيراً ما كان الأب والابن أو الأخ يتنازعون على بعض المصالح البسيطة فى الجاهلية، وقد ألف بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله على هدى الإيمان ومبادئ الإسلام.

النتيجة: إنَّ الألفاظ الثلاثة يمكن أن تكون تأكيداً لبعضها البعض الآخر ويمكن أن يكون كل تعبير فى نوع من الاختلاف فى المجتمع. كما يحتمل أن تكون العبارة (تأليف الشمل) مرتبط باختلافات الاسرة والقراة، ورتق إشارة لزوال الاختلافات القبلية و (لم) إشارة لرفع الاختلافات عن المجتمع وتوحيد صفوفه.



على كل حال لم يكن يصدق أحد أن يتحول يوماً ذلك المجتمع الصغير في العصر الجاهلي رغم كل تلك الاختلافات العجيبة والرهيبه إلى مجتمع موحد كبير الذي قصم بوحدته ظهر الأعداء وكان بحق معجزة ربانية كما قال القران: «هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ \* وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ» [٧٠٤].

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٧٥

## الخطبة ٢٣٢

### إشارة

كَلَّمَ بِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ [٧٠٥]، وَهُوَ مِنْ شِيعَتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالاً، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [٧٠٦]

### نظرة إلى الخطبة

كما ورد في عنوان هذا الكلام فإنَّ عبد الله بن زمعة طلب مالا من الإمام عليه السلام وكان من شيعته فلم يجبه، حيث كان المال من الغنائم الحربية ولا حق فيه سوى للمقاتلين ولم يكن له حق لأنه لم يشترك في القتال.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٧٧

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيَّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ، كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَازَةٌ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

### الشرح والتفسير: غنائم المقاتلين

رغم أن المراد بهذا الكلام شخص معين؛ أي عبد الله بن زمعة الذي اعتنق الإسلام وكان من شيعته على عليه السلام بخلاف أبيه وجده اللذين لم يعتنقا الإسلام وكانا من الأعداء، إلا أن مضمون الكلام موضوع يصدق على جميع المسلمين، وهو أن أي مال من بيت مال المسلمين لا بد أن يصرف في الموارد التي عينها الشارع ولا ينبغي تقديم الروابط على الضوابط بهذا الشأن.

وتشير قرائن الكلام إلى أن عبد الله طلب سهماً من الأموال التي كانت بين يدي الإمام وتعتبر من غنائم الحرب، إلا أن الإمام عليه السلام قال له: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيَّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ».

لا بد من الالتفات رغم أن مفردة (الفيء) إن كانت مقابل الغنيمه فلها معنيان مختلفان؛ فالفيء يطلق على الأموال التي تقع في أيدي جند الإسلام دون قتال وتعلق حسب الموازين الشرعية ببيت المال؛ أما الغنيمه فهي الأموال التي يجنيها المقاتلون بواسطة القتال، لكن إن استعملت الفيء بمفردها اطلقت أحياناً على الغنيمه، وعليه فقوله عليه السلام: «هُوَ فِيَّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ»، لا ينافي مفهوم الفيء.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٧٨

ثم قال عليه السلام: «فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ، كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَازَةٌ» [٧٠٧] أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ».

وقوله عليه السلام ليس لي من سهم في هذه الأموال ربما يرتبط بالمعارك المحدوده التي يخوضها بعض قواد الإمام وليس الإمام عليه السلام، صحيح أن خمس الغنائم الحربية لبيت المال، وصحيح أن عبد الله بن زمعة كان من بني المطلب (المطلب أخو هاشم) وليس بني هاشم، ويرى البعض أن بني المطلب يستحقون الخمس [٧٠٨].

لكن ربّما لم يكن فقيراً ليعطيه شيئاً من الخمس، على كلّ حال يشير هذا الكلام إلى أنّ الإمام عليه السلام كان في غاية الدقّة في الأموال ولا يسمح بإعطاء حق مسلم لآخر وإن كان من صحبه الأوفياء، بخلاف عهد عثمان الذي يعتقد المؤرخون بأنّ بيت المال لم يكن خاضعاً لحساب وكتاب، وما أجدر أن يكون كلام الإمام عليه السلام جدول عمل لجميع زعماء الأمة الإسلاميّة والالتزام بالحق والعدل في بيت المال حتى بالنسبة لحاشيتهم ومقربهم.

كما يستفاد من الكلام أنّ عبد الله بن زعمه لم يكن تام المعرفة بالإمام ليطلب منه ذلك ولم يكن يعلم أنّ الإمام عليه السلام عامل أخاه عقيل كذلك وإلّا لما طلب منه.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٧٩

## الخطبة ٢٣٣

### إشارة

بَعْدَ أَنْ أَقْدَمَ أَحَدُهُمْ عَلَى الْكَلَامِ فَحَصَرَ، وَهُوَ فِي فَضْلِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَوَصَفِ فَسَادِ الزَّمَانِ [٧٠٩]

### نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة من قسمين:

الأول: بشأن أهميّة التكلم وحرمان البعض من هذه النعمة. ومن ثم أشار إلى تماميّة هذه النعمة العظيمة في أهل البيت عليهم السلام. وشرح في القسم الثاني الوضع على عهده والذي انحدر فيه الناس إلى الفساد إثر توليهم عن تعاليم الإسلام فذلّ أصحاب الحق وكل أصحاب الصدق وساءت أخلاق الشبان وأثم الكهول وغدا عالمهم منافق والصديق خائن.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨٠

ومن هنا حثّهم على العودة إلى طريق الحق واليقظة قبل أن يصيبهم العذاب الإلهي.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨١

### القسم الأول

### إشارة

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ،  
وَلَا يُمَهِّلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ. وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنْشَبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ عُصُونُهُ.

### الشرح والتفسير: نحن امرء الكلام

أشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة إلى أمرين:

الأول: يتلثم البعض حين الخطابة وينطلق بها البعض الآخر فقال: «أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ [٧١٠] مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ،

وَلَا يُمَهِّلُهُ النَّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ».

قطعة اللحم هذه المسماة باللسان من عجائب خلق الله، فحركات سريعة للغاية ودقيقة ومنظمة يصنع الحروف الثمانية والعشرين أو الاثنتين والثلاثين فيصفاها خلف بعضها ليبين بمجموعها جميع هواجسه ورغباته المادية والمعنوية، فيفصح بها عن المحاسن والمساوى والجميل والقيح، والطريف أن لكل قوم لغتهم فهناك أكثر من ألف لغة في العالم، وقد منحت هذه النعمة للإنسان وحده ليحيد الكلام فهي على درجة من الأهمية بحيث ذكرها الله في طليعة سورة الرحمن التي شرحت نعم الله:

«الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» [٧١١] طبعاً لا ينبغي أن ننسى أن

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨٢

المهم إمرة الروح بالنسبة للسان، فإن كانت هذه الإمرة جاهزة انطلق اللسان بالفصاحة والبلاغة بسهولة وإن غابت هذه الجاهزية تلثم اللسان، والامتناع والاتساع الذى نسب في العبارة للسان المراد منه في الواقع امتناع واتساع روح الإنسان. فالحق لقد بين الإمام عليه السلام سبب نجاح أو فشل الإنسان في الخطابة من خلال هذا الكلام ضمن إشارته لأهمية اللسان والنطق. ثم قال عليه السلام: «وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنْشَبُ [٧١٢] عُرُوقُهُ [٧١٣]، وَعَلَيْنَا تَهْدَلْتُ [٧١٤] غُصُونُهُ».

فقد شبه الكلام في هذه العبارة الرائعة بالشجرة الضخمة ذات الأغصان والجذور وأضاف أن هذه الشجرة المورقة متجذرة في أرض وجودنا واطلتنا أغصانها ومن هنا سمي أهل بيت الوحي «امراء الكلام».

وكلنا نعلم أن ذلك ليس مجرد ادعاء، بل حقيقة يعترف بها العدو والصدیق فقد كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أفصح العرب، وكيف لا يكون كذلك وعلى لسانه جرى كلام الله الذى بلغت فصاحته الاعجاز، وفصاحة أمير المؤمنين عليه السلام أشهر من نار على علم وخطب «نهج البلاغة» مما تتناقله الألسن، حتى كان الأساتذة يوصون تلامذتهم فى الماضى إن أرادوا الفصاحة والبلاغة فى حديثهم بحفظ خطب «نهج البلاغة».

كما كانت خطب سيده النساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام من أفصح الخطب وأبلغها، وقد فعلت خطب ربيبي هذا البيت الرسالى زينب وزين العابدين عليهما السلام فعلها فى الكوفة والشام لتؤثر على العدو والصدیق.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨٣

وعليه لابد من الإذعان بأن التسمية بامراء الكلام تليق بأهل هذا البيت.

## تأملان

### ١. عجائب اللسان

اللسان الظاهري أى هذه القطعة اللحمية فى فم الإنسان وتتولى الأمور الهامة والمعقدة وكذلك اللسان الفكرى الذى يعنى القدرة على أداء الكلمات وترتيب العبارات وبيان المطالب، لمن النعم الإلهية العظيمة، ومن هنا عدّ الفلاسفة والأعلام، النطق (اللسانى والفكرى) الفصل المميز وعرفوا الإنسان بأنه حيوان ناطق. وكلما أمعنا فى هذين الأمرين واجهنا المزيد من العجائب.

الطريف أن هذا اللسان ملاء تقريباً جميع فضاء الفم تحت الأسنان، وحين تناول الطعام يرسل المواد الغذائية بسرعة تحت الأسنان وينسحب بمهارة دون أن يصيبه أذى.

يقول الأطباء: هنالك أربعة أنواع من الهضم للطعام: الهضم الأول فى الفم حيث يرطب تماماً ويمزج بلعاب الفم فتجرى عليه تغييرات فيزيائية وكيميائية شتى، ثم يتجه إلى المعدة وبالطبع فاننا نتنفع باللسان صباح مساء دون أن نقف على دوره المهم عند تناول الطعام. والوظيفة الأهم للسان صنع الكلمات ومقاطع الحروف وصف العبارات وبيان جميع المقاصد الصغيرة والكبيرة والبسيطة والصعبة

والمعقدة للغاية التي تعد من عجائب الخليفة.

إلّا أنّ المهم عدم مهارة الجميع في ذلك، فالمهارة في الكلام تتوقف على عدّة عوامل أحدها وأهمّها الممارسة والتدريب، والثقة بالنفس وعدم خشية الآخرين، ورباطة الجاش والايحاء إلى النفس من بين تلك العوامل المهمّة، ومن تلك العوامل أيضاً حضور مجالس أساتذة الكلام والانفتاح على تجاربهم واستخدامهم القضايا الظريفة إزاء مخاطبيهم.

طبعاً المطالعات المسبقة وإتلاك الرصيد العلمي من العوامل المهمّة وهذا ما

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨٤

يفسّر براعة البعض في الخطابة في التجمعات الكبرى، وإعياء البعض الآخر في التجمعات الصغرى، كما أنّ حالات الإنسان الروحية من قبيل الحزن والسرور والعافية والسقم والهدوء والاضطراب لمن الأمور التي لها غاية التأثير في هذه القضية، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في الخطبة بعبارة الامتناع والاتساع.

وقد ذكر ابن أبي الحديد نماذج رائعة في الأشخاص الذي ارتقوا المنبر وتلثموا في الخطابة وعبوا في الألفاظ فهبطوا من المنبر، فنقل عن كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ موارد منها:

إنّ عثمان صعد المنبر وتوقف عن الكلام فقال هذا الكلام، ونزل: «أنتم إلى إمام عادلٍ أحوج منكم إلى إمام خطيب» (تركيز عثمان على مسألة العدالة رائعة للغاية).

وروى أنّ عدى بن أرطاة رقى المنبر ولم تكذ تقع عينه على الناس حتى توقف فقال: (الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم) ثم نزل. كما صعد روع بن حاتم، المنبر فلما رأى الناس يتطلعون إليه نادى: إخفضوا رؤوسكم وأغمضوا أعينكم فركوب الدابة صعب أول الأمر فإن فتح الله شيئاً سهل.

وقيل: أراد مصعب بن حيان أن يلقي خطبة في النكاح فقال: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله. فقامت له ام العروس وقالت: عجل الله موتك لهذا دعوناك! وسائر الموارد من هذا القبيل [٧١٥].

## ٢. امراء الكلام

ما ذكره الإمام عليه السلام في هذه الخطبة (وإنّا لأمرء الكلام) حقيقة لا تنكر يعترف بها العدو قبل الصديق. وما خلفه هذا البيت من تراث خير شاهد على ذلك؛ كأحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله التي نشرت تحت عنوان (نهج الفصاحة، ونهج البلاغة) بأجزائه الثلاثة والأدعية كدعاء كميل والصبح الذي ينتهي سنده للإمام علي عليه السلام وخطبتي

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨٥

سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ودعاء عرفه المسند للإمام الحسين عليه السلام وخطب أهل بيته في الكوفة والشام ثم المدينة عقب واقعة كربلاء وأدعية الصحيفة السجادية كدعاء أبي حمزة الثمالي الذي ينتهي سنده للإمام السجاد عليه السلام وأمثال ذلك.

كما ينبغي الالتفات إلى إذعان الأعداء بهذه الحقيقة. وروى ابن أبي الحديد في الجزء الأول من شرحه لنهج البلاغة أنّ محقن بن أبي محقن دخل على معاوية فسأله من أين جئت؟

قال: «جئتك من عند أعين الناس». فقال له معاوية: «وَيَحْكُ كَيْفَ يَكُونُ أَعْيَى النَّاسِ فَوَاللَّهِ مَا سَنَّ الْفَصَاحَةَ لِقُرَيْشٍ غَيْرُهُ» [٧١٦].

وروى عن عبدالحميد الكاتب: حفظت سبعين خطبة من نهج البلاغة ففاضت ثم فاضت [٧١٧].

وروى المرحوم السيد الرضى في مقدمته الرائعة على نهج البلاغة قائلاً:

قال ابن أبي الحديد كما ذكرنا في الجزء الأول ذيل الخطبة ٢٢١ بعد شرحه لجانب من كلام المولى في عالم البرزخ: «لو اجتمع

فصحاء العرب قاطبة في مجلس وتلى عليهم، أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدى بن الرقاع ومطلعها: «قلم أصاب...»، فلما قيل لهم في ذلك قالوا: نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن» [٧١٨]. ولمزيد من المعلومات بهذا الشأن يراجع كتاب «في رحاب نهج البلاغة» للشهيد المطهرى ومقدمه الجزء الأول من «نفحات الولاية». نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨٧

## القسم الثاني

### إشارة

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ. أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعُضْيَانِ، مُضِيَّطِلِحُونَ عَلَى الْأَذْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِنُهُمْ مُمَازِقٌ. لَا يُعْظَمُ صَاحِبُهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَلَا يُعُولُ غَثِيهِمْ فَقِيرُهُمْ.

### الشرح والتفسير: خصائص البيئة الملوثة

تناول الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة، المفاصد التي ظهرت آنذاك إثر سياسات الخلافة السابقة والتي سرت تقريباً إلى جميع المجتمعات، ليرسم صورة واضحة لذلك المجتمع بإحدى عشرة عبارة موجزة غاية في الدقة بحيث لم ينس شيئاً (وهذا مفهوم الفصاحة والبلاغة والخطابة المعجزة) فقال: «وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ» [٧١٩]. وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ».

فقد شخّص عليه السلام بهذه الصفات الثلاث، الجذور الأصلية لفساد المجتمع، سكوت أهل الحق خشية المعارضين أو إزداد الأزمات، وصمت الصادقين بفعل ضغوط البيئة والهيئة الحاكمة أو مخافة زوال مصالحهم الشخصية أو التلوث بالكذب والافتراء عوض الصدق وكذلك أولئك الذين ينشدون الحق ويطلبونه ينحون أو ينسحبون من المجتمع وليس هنالك من يسمع مقالتهم الحق، وزبدة القول ينسى

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨٨

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويهجر إرشاد الجاهل وتنبه العاقل.

ثم أشار عليه السلام إلى صفتين هما في الواقع نتيجة للصفات الثلاث السابقة فقال:

«أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعُضْيَانِ، مُضْطَلِحُونَ [٧٢٠] عَلَى الْأَذْهَانِ [٧٢١]».

لا شك في أن هناك معاصٍ في كل مجتمع ومداهنة ومسايرة، إلّا أنّ البؤس والشقاء في حركة عامة نحو الذنب والمعصية وبصورة مستمرة ودائمة، كما أنّ المصيبة والتعاسة في اصطفا المداهنين واتحادهم على هذا الأمر.

ثم قال عليه السلام في الصفة السادسة والسابعة: «فَتَاهُمْ عَارِمٌ [٧٢٢]، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ [٧٢٣]».

من البديهي في الوسط الذي يصمت فيه أصحاب الحق ويغيب فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تتلوث الأوساط الاسرية فينشأ الشبان في هذه الأوساط سيئ الخلق وفاقدى الأدب، كما أنه من الواضح أنّ هؤلاء الشبان حين يشيخون لا يفارقون الاعتياد على المعصية ويغفلون عن أنّ عمرهم اقترب من نهايته وسيحل أجلمهم فيغفون في بحر المعاصي بسبب تلك الغفلة.

وقال في الصفة الثامنة والتاسعة: «وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِنُهُمْ مُمَازِقٌ [٧٢٤]».

نعم، فعلماء ذلك الوسط الذين أقبلوا على الدنيا إنّما يرون النفاق سبيلاً لنيلها، كما ورد في الخطبة ١٩٤: «وَصَفُّهُمْ دَوَاءٌ وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ

وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ العَيَاءُ».

وردت المفردة «قارئهم» في أغلب نسخ «نهج البلاغة» وهذا ما رجحه أغلب الشراح كونه يناسب العبارة السابقة، فالكلام هناك عن العلماء وهنا عن قراء القرآن والعاشرين. بينما وردت في بعض النسخ (قارن) من مادة قرين بمعنى الصديق

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٨٩

ويصبح مفهوم العبارة أن الأصدقاء آنذاك منافقون؛ ولكن من الواضح أن النسخة الأولى أكثر تناسبا مع مجموع كلام الإمام عليه السلام.

وأخيراً قال في الصفتين العاشرة والحادية عشرة من صفات أهل ذلك الزمان:

«لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَلَا يُعُولُ [٧٢٥] غَنِيَّهُمْ فَقِيرُهُمْ».

واضح أن الشبان واليافين تربوا بعيداً عن الأدب والخجل والحياء لا يحترمون كبارهم، كما أن الكبار الذين غرسوا هذه البدور يتجرعون مرارة ثمارها.

ومن الواضح أيضاً أنه إن غابت الفضائل الإنسانية عن المجتمع وحل مكانها الفساد والتكالب على الدنيا فإن الأغنياء سوف لن يرحموا الفقراء وينسون حقيقة أن الله جعل للفقراء حقاً في أموالهم، ومن هنا يرون أن جميع تلك الأموال لهم فينفقونها في ملذاتهم. هذا إن كانت تلك الأموال جمعت من الحلال، وإلا إن كانت من الحرام ولا يعلم أصحابها، فهي جميعاً للفقراء والمحتاجين.

وهنا يرد هذان السؤالان؛ الأول: لم عمّت كل هذه المفاصد المجتمع الإسلامي على عهد حكومة الإمام علي عليه السلام؟ ولا تبدو الإجابة صعبة إن عدنا قليلاً إلى الوراء وتأملنا عصر الخليفة الثالث وماذا فعل وبطانته بيت المال والمناصب الحساسة الحكومية التي أغدقها على خاصته وقربائه، فالتاريخ يفيد أن الفساد بلغ درجة بحيث قام المسلمون على الخليفة وقتلوه بمرأى ومسمع المهاجرين والأنصار وقلمًا كان له ناصر.

السؤال الآخر: أين الجذور الأصلية لتلك المفاصد الإحدى عشرة؟ لو تأملنا بدقة لرأينا أن أغلبها إن لم نقل جميعها ناشئة من فساد الخلافة، وكون الناس غالباً على دين حكامهم يواصلون تلك المسيرة، وأحياناً يترسخ الفساد بحيث يشق الإصلاح على من يخلفهم، كما شق على الإمام عليه السلام.

حقاً لو دعوا الإمام يتسلم زمام الأمور بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ويقود المجتمع

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩٠

الإسلامي بذلك العدل والزهد والدراية بالمسلمين لكان للإسلام والمسلمين مسار آخر. الطريف أننا لو نظرنا إلى البلدان المعاصرة التي تسودها حكومات فاسدة لرأينا بوضوح كل هذه المفاصد التي أشار لها الإمام عليه السلام في هذا الجانب من الخطبة.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩١

## الخطبة ٢٢٤

### إشارة

رَوَى ذُعَلْبُ اليماني [اليماني عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دَخِيَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

وَقَدْ ذَكَرَ عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ فَقَالَ [٧٢٦]:

### نظرة إلى الخطبة

محور البحث في كلام الإمام عليه السلام عوامل اختلاف الناس مع بعضهم وظاهر هذا الكلام أن نقص الناس وكمالهم في العقول والغرائز مرهون بمدى طهارته طينتهم التي جبلت عليها طبيعتهم، وإن رأينا ظاهرياً تقارب البعض وانسجامهم أو تباعدهم وتفرقهم فبسبب قرب أرضهم (طبعاً يخترن هذا الكلام أسئلة متتالية سنخوض في طرحها والرد عليها باذن الله في الشرح والتفسير).

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩٣

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ طِينِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فَلَقَهُ مِنْ سَبِيحِ أَرْضٍ وَعَذِبُهَا، وَحَزَنُ تَرْبِيَةِ وَسَهْلُهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَفَارِقُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَأْمُ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهَمِّ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الصَّرِيْبَةِ مُكْرَرُ الْجَلِيْبَةِ، وَتَائِهَ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ، وَطَلِيْقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ.

### الشرح والتفسير: أساس الاختلاف

لا شك في أن الناس مختلفون من الناحية الجسمية وكذلك من الناحية الروحية والفكرية والأخلاقية كما لا ريب في أن هذا الاختلاف يمكن تغييره عن طريق التربية والتعليم. وعليه فالاختلاف لا يقود قط إلى سلب الاختيار ومسألة الجبر.

إلما أن الكلام في أصل هذه الاختلافات؟ لم البعض طويل القامة والآخر قصير، البعض جميل الوجه والآخر غير جميل، فثمة ذات استعداد عالي واخرى ضعيفة وعاجزة، وطائفه كريمه واخرى بخيله.

نسب الإمام عليه السلام هذه الاختلافات إلى مواد خلق منها جسم الإنسان وقال: «إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ [٧٢٧] طِينِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فَلَقَهُ [٧٢٨] مِنْ سَبِيحِ [٧٢٩] أَرْضٍ  
نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩٤

وَعَذِبُهَا [٧٣٠]، وَحَزَنُ [٧٣١] تَرْبِيَةِ وَسَهْلُهَا [٧٣٢]، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَفَارِقُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ».

وعلى ضوء هذا الكلام فإن هذه الاختلافات ناشئة من تباين مواد الأرض المختلفة، وبالنظر إلى اختلاف بقاع الأرض والمواد التي تتركب منها واختلاف تركيب الناس من تلك المواد، والتأثير لاختلاف تلك المواد على اختلاف روحياتهم وأفكارهم وأخلاقهم كان هناك اختلافات بين الناس. وهنا يرد سؤالان: الأول: إن أبانا آدم عليه السلام خلق من التراب وولد الناس لاحقاً من نطفة آدم وأولاده، وليس من التراب.

والآخر: ألا يقوى هذا الكلام مذهب الجبر الذي يرغب أن كل إنسان مجبر على الأفعال ولا يمكن تغيير ذلك؟ ونترك الإجابة عن السؤال الثاني لمبحث التأملات في آخر الخطبة. وهناك سبيلان للإجابة عن السؤال الأول:

الأول: إن الناس وإن ولدوا بعد آدم من نطفته؛ إلّا أن النطفة تتركب من مواد مختلفة تعود الجوانب الرئيسية فيها للأرض وتتغذى في رعرعتها على غذاء الام لتبلغ مرحلة الكمال حتى تلد، وغذاء الام مهما كان يتألف من مواد الأرض، فالنباتات تخرج من الأرض والحيوانات تتناول النباتات وعليه فممو الجنين منذ كونه نطفة حتى تحوله إلى الكمال يستند جميعاً إلى مواد الأرض.

وربما يتضح الموضوع أكثر بهذا المثال وهو أن الأشجار المثمرة التي تنمو في أراضٍ مختلفة وكذلك الحيوانات وبدور الأطعمة مختلفة تماماً؛ مثلاً، العنب الذي ينمو في بقعة أحلى وألطف من الآخر في بقعة أخرى وهكذا سائر الثمار، والناس كذلك، وحيث إن رابطة الجسم والروح بالنسبة لبعضها قريبة جداً فإن تفاوت هذه

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩٥

المواد يؤثر في روحيات الإنسان وخلقياته.

الجواب الآخر: بغض النظر عما قيل، إن ركزنا على خلق جسم آدم من التراب فمن الممكن أيضاً أن تحصل عدّة نطف من المواد المركبة لوجود آدم حين تتكون النطفة، ففي بعض الحالات، المادة الفلانية ترد أكثر من النطفة وفي بعضها الآخر أقل، ومن هنا يختلف حتى الأولاد الذين يلدون من نفس الأب والام وفي مناخ واحد وحتى التغذية الواحدة للوالدين؛ فهذا أشجع وذاك أكرم وهذا أضعف وذاك أذكى، والقضية المهمة أيضاً أن المناخ يكون جانباً من وجود الإنسان؛ لكن الإمام عليه السلام ذكر هنا أساس الاختلاف ليقصره على اختلاف مواد الأرض ولم يتطرق إلى المناخ، إما لقلته تأثيره على مواد الأرض أو أنه يتأثر بها أيضاً، فالماء مالح في الأراضي السبخة والهواء ملوث، بينما الماء حلو والهواء لطيف في الأراضي السهلة.

طبعاً لا يخفى التأثير الذي تلعبه أشعة الشمس، ولذلك ترى أغلب الأفراد في المناطق الاستوائية من ذوى البشرة السوداء وبعكسها في المناطق المعتدلة، وبالطبع لا يقتصر ذلك التأثير على لون البشرة، بل هناك تأثير خاص للموقع الجغرافي بسبب اختلاف أشعة الشمس أو المناخ والأرض.

على كلّ حال، استناداً لما قيل يمكن التسليم لكلام الإمام عليه السلام حسب دلالة ظاهرة والذي ينسجم تماماً مع القواعد العلمية المعاصرة، ولا حاجة إلى أن نقول المراد من (مبادئ طينهم) أرواح ونفوس الناس وتحمل سائر ألفاظ الإمام عليه السلام على اختلاف الأرواح؛ لا على اختلاف الأجسام التي لها تأثيرها في تفاوت الأخلاق والروحيات كما يفهم من كلمات ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة.

ثم بين الإمام عليه السلام عدّة نماذج لتأثير الجسم على الأخلاق والفكر والفضائل النفسانية ليختتم هذا البحث بذكره لسبعة نماذج من العلاقة بين الجسم والروح والتركيب الظاهري بالخلق والطبع الباطني فقال: «فَتَأْمُ الرُّوَاءِ [٧٣٣] نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩٦

الْقَامَةُ قَصِيرُ الْهَمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمُنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيئَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيئَةِ، وَتَائِهَةُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ، وَطَلِيْقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ».

وما ورد بشأن العلاقات السبع بين الجسم والروح والمادة الجسمانية والأخلاق في كلام الإمام عليه السلام قطعاً بصيغته قاعدة كلية لا يطالها الاستثناء، بل واردة في أغلب الأفراد، ومن هنا لمسنا بأعيننا استثناءاتها.

العبارة «قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ» والنظر إلى أنّ القعر هنا إشارة إلى قصر القامة، حيث ليست هناك من فاصلة بين الرأس والأقدام لديهم وكانت مفردة «وَقَرِيبُ الْقَعْرِ» مناسبة لهم، وبالنظر إلى أنّ السبر يعنى التعمق والاختبار فإنّ العبارة «بعيد السبر» إشارة إلى عمق الفكر وسعة الاطلاع.

كما يحتمل أن تكون العبارة «بَعِيدُ السَّبْرِ» إشارة إلى أنّ أولئك الأفراد يصعب معرفتهم. وهو المعنى الذي أقره ابن أبي الحديد وابن ميثم وبعض الشراح.

والعبارة «وَمَعْرُوفُ الضَّرِيئَةِ» بالنظر إلى أنّ الضريئة تعنى السجية والخصلة والطبيعة والجلبية ما يقوم به الإنسان من عمل خلاف طبعه وكأنته يجلبه من الخارج، فإنّ المفهوم هو أنّ طائفته من أولئك الناس الظاهري الطبع يتعاملون خلاف طبعهم بفعل بعض العوامل الخارجية من قبيل التربية السيئة والوسط الملوث والدعاية السامة التي تفرز الدواعي الشيطانية.

والعبارة «وَتَائِهَةُ الْقَلْبِ» ذات مفهوم جربناه عادة في حياتنا وحياة الآخرين وهو أنّ الأفراد الذين يعيشون الاضطراب إثر مختلف العوامل يفقدون قدرة التفكير المنظم فتضطرب بالطبع أفكارهم بحيث يتضح قلق قلوبهم من خلال اضطراب أفكارهم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩٧

والعبارة «وَطَلِيْقُ اللِّسَانِ» ذات مفهوم مجرّب هو أنّ الخطباء الماهرين هم الأفراد ذوو القلوب الصلبة الذين لا يهابون شيئاً ويتسمون



بالشجاعة ومن هنا كانوا ماهرين في الخطابة.

## تأملان

### ١. صلة الروح بالجسم

صرّح أغلب الأعلام والفلاسفة بأنّ لروح الإنسان صلةً بجسمه بحيث تنعكس خصائص كلّ منهما على الآخر، وعليه فليس من العجب أن تكون هنالك علاقة بين شكل الإنسان وقامته وسائر ميزاته البدنية وبين روحياته وأخلاقه.

وقد ذكر المفكرون منذ قديم الأيام ولحد الآن تلك الصلات في مصنفاتهم حتى انشق علم معرفة الهيئة، لكنهم يعترفون بأنّ تلك الصلات (صلة الأخلاق بالهيئات الجسمانية المختلفة) ليست كليّة، فهنالك العوامل الأخرى المؤثرة في روحية الإنسان وخلقته بحيث يغلب تأثيرها أحياناً ويربك العلاقة السابقة؛ مثلاً خلق الأب والأم وطبعهما، وتأثير المناخ المحلي والتعامل مع مختلف الأشياء حسب العمل والمهنة وأمثال ذلك، من شأنه التأثير في خلقيات الإنسان فيربك أحياناً كليّة صلات علم معرفة الهيئة.

على كلّ حال، فما ورد في كلام الإمام عليه السلام آنفاً إشارة إلى جانب من علاقة الروح بالجسد ذكره كرد على سؤال بعض أصحابه بشأن اختلاف روحيات الناس، وما مر علينا بالطبع مبدأ كلي ولا يخلو من استثناء.

ومن هنا يتضح ما يرى من مطالب في بعض الروايات على خلاف ما ذكر، على أنّه من تلك الاستثناءات كالحديث النبوي القائل «أُطْلِبِ الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ» [٧٣٧].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩٨

في حين ورد في بعض الروايات ضمن خطبة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كَأَمْ وَخَضْرَاءِ الدَّمَنِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خَضْرَاءُ الدَّمَنِ؟ قَالَ: الْمَرْأَةُ الْحَشَنَاءُ فِي مَتَبِّ السُّوءِ» [٧٣٨].

### ٢. الاختيار وصلة الروح بالجسد

السؤال الآخر الذي يرد هنا: إننا إن قبلنا العلاقة بين ملوحة التربة وحلاوتها وطبيعة الإنسان وإرتباط الهيئات الجسمانية بخلقيات البشر، فنتيجة ذلك ليس للأخيار قدرة إتيان المساوي، ولا السيئين إتيان المحاسن وهذا هو مذهب الجبرية، والمعلوم على هذا الأساس إنكار الثواب والعقاب وعبثية بعثة الأنبياء، وبالتالي نفى عدالة الله تبارك وتعالى.

ولا تبدو الاجابة على هذا السؤال صعبة، فليس هناك من يزعم أنّ الكيفيات الجسمانية علة تامّة لتلك الخلقيات في الطبيعة البشرية، وأنها مجرد أرضية مساعدة. ويمكن ايضاح ذلك بهذا المثال. فالكل يقول بتأثير الوسط الاسرى أو البيئة على أعمال الإنسان، إلّا أنّ ذلك لا يعنى سلب إرادة الإنسان، وما ذلك سوى أرضية، ومن هنا نرى الكثير ممن تربى في اسرة سيئة لكنهم كانوا اناساً صالحين ومؤمنين. وبالعكس نرى بعض الأفراد السيئين ممن تربى في وسط صالح، بعبارة أخرى، فإنّ الجزء الأخير للعلّة التامة إرادة الإنسان التي تؤدي إلى التأثير الغائي.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ من عاش وسطاً سيئاً وأجواء خلقية شاذة وسلك الطريق السليم فإنّ أجره وثوابه يفوق نظيره الذي يعيش وسطاً وبيئةً صالحةً.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٣٩٩

## إشارة

قَالَ وَهُوَ يَلِي عُسْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَجْهِيْزُهُ [٧٣٩]

## نظرة إلى الخطبة

أورد الإمام عليه السلام كما قيل، هذا الكلام حين ولى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه، كلمات ملتاعة تثير الحزن وتعكس غاية لوعة الإمام عليه السلام آنذاك، في حين ترك الآخرون جسد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله واجتمعوا في سقيفه بنى ساعدة ليتأمروا على سلب خلافة النبي صلى الله عليه وآله.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٠١

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ. حَخَّصَتْ حَتَّى صِرَتْ مُسَلِّمًا عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّمَتْ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءً. وَلَوْ لَمَا أَنْكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجُرْعِ، لَأَنْقَضْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْنِ وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا وَالْكَمْدُ مُحَالِفًا، وَقَلَّا لَكَ! وَلَكِنَّهُ مَا لَّا يُمْلِكُ رُدَّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! أَذْكَرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

## الشرح والتفسير: عظم مصيبة رحيل النبي صلى الله عليه وآله

خاطب عليه السلام الجسد الطاهر للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقال: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ».

الجملة «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي». المتداولة لدى العرب عند ابداء الحب لأحد، إشارة إلى أنني أفديكم بأبي وامى أعز أعزائي، لعل أب القائل واهم ليسا على قيد الحياة حين قوله ذلك الكلام كما الأمر كذلك في هذه الخطبة، فذلك لا يقدر بمفهوم الكلام، فلهذه العبارة جانب كئيب ويشير إلى أن المخاطب عزيز إلى درجة أن الإنسان يفديه بأعز خاصته.

ورد في بعض الروايات أن هذه العبارة عقوق للوالدين إن كانا على قيد الحياة ومؤمنين [٧٤٠].

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٠٢

إلما أن ظاهر هذه الرواية حين لا يكون المخاطب النبي أو الإمام، لأن هذه العبارة إزاءهم مدعاة للفخر فضلاً عن أنها ليست إهانة وعقوق.

ومن هنا كثيراً ما تشاهد هذه العبارة في أغلب الزيارات، في حين أن أغلب والدى الزائرين أحياء.

المفردات «نبوة»، «إنباء» و «أخبار السماء» ذات مفاهيم مختلفة: فالنبوة إشارة إلى مقامه صلى الله عليه وآله، والإنباء أسلوب النبي العملى فى إبلاغ الرسالة والوحى، وأخبار السماء تلك التى لا ترتبط بالمسائل الشرعية من قبيل الأخبار الغيبية والحوادث المستقبلية والملاحم.

على كل حال العبارات المذكورة أخبار صريحة فى خاتمية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ودليل بين على عدم نزول الوحى بعد النبي صلى الله عليه وآله وقد انقطعت هذه النعمة العظيمة التى عمّت العالم فى ظل وجود النبي برحيله، وهذا سرّ حزن أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم أشار عليه السلام إلى أمرين فقال: «حَخَّصَتْ حَتَّى صِرَتْ مُسَلِّمًا [٧٤١] عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّمَتْ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءً».

كيف لا تكون مصيبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله شاملة وهو رحمة للعالمين ووسيلة نجاه البشرية من مختلف أنواع الانحرافات، فهو للجميع ويهتم بالجميع، فلا بد أن يبكيه الجميع في مصابه.

ومن جانب آخر أن المصاب يبدو أجلاً وأعزّ كلما كان الفقيد أعظم قدراً وأثراً، ولما كان النبي صلى الله عليه وآله أكرم إنسان وأعز مخلوق كانت مصيبته تفوق جميع المصائب، وبعبارة أخرى تهون سائر المصائب إزاء مصابه.

وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام حين مصابه بالزهراء عليها السلام فخطب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلْدِي إِلَّا أَنَّ فِي النَّاسِ لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزُّ» [٧٤٢].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٠٣

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إِنْ اصْتَبَتْ بِمُصِيبَتِهِ فِي نَفْسِكَ أَوْ فِي مَالِكَ أَوْ فِي وَلَدِكَ فَادْكُرْ مُصَابِكَ بِرَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّ الْخَلَائِقَ لَمْ يُصَابُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ» [٧٤٣].

ثم أشار عليه السلام إلى قضية أخرى فقال: «وَلَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَأَنْفَدْنَا [٧٤٤] عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْنِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا وَالْكَمْدُ مُحَافِئًا، وَقَلَّا لَكَ!».

وبالنظر إلى أن شوون، جمع شأن التي تعنى هنا عدد الدموع فمراد الإمام عليه السلام لولا أنك نهيتنا عن البكاء والجزع لبكيناك حتى ينضب ماء عيوننا، لكننا تعلمنا منك الصبر والجلد، فقد بكيت ولدك إبراهيم حين توفي لكنك لم تجزع، وهذا ما فعلته بمصاب عمك حمزة ومن هنا علمتنا الصبر.

و «المماطل»: المدين الذي يؤخر أداء الدين، ويقال: داء المماطل للمرض الذي لا علاج له والذي يشبه ذلك المدين.

و «الكمد»: الحزن الباطني، والمحالف: من يعاهد غيره ويفى بالعهد، فكمد محالف بإشارة إلى الحزن الباطني الثابت.

ويشير ضمير المثني في (قلًا لك) إلى ذلك الداء والكمد؛ أي أن ألم مصابك وحزنه الدائم لا شيء أيضاً إزاء عظمه مصيبتك.

ثم قال عليه السلام: «وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رُدَّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ!». فالبكاء والجزع لا يجدي نفعاً ولا يد من الصبر والرضا برضى الله.

ثم عبر في الختام أيضاً عن حبه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتعلقه به فقال: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ» [٧٤٥].

ومفهوم هذه العبارة أن روحك الطاهرة عرجت إلى الملكوت الأعلى جوار الرب. فادع لنا هناك واسأل الله قضاء حوائجنا واستحضرنا على الدوام.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٠٤

## تأملان

### ١. البكاء على الأعزّة

يستفاد من هذه الخطبة والروايات، عدم المنع من البكاء على مصاب الأعزّة.

والمنع يقتصر على الجزع والجحود، فقلب الإنسان بؤرة العواطف والتي تؤثر عليه سيما حين تشتد. فإذا فقد عزيزاً اضطرب القلب وجرت الدموع ويختنق الإنسان بعبرته وينطلق اللسان لبيان شوقه ولهفته للعزيز الفقيد، هذه الأمور جميعاً ليست ممنوعه، بل ممدوحه شريطة اقترانها بالصبر، والممنوع أن يجزع الإنسان ويضرب رأسه بالجدار ويخمش وجهه وينطلق لسانه بالباطل.

ففي الخبر: لما بلغ النبي صلى الله عليه وآله استشهاد جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثه (في موقعه مؤتة) بكاهما وقال: «إِنَّهُمَا كَانَا يُحَدِّثَانِي وَكُنْتُ آنَسُ بِهِمَا فَمَاتَا مَعًا» [٧٤٦].

كما ورد في غزوة احد أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رجع إلى المدينة وكان يسمع كل بيت يبكي قتيله سوى بيت عمه حمزة، غضب وقال: «وَلَكِنْ حَمْرَةَ لَابْوَاكِي لَهُ».

فلما سمع أهل المدينة ذلك أقسموا أن لا يبكوا أحداً حتى يبكوا على حمزة. وقد استمرت هذه السنة حتى اليوم (حين حديث الإمام الباقر عليه السلام) [٧٤٧].

كما وردت عن المعصومين عليهم السلام عدّة روايات في النهي عن الجزع، ومنها أن أمير المؤمنين على عليه السلام قال: «إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَزَتْ عَلَيْكَ الْمَقَادِيرُ وَأَنْتَ مَا جُورٌ وَإِنْ جَزَعْتَ جَزَتْ عَلَيْكَ الْمَقَادِيرُ وَأَنْتَ مَعْدُورٌ» [٧٤٨].

لا ينبغي أن ننسى أن الجزع ناهيك عن كونه نوعاً من جحود الله، فهو ينطوي على آثار سيئة تصيب أعصاب الإنسان وتسوقه أحياناً إلى حدّ الجنون.

نفعات الولاية، ج ٨، ص: ٤٠٥

## ٢. تجهيز النبي صلى الله عليه وآله

لا خلاف في يوم وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث أجمعوا على وفاته يوم الاثنين ومشهور مذهب أهل البيت عليهم السلام أنه دفن بعد ثلاثة أيام.

ورغم ما يستفاد من الروايات باستحباب التعجيل في دفن الميت؛ إلا أن القضية تختلف حين يكون المتوفى شخص كرسول الله صلى الله عليه وآله ويريد المسلمون أن يصلوا عليه فوجاً فوجاً ويودعوه.

وكما يستفاد من الأخبار أنهم كانوا يدخلون عليه عشرة عشرة ويصلون عليه، ثم دفن هناك في حجرته، حيث كان لكل رأيه في دفن النبي صلى الله عليه وآله فمنهم من قال: في مكة، وآخر المدينة (في البقيع أو في صحن المسجد) فقال أمير المؤمنين على عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا إِلَّا فِي أَطْهَرِ الْبِقَاعِ فَيَبْغِي أَنْ يُدْفَنَ فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا».

فَاتَّفَقَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدُفِنَ فِي حُجْرَتِهِ [٧٤٩]. كما قيل فيمن دخل القبر أنه دخل على عليه السلام والفضل ابن العباس وشخصان آخران [٧٥٠].

على كل حال، فمما لا شك فيه أن تجهيز النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بما في ذلك غسله وتكفينه والصلاة عليه كان على يد على عليه السلام بينما سارع الآخرون إلى سقيفة بني ساعدة وانهمكوا بالحديث عن الخلافة حتى قيل إن معزى السقيفة لم يوفقوا للصلاة على النبي صلى الله عليه وآله. وللوقوف على المزيد بهذا الشأن يراجع كتاب بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٥٠٤.

نفعات الولاية، ج ٨، ص: ٤٠٧

## الخطبة ٢٣٦

### إشارة

اقتُصَّ فِيهِ ذِكْرُ مَا كَانَ مِنْهُ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ لِحَاقُهُ بِهِ [٧٥١]

### نظرة إلى الخطبة

لا حاجة هنا لشرح الخطبة وفق نظره كون كلامه عليه السلام غاية في القصر والايجاز.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٠٩

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ.

### الشرح والتفسير: ذكر الحبيب

هذا الكلام كما ذكر المرحوم السيد الرضى جانب موجز من خطبة مفصلة للإمام عليه السلام فضله الرضى لما رأى فيه من ظرافة في عباراته من حيث الفصاحة والبلاغة. ويفهم من كتاب «تمام نهج البلاغة» أن هذا الكلام كان في خطبة بين فيها الإمام مكانته من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وشرح في كل جانب منها صلته الوثيقة بالنبي صلى الله عليه وآله ولطفه به والذي تتضح فيه تماماً مكانة أهل البيت عليهم السلام [٧٥٢].

وهذا الكلام - كما أشرنا آنفاً - في هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة بعد ليلة المبيت وبقاء الإمام في مكة لأداء ودائع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى الناس وانطلاقته خفية إلى المدينة بعيداً عن أنظار خصوم الدعوة الإسلامية.

فالإمام عليه السلام الذي عاش تلك المرحلة العصيبة إبان فراق زعيمه وأستاذه العزيز كان يعاني من فراقه الذي شقَّ عليه وكلامه هنا يعكس ذلك حيث قال: «فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ».

يشير هذا الكلام إلى مدى لوعة الإمام عليه السلام على فراق النبي صلى الله عليه وآله خلال تلك الفترة الوجيزة، فلا ينفك عن ذكره ويفصح عن مدى لوعته كمن فقد أعزَّ أعزَّته؛ لكن لا حيلة، فلا بد أن يبقى ويؤدي إلى الناس ودائعهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله التي ائتمنوه

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤١٠

عليها، فانطلق بعيداً عن أعين الأعداء إلى المدينة، ويستفاد من التواريخ الإسلامية أن جروحاً بليغة أصابت جسد الإمام إثر إبطاره بالحجارة ليلة هجرة النبي وقد نام على فراشه؛ لكنّه تناسى كل تلك الجراح وكان لا يفكر سوى بحبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله. قال المرحوم السيد الرضى في ختام هذا الكلام:

إِنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ» مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي رَمَى بِهِ إِلَى غَايَتِي الْإِيْجَازِ وَالْفَصَاحَةِ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُعْطِي خَبْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، فَكُنْتُ عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكِنَايَةِ الْعَجِيبَةِ.

فللإمام عليه السلام نكته ظريفة ودقيقة في العبارة «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ» والتي تابعها السيد الرضى وهي أن الإمام عليه السلام جعل ذكر النبي صلى الله عليه وآله كالطيف الجميل الساحر الذي يعطر الأجواء، وكان الإمام يعيش ذلك الجو ليله ونهاره، كمن يقول لآخر: إنَّ ذَكَرَكَ هُوَ بَيْتِي وَحَيَاتِي، ذَكَرَكَ أَزَقُّهُ مَدِينَتِي.

### تأمل: قصة الهجرة

إنَّ قصة هجرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أروع القصص التاريخية في الإسلام، وذلك عندما أحس رؤوساء قريش بالخطر المغدق بهم إثر دعوته الشريفة، وخصوصاً لو استمرت هذه الدعوة بين أوساط الناس وبهذه الصورة الجدِّية، فيؤدي لا شك إلى انكسار شوكتهم وقدرتهم وتحطم أوثانهم بل وتحويل مكة إلى سجن كبير لهم، وعليه اختاروا طريق القضاء عليه وعلى دعوته الرسالية، اختاروا في التصدي لدعوته أحد الطرق الثلاثة، إمَّا يسجنوه، أو ينفوه من مكة أو يقتلوه وهذا ما أشارت إلى الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

ولكن أجمعوا على قتله ليلاً لأنهم محصوا هذا الرأي واتفقوا عليه، ولكنهم واجهوا مشكلة بنى عبدمناف في طلب الثأر له وبذلك تقع

فتنة عظيمة وصراع كبير

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٤١١

بين قبائل مكة، ولهذا دعوا جميع القبائل ورؤساء قريش وثبت رأيهم على على أن يضربوه بأسيا فهم من أيدي جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه في بطون قريش فلا- تطلبه نبو عبد مناف وبالتالي يرضوا بالدية، فحاصروا بيت النبي صلى الله عليه وآله وانتظر الصباح إلى أن ينجلي ظلام الليل، ثم يحملوا عليه حملة رجل واحد.

فخرج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى من محاصرة القوم بصورة إعجازية ورحل ليلاً إلى المدينة (ولكن عن طريق غير طريق مكة والمدينة حتى لا تستطيع الأعداء اقتفاء أثره) وأمر على بن أبي طالب عليه السلام أن يبيت في فراشه وذلك لأنهم كانوا يترصدون البيت فعينوا فيها شخصاً مسجى بالبرد الحضرمي الأخضر، فلم يشكوا أنه هو فرصدوه ورمه ببعض الأحجار ليطمئنوا على أنه لازال في فراشه.

ولما أصبحوا دخلوا عليه الدار وسلوا بسيوفهم وحملوا عليه ظناً منهم أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وأحاطوا بفراشه وفجأة وجدوا علياً عليه السلام في فراشه فلما دنوا منه عرفوه فقالوا له: أين صاحبك؟ فقال عليه السلام: لا أدري أو رقيباً كنت عليه؟

فعندما فشلت خطتهم غضبوا غضباً شديداً لأنهم انتظروه إلى الصباح وألقوا اللائمة على أبي لهب الذي منعهم من الهجوم ليلاً (لأن الهجوم ليلاً كان عندهم مع وجود الأطفال والذراري عيباً كبيراً).

وتحرك النبي من مكة جهة الشمال إلى المدينة بدلاً عن الجنوب ووصل إلى جبل غار ثور واختفى فيه حتى لا تصل إليه أيدي الأعداء والمشركين، فخرج رجال قريش تبحث عنه في أطراف مكة ولكنهم فشلوا ورجعوا إلى مكة دون أن يعثروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد خرج من أيديهم وهاجر إلى المدينة [٧٥٣].

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٤١٣

## الخطبة ٢٣٧

### إشارة

في المُسَارَعَةِ إِلَى الْعَمَلِ [٧٥٤]

### نظرة إلى الخطبة

يستفاد من كتاب «تمام نهج البلاغة» أن هذه الخطبة- جانب من الخطبة الغراء- تعدّ من عجائب خطب الإمام عليه السلام حيث شيع جنازة ووسد الميت في اللحد وكان أهله يبكوه فخطب تلك الخطبة [٧٥٥].

وتألف الخطبة في الواقع من قسمين؛ الأول: عن المسارعة في العمل واستغلال الفرص، فلعل الموت يفاجئ الإنسان وتفوت الفرصة ويغلق باب التوبة.

والقسم الثاني: وصايا في مجاهدة هوى النفس وكيفية الانتفاع بفرص الحياة، فالخطبة بمجموعها ذات فائدة قصوى لسالكى سبيل السعادة.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٤١٥

### القسم الأول

## إشارة

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى وَالْمُسَىءُ يُرْجَى، قَبِيلَ أَنْ يَخْمَدَ الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهْلُ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَضَعَدَ الْمَلَائِكَةُ.

## الشرح والتفسير: اغتنام الفرصة

شجع الإمام عليه السلام بهذه العبارات الموجزة العميقة المعنى جميع مخاطبيه على اغتنام الفرص وحذر من أن هذه الفرص عابرة زائلة عاجلاً أم آجلاً، ولا بد من السعي قبل اليأس والحسرة.

فأشار في كيفية اغتنام الفرص إلى خمسة أمور:

قال في الأول: «فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ».

والعبارة «نَفْسِ الْبَقَاءِ» إشارة لطيفة إلى أن البقاء كأنما يشبه في الدنيا بالكائن الحي الذي يتنفس ولا بد من استغلاله قبل أن ينقطع نفسه.

وقال في الثاني: «وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ» [٧٥٦].

إشارة إلى إمكانية الإضافة والإصلاح والتعديل ما دامت الصحيفة مفتوحة.

وفي الثالث: «وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ».

إشارة إلى أن العودة قائمة ويمكن إطفاء نيران الذنوب المستعرة بماء التوبة مادامت أبوابها مفتوحة وتحصيلها واسع، فيلجأ الإنسان إلى الله ويفصح عن ندمه

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤١٦

ويسكب الدموع التي تفرزها التوبة النصوح والخالصة فيطفئ بها نيران الذنوب.

ورد في «الكافي» عن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام أنه قال: «إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَارَبِّ سَلَطْتَ عَلَيَّ الشَّيْطَانَ وَأَجْرَيْتَهُ مِنِّي مَجْرَى الدَّمِّ، مَا جَعَلْتَ لِي شَيْئًا، فَقَالَ: يَا آدَمُ جَعَلْتُ لَكَ أَنْ مَنَ هَمٌّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بِسَيِّئِهِ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمَلَهَا كَتَبْتُ عَلَيْهِ سَيِّئَهُ، وَمَنْ هَمَّ مِنْهُمْ بِحَسَنَةٍ فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ هُوَ عَمَلَهَا كَتَبْتُ لَهُ عَشْرًا، قَالَ: يَارَبِّ زِدْنِي، قَالَ: جَعَلْتُ لَكَ أَنْ مَنَ عَمَلٍ مِنْهُمْ سَيِّئَةً تُسَمُّ اسْتَعْفَرَ لَهُ عَفْرَتُ لَهُ، قَالَ: يَارَبِّ زِدْنِي، قَالَ: جَعَلْتُ لَهُ التَّوْبَةَ - أَوْ قَالَ بَسَطْتُ لَهُمُ التَّوْبَةَ - حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ هَيْدَهُ، قَالَ: يَارَبِّ حَسْبِي» [٧٥٧].

وقال في الأمر الرابع والخامس: «وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى وَالْمُسَىءُ يُرْجَى».

إشارة إلى الدعوة والأمل الذي تضمنته الآية الكريمة، قال تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» [٧٥٨].

وقال تعالى: «وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ» [٧٥٩].

وقال في العبارة السادسة والسابعة والثامنة: «قَبِيلَ أَنْ يَخْمَدَ [٧٦٠] الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهْلُ [٧٦١]، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ».

نعم، فما دام هنالك العمر فالعمل قائم والمهلة مبدولة والفرصة سانحة وكل ذلك يفنى حين مغادرة الإنسان لهذا العالم.

وقال في التاسعة والعاشر: «وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَضَعَدُ الْمَلَائِكَةُ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤١٧

## القسم الثاني

## إشارة

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَمَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِتَدَائِمٍ. امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ. امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

## الشرح والتفسير: كيفية اغتنام الفرصة

وعظ الإمام عليه السلام في المقطع السابق من هذه الخطبة بعشر عبارات موجزة وعميقة المعنى، الجميع باغتنام الفرص قبل فوات الأوان.

ثم ذكر في عشر أخرى طرق كيفية الاغتنام لتلك الفرص، فالقسم الأول في الواقع وعظ وتحذير والثاني أسلوب للعمل. قال: «فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ»، وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ وَمِنْ فَمَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِتَدَائِمٍ.

تكرر الفعل الماضي (أخذ) في هذه العبارات الأربع مرتين؛ لكنه عنى الأمر. فقد أمر عليه السلام في العبارة الأولى بضرورة استفادة كل إنسان من رصيده وجوده لإدخار الحسنات، حيث وهب الله الإنسان إمكانات وطاقات إن وظيفها في المسار الصحيح وفرت له أسباب السعادة.

ورد عنه عليه السلام في «غررالحكم» أنه قال: «إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا وَيَأْخُذَانِ مِنْكَ فَخُذْ مِنْهُمَا» [٧٦٢].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤١٨

وقد ورد نفس هذا المعنى في العبارة الثانية بصيغة أخرى، «وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ».

وأشار في العبارة الثالثة والرابعة إلى إمكانية التزود من هذه الدار الفانية إلى تلك الدار الباقية ومن هذه الحياة الزائلة إلى تلك الخالدة، ثم واصل كلامه قائلاً: «امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ [٧٦٣] إِلَى عَمَلِهِ».

حيث بين عليه السلام في هاتين العبارتين ما ذكره في العبارات السابقة بصيغة أخرى ووعظ الجميع بالانتفاع بهذه المهلة التي منحهم الله ضرورة خشيته والابتعاد عن التقصير.

ثم قال: «امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ».

فقد شبه عليه السلام نفس الإنسان بالدابة الجموح إن لم يكن زمامها كما ينبغي أقحمته في وادي المعصية وحرفته عن مسار الطاعة عادة ما يستفاد من وسيلتين للسيطرة على الدابة الجامحة؛ إحداهما، اللجام وهو حبل يوضع في فم الدابة ويوثق ليكون بيد راكب الدابة، والزمام، الذي يوضع في أنفها ويمسكه الراكب بحبل، ولما كان فم الدابة وأنفها من المواضع الحساسة فإنه يمكن من خلالها إيقاف الدابة أو سوقها إلى جهة من خلال تحريكه إلى تلك الجهة.

والعبارة «لجام» و «زمام» إشارة إلى ضرورة تهيئة اللجام والزمام الذي يليق بالنفس الجامحة بحيث يمكن بواسطته صدها عن الذنب والمعصية وسوقها إلى طاعة الله، وما أكثر الأفراد الذين يلجمون أنفسهم بلجام ضعيف وهزيل بحيث يفقدون هذا اللجام حين إثارة الشهوات فيقارفون أنواع المعاصي.

ولكن ما هي الوسيلة اللازمة للسيطرة على النفس؟ يمكن الظفر بالجواب في ما ورد من كلمات الإمام على عليه السلام في «غررالحكم» و «بحار الأنوار». فقد ذكر عليه السلام أن

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤١٩

القناعة عامل إصلاح النفس فقال: «اعْوُنْ شَيْءَ عَلَى صِلَاحِ النَّفْسِ الْقَنَاعَةُ» [٧٦٤].



وفى موضع آخر عدّ التعصب وسيلة لإصلاحها فقال: «إِذَا صَعِبَتْ عَلَيْكَ نَفْسُكَ فَاصْعَبْ لَهَا تَذَلَّ لَكَ» [٧٦٥].

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٢١

## الخطبة ٢٣٨

### إشارة

فِي شَأْنِ الْحَكَمَيْنِ وَذَمِّ أَهْلِ الشَّامِ [٧٦٦]

### نظرة إلى الخطبة

تتكون هذه الخطبة في الواقع من قسمين، ذم الإمام عليه السلام في القسم الأول أهل الشام وبعثهم بالجفاء القساء الذين ينبغي أن يؤذّبوا ويربّوا ويخضع القاصر منهم لولاية العالم، إنهم ليسوا من المهاجرين والأنصار (العارفين بتعاليم الإسلام والحريصين على بقائه). وأشار عليه السلام في القسم الثاني إلى قضية التحكيم فبين أن أهل الشام اختاروا لهذه

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٢٢

القضية عمرو بن العاص وهو أفضل من يحقق أطماعهم ومآربهم، واخترتهم أبو موسى الأشعري أبعدهم عن هدفكم، وكان عليكم أن توجهوا قبضة ابن عباس إلى صدر عمرو بن العاص لا بواسطة الضعفاء كأبي موسى الأشعري.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٢٣

### القسم أول

### إشارة

جُفَاءً طَعَامًا، وَعَيْدًا أَقْرَامًا، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتَلَقَّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدْرَبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤَخَذَ عَلَى يَدَيْهِ.

لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ.

### الشرح والتفسير: أتباع معاوية

خاض الإمام عليه السلام هنا كما ذكرنا في ذم أهل الشام وذكر صفاتهم التي تكشف عن مدى جهلهم وخبثهم فاستهل ذلك بخمس من صفاتهم قائلاً: «جُفَاءً [٧٦٧] طَعَامًا [٧٦٨]، وَعَيْدًا أَقْرَامًا [٧٦٩]، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ [٧٧٠]، وَتَلَقَّطُوا [٧٧١] مِنْ كُلِّ شَوْبٍ [٧٧٢]».

ثم أضاف عليه السلام: «مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدْرَبَ [٧٧٣]، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤَخَذَ عَلَى يَدَيْهِ».

واختتم عليه السلام قائلاً: «لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا [٧٧٤] الدَّارَ وَالْإِيمَانَ».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٢٤

وكما أشرنا سابقاً فإن هذا الكلام بعض كتاب كتبه الإمام عليه السلام ليطلع المسلمين على جميع الأحداث في عصره وما سبقه ليكون

تعليمات تبعث لجميع المناطق والتعريف بأهل الشام وأتباع معاوية الذين تمردوا على إمام المسلمين وأججوا نيران صفين وإيضاح سوء نيتهم وكيفية اجتماعهم.

### تأمل: جهل أهل الشام

ما أورده الإمام عليه السلام بشأن جهل وحمق عسكر معاوية (رغم كثرة الأفراد الداعين في أهل الشام) لمن القضايا التي تؤيدها سيره معاوية ومن ذلك هاتان الواقعتان اللتان نقلهما المسعودي في «مروج الذهب».

الواقعة الاولى: إن رجلاً من أهل الكوفة على بعير له قدم إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينه يشهدون أنها ناقتة ف قضى على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه.

فقال الكوفي: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة.

فقال معاوية: هذا حكم قد قضى، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن البعير فدفع إليه ضعفه وبرّ وأحسن إليه وقال له: أبلغ علياً أتى اقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل.

الواقعة الثانية: ولقد بلغ من أمرهم من طاعتهم له (لمعاوية) أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء وأعاروه رؤوسهم عند القتال. (وقبل الناس وصلوا الجمعة في يوم الأربعاء وهذا كان من جهل أهل الشام) [٧٧٥].

كما ورد في الحديث أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال لعمار: (تقتلك الفئة الباغية)، وقد

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٢٥

شهد عمار صفين مع علي عليه السلام حتى قتل، فلما اجتمع بعض الصحابة عند قتل عمار، وأن معاوية هو وأصحابه هم الفئة الباغية الذين قتلوا عمار، قال عمرو بن العاص:

إن علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته [٧٧٦].

والعجيب أن البعض قبل هذا الرأي.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٢٧

### القسم الثاني

#### إشارة

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِنَفْسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لِنَفْسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ. وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: «إِنَّهَا فِتْنَةٌ، فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ». فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ، غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمْتَهُ التُّهْمَةُ.

فَازْفَعُوا فِي صَيْدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَحَدُّوا مَهَلَ الْأَيَّامِ، وَحَوَّطُوا قَوَاصِي الْأَسْلَامِ. أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُزْمَى؟

### الشرح والتفسير: أفضل اختيار وأسوأه

خاض الإمام عليه السلام في القسم السابق في التعريف بأهل الشام الذين اجتمعوا حول معاوية ليصفهم بأنهم جهال وأوباش وأشرار،

وقال هنا رغم جهلهم وانحطاطهم لكنهم تفوقوا عليكم في الجانب السياسي، فقد اختاروا للتحكيم من يضمن مصالحهم اللامشروعة (عمرو بن العاص) بينما اخترتم (أبو موسى الأشعري) من يتحرك ضد مصالحكم ومصالح المسلمين، فهلموا وتلافوا أخطاءكم: «أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِنَفْسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لِنَفْسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ».

ثم خاض عليه السلام في التعريف بأبي موسى الأشعري وركز على آخر فتنه دون الإشارة إلى سوابقه السيئة فقال: «وَأَنَا مَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ:

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٢٨

«إِنَّهَا فِتْنَةٌ»، فَقَطُّعُوا أَوْ تَارَكُمُ [٧٧٧]، وَشِيمُوا [٧٧٨] سُبُوفِكُمْ».

ثم واصل عليه السلام كلامه قائلاً: «فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التَّهْمَةُ».

الطريف ما أورده المرحوم ابن ميثم في شرحه لنهج البلاغة عن سويد بن غفلة أنه قال: كنت مع أبي موسى الأشعري على شاطئ الفرات في خلافة عثمان فروى لي خبراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعته يقول: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَزَلِ الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكماًين ضالين ضللاً وأضللاً من أتبعهما»، فقلت له:

احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما! قال: فخلع قميصه، وقال: أبرأ إلى الله من ذلك كما أبرأ من قميصي هذا [٧٧٩].

ويريد بذلك أنه لا يقبل التحكيم ويتبرأ منه، ولكنه قبل وحكم وأضل الناس مع عمرو بن العاص، وبذلك صدق رسول الله صلى الله عليه وآله في كلامه هذا وما تنبأ به بإعجاز عن قوله (ضالين ضللاً وأضللاً من أتبعهما).

وعقب كل هذا التحليل الدقيق اقترح على صحبه اقتراحاً نافعاً، وقال: «فَادْفَعُوا فِي صِدْرِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهَلَّ الْأَيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِي [٧٨٠] الْأَسْلَامِ».

ثم اختتم عليه السلام كلامه بهدف خلق الدافع لديهم وإثارة حسهم الديني والإنساني فقال: «أَلَا تَرَوْنَ إِلَيَّ بِلَادِكُمْ تُعْزَى وَإِلَيَّ صَفَاتِكُمْ [٧٨١] تُزْمَى؟».

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٢٩

حقاً لم يكن أبو موسى الأشعري الأبله من يسعه مواجهة الماكر عمرو بن العاص وكان أفضل من يسعه مواجهته رجل قوى وواع كابن عباس، إلا أن مؤامرات معاوية وبعض الخونة من بطانة الإمام عليه السلام حالت دون ذلك.

كتب الكاتب الإسلامي المصري عبدالكريم الخطيب في كتابه «على بن أبي طالب»: وكان الإمام قد أعد ابن عباس ليلقى عمرو بن العاص، ولكن أصحاب الإمام اختلفوا عليه، وكان الأشعث بن قيس (المنافق) رأس الجماعة التي نازعت في اختيار ابن عباس، والأشعث هو الذي مهد التحكيم، وأكرهه هو وقومه علياً على قبوله .. ولا شك أن الصلة كانت قد توثقت بين معاوية والأشعث.

وهذا الذي سجله الخطيب يتفق تماماً مع ما نقلناه عن كتاب (علي وبنوه) لطف حسين في شرح الخطبة ١٩، ج ١، ص ١٥٢: من أن الأشعث وابن العاص قد دبرا رفع المصاحف واختاروا الحكيمين سلفاً [٧٨٢].

ثم ذكر المرحوم مغنية جانباً آخر من كلام عبدالكريم الخطيب في كتابه: «كان ابن العاص صاحب مصلحة في أي خير يصيبه معاوية من التحكيم، لأن الصك بملك مصر في يده .. وليس لابن عباس شيء أن خلصت الخلافة لعلّي، وهل لأحد مع علي مطمع؟ إن كل

الذين يعملون مع علي يعملون لله لا له، فليس لهم عنده يد يرجون المثوبة عليها ولا من الله، فماذا يخشى القوم من ابن عباس إذن؟ إنهم لا يخشون إلا أن يرفع ابن العاص عن كيد مارد لا يفتن إليه إلا لرجل أوتي مثل ما أوتي ابن عباس من ألمعية وذكاء [٧٨٣]. نهاية

معركة صفين عن طريق رفع المصاحف على أسنة الرماح على هامش هزيمة جيش معاوية ومن ثم قضية التحكيم، لمن أفجع حوادث التاريخ الإسلامي، وكانت معاناة الإمام عليه السلام ومصابه بذلك بما لا يمكن وصفه والذي حصل من قبل جماعة ذنوبه بعيدة عن

الإيمان والتقوى. [٧٨٤]

نفحات الولاية؛ ج ٨؛ ص ٤٢٩

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٣١

## الخطبة ٢٣٩

### إشارة

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله (٧٨٥)

### نظرة إلى الخطبة

الخطبة في الواقع قسم واحد ومحورها فضائل أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم الرفيعة في الأمة الإسلامية وإدراكهم الصحيح للدين وبالتالي ضرورة إتباعهم وعدم مخالفتهم.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٣٣

هُم عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ. يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصِمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ، لَأَيَّ خَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ.

وَهُمْ دَعَائِمُ الْأَسْلَامِ، وَوَلَايَةُ الْأَعْيَانِ. بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَأَنْزَاحَ الْبَاطِلِ عَنْ مَقَامِهِ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنِّيَّتِهِ. عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَعَايَةً وَرِعَايَةً، لَأَعْقَلَ سَمَاعٍ وَرَوَايَةٍ. فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ.

### الشرح والتفسير: آل محمد أركان الدين

ذكر عليه السلام في هذه الخطبة الموجزة اثنتي عشرة فضيلة لأهل البيت عليهم السلام تثبت عظم منزلتهم وتسوق مخاطبيه لاتباعهم. وهي الصفات التي تستوعب فضائل الإنسانية وتنطوي على مواصفات القيادة.

قال في الصفة الأولى والثانية: «هُم عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ»، فقد شبه عليه السلام العلم والجهل هنا بكائنين حيين وأن آل محمد يهبون العلم الحياة ويميتون الجهل وبعبارة أخرى هم روح العلم وعنصر موت الجهل.

وهذا هو الحديث المعروف الذي ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «أَهْلُ بَيْتِي كَالنُّجُومِ بَأْيِهِمْ أَقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ» [٧٨٦].

كما ورد في رواية أخرى عن ابن عباس أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «النُّجُومُ أَمَانٌ

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٣٤

لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْعَرْقِ وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي مِنَ الْأَخْتِلَافِ فَإِذَا خَالَفَتْهَا قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ اخْتَلَفُوا فَصَارُوا حِزْبَ إِبْلِيسَ» [٧٨٧].

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث صفات أخرى فقال: «يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصِمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ».

تشير العبارة «يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ» إلى علاقته وثيقته بين العلم والحلم، فالجاهل ليس حليماً وسرعان ما يغضب إزاء الأحداث

المختلفة وما يطرح عليه من سؤال؛ أما العالم فحليم إزاء ذلك، وكذلك العلاقة بين الظاهر والباطن حيث إن حسن الظاهر في الغالب

والسلوك والتصرف يدل على حسن الباطن، وهكذا علاقة الصمت الذي يكشفه المنطق الحكيم وقد دلت التجربة على أن من قل

كلامه كان أكثر دقة وصواباً في الكلام كما ورد في الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَيِّمًا مَوْتًا

فَاذُنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقَى الْحِكْمَةَ» [٧٨٨].

ثم قال في الصفه السادسة والسابعة: «لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ».

ودليل ذلك واضح، فلهم من جانب مقام العصمة ومن جانب آخر الإحاطة التامة بأحكام الله والوحى والسنة، ومن كان كذلك فلا ينطلق خلاف الحق ولا يختلف فيه.

جاء في الحديث النبوي المعروف: «عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَهُ وَعَلَى لِسَانِهِ وَالْحَقُّ يَدُورُ حَيْثُ مَا دَارَ عَلِيٌّ».

وقرأ بتعبير آخر في نفس الحديث قال صلى الله عليه وآله: «عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْقُرْآنِ، وَالْحَقُّ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ» [٧٨٩].

ونعلم أن أئمة العصمة من ولد على عليه السلام ورثة علمه، ومن هنا فإنهم لا يحدون

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٣٥

قط عن الحق.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كِتَابَ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَا قَلْبُكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدُكُمْ وَفَضْلٌ مَا بَيْنَكُمْ وَنَحْنُ نَعْلَمُهُ» [٧٩٠].

فكيف يمكنهم الاختلاف في الحق. فالاختلاف علامة الجهل، ومن كان عالماً بكل هذه الأمور يستحيل عليه الاختلاف.

ثم ذكر صفتهم الثامنة والتاسعة فقال: «وَهُمْ دَعَائِمُ الْأَسْلَامِ، وَوَلَائِحُ [٧٩١] الْأَعْتِصَامِ».

وهكذا فالدين كالخيمة وأوتادها آل محمد، وكما تنهار الخيمة إذا زالت الأوتاد، فإن نحينا آل محمد عن الإسلام وقرأناه دونهم، إنهارت فروعه وأصوله.

وواصل عليه السلام كلامه ببيان الصفات الثلاث الأخيرة فقال: «بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ [٧٩٢]، وَاتَّزَحَ [٧٩٣] الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنَبَتِهِ».

تشير هذه العبارة إلى الانحرافات التي حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لاسيما على عهد الخليفة الثالث، فقد أصبح بيت مال المسلمين لعبة بيد فئة من المتكالبين على الدنيا ومن بنى أمة - ومنهم عدو الإسلام الأول، أي أبو سفيان - تسلّموا المناصب الحساسة في الحكومة الإسلامية ففعلوا كل ما استطاعوا فعله وكانت نتيجة ذلك الثورة على الخليفة والتي أطاحت به وبيطنته [٧٩٤] بمرأى ومسمع المهاجرين والأنصار دون أن يدافعوا عنه.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٣٦

ولكن حين تسلّم الإمام على عليه السلام زمام الأمور عاد الحق إلى نصابه ونحى أتباع الباطل ولم يجرؤ أحد على الدفاع عن الوضع السابق ويصادر حقوق الطبقات المستضعفة والمحرومة ويغدها على طلاب الدنيا وذوى الأطماع. ولا يقتصر هذا الأمر على أمير المؤمنين عليه السلام بل لو تسلّم أئمة أهل البيت عليهم السلام مقاليد الأمور لا تبعوا ذلك النهج بفضل عصمتهم التي يستدل عليها بعدة أدلة ومنها حديث الثقلين.

ثم اختتم الكلام بذكر صفتهم الأخيرة فقال عليه السلام: «عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَعَايَهُ [٧٩٥] وَرَعَايَهُ، لَأَعْقَلَ سَمَاعٍ وَرَوَايَهُ. فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرَعَايَتَهُ [٧٩٦] قَلِيلٌ».

قطعا العلم بالدين له مراتب كالعلم بأى أمر آخر، المرحلة الأولى سماع ونقل الألفاظ والمرحلة الثانية فهم المعنى وإدراك المضمون والمرحلة الثالثة الإيمان واليقين العميق الذى ينفذ فى جميع كيان الإنسان ويسوقه للعمل، وأهل البيت عليهم السلام فى ذروة المرحلة الثالثة ومن هنا أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وأكد على الأمة بالتمسك بالقرآن وأهل البيت من بعده ليأمنوا الضلال والغى.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٣٧

## إشارة

قَالَ لَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ؛ وَقَدْ جَاءَهُ بِرِسَالَتِهِ مِنْ عُثْمَانَ، وَهُوَ مَحْضُورٌ يَسْأَلُهُ فِيهَا الْخُرُوجَ إِلَى مَالِهِ يَبْتَئِعُ، لِيُقَلَّ هَتْفَ [٧٩٧] النَّاسِ بِاسْمِهِ خِلَافَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [٧٩٨]

## نظرة إلى الخطبة

مضمون هذه الخطبة واضح. فلما حاصر المسلمون عثمان في بيته سنة ٣٥ هـ وطالبوا بعزله من الخلافة، هتفت الجماعة أن الخلافة حق على بن أبي طالب، فرأى عثمان ابعاد على عليه السلام عن المدينة لمصادرة ذلك الهتاف، لذلك اقترحه على الإمام عليه السلام هذا في الوقت الذي اقترحه سابقاً على الإمام عليه السلام ففعل.

ثم كتب للإمام عليه السلام بالعودة والدفاع عنه. فلما عاد اقترح عليه التوجه إلى ينبع.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٣٨

فقال عليه السلام هذا الكلام: ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً فأقدم إن كانت مصلحته في ذلك أو أخرج.

\*\*\*

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٣٩

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغَرْبِ: أَقْبَلْ وَأَذْبِرْ! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أُخْرَجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أُخْرَجَ! وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا.

## الشرح والتفسير: خطأ آخر من أخطاء عثمان

قضية قيام المسلمين على عثمان، إحدى القصص الأساسية المؤسفة في صدر الإسلام. فكانت تلك الحركة طبيعية جداً خلافاً لما يظنه المتعصبون، فعثمان سلم جماعة من بنى أمية وقرباته الذين لم يكونوا من الصالحين، مناصب حساسة في الدولة الإسلامية، ومن جانب آخر تصرف في بيت المال كما يتصرف في أمواله الشخصية، فيهب بطانته ما يشاء، في حين كان أغلب المسلمين يعيشون الحرمان.

وقد عمّت أصداء هذين الفعلين المشينين كل مكان وأديا إلى تلك الانتفاضة العارمة على عثمان، وإن كان علم تلك الانتفاضة طائفة من المصريين وأهل الكوفة؛ إلا أن أهل المدينة تضامنوا معهم وصمت المهاجرون والأنصار ولم يهتّب للدفاع عنه سوى على عليه السلام، فالإمام عليه السلام وإن كان من أشد الناقمين على أفعال عثمان، لكنه لا يرى في قتله مصلحة للامة الإسلامية.

على كل حال، كتب عثمان عدّة كتب متناقضة للإمام عليه السلام طلب منه أولاً الخروج من المدينة إلى ينبع، ثم طلب منه العودة، ثم كتب له أخيراً بالخروج من المدينة، وسبب ذلك التناقض أنه ظنّ بادي الأمر بأن بقاء الإمام عليه السلام في المدينة مدعاة

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٤٠

لتشجيع المسلمين على عزله ومبايعه الإمام عليه السلام للخلافة.

ثم خرج الإمام من المدينة، شعر عثمان أنه لا يسع أحد الدفاع عنه سوى على عليه السلام وينقذه من أيدي الناقمين ولذلك طلب منه الرجوع إلى المدينة، وحين بلغه أن المسلمين هتفوا بالبيعة للإمام عليه السلام استولى عليه الخوف، فطلب من الإمام عليه السلام

الخروج مرّة أخرى من المدينة، ولما كان حامل الكتاب هذه المرّة ابن عباس، خاطبه الإمام عليه السلام قائل: «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا» [٧٩٩] بِالْعَرَبِ [٨٠٠]: أَقْبَلُ وَأَذْبِرُ!». .

ثم أضاف عليه السلام قائلاً: «بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أُخْرَجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أُخْرَجَ!». .

وتشير هذه القضية إلى أن ضغوط المسلمين كانت على درجته من الشدة بحيث ارتبك عثمان وكان كل لحظة يتخذ قراراً وقد غفل فوات الأوان وقد انتهى عهد حكمه ولن يقبل المسلمون له عذراً فرأى نفسه مضطراً هنا للتعامل مع علي الذي لا تخفى مكانته عند الله ورسوله والمسلمين.

الطريف أن عثمان لم يصدر مثل هذه الأوامر المتناقضة مع أحد آخر، فلم يكن للآخرين مثل ذلك الدور في الوسط الإسلامي فكان حضورهم وغيابهم سيان في التأثير.

ثم أشار عليه السلام في الختام إلى قضية مهمّة في أنه بذل أقصى جهده في الدفاع عن عثمان؛ الأمر الذي لم يفعله غيره ولا يسعه فعله فقال: «وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا».

لعل هذه العبارة إشارة إلى أن الدفاع أكثر من الحد عن ارتكب تلك الأفعال نوع من دعم الظلم وهو عمل غير جائز، هذا أفضل تعبير يمكن ذكره للعبارة السابقة

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٤١

وإن ذكر ابن أبي الحديد وابن ميثم في شرحهما احتمالين آخرين؛ الأول قوله عليه السلام:

(لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً)، لأنّ الوقوف بوجه أولئك الذين قاموا عليه ربّما يدعوهم للهجوم علىّ فينالون منّي وهذا ذنب، الآخر: أخشى أن يؤدي دفاعي إلى بثّ الفرقة والخلاف فيصاب البعض بالأذى وهذا ذنب أيضاً، ولكن من الواضح أن أيّاً من هذين الاحتمالين لا يناسب العبارة.

ورد في «العقد الفريد» أن ابن عباس قال: أرسل إليّ عثمان فقال لي: اكفني ابن عمك، فقلت: إنّ ابن عمي ليس بالرجل يرى له، ولكنه يرى لنفسه، فأرسلني إليه بما أحببت، قال: قل له: فليخرج إلى ماله يبيع، فلا- أغتم به ولا- يغمّ بي، فأتيته فأخبرته، فقال: ما اتّخذني عثمان إلّاناضحاً، ثم أنشد:

فَكَيْفَ بِهِ أَنِّي أَدَاوِي جِرَاحَهُ فَيُدَوِي فَلَا مَلَّ الدَّوَاءِ وَلَا الدَّاءِ

إلى أن قال: فخرج على عليه السلام إلى يبيع، فكتب إليه عثمان حين إشتدّ عليه الأمر، أمّا بعد، فقد بلغ السيل الزبي وجاوز الحزام الطيبين، وطمع فيّ من كان يضعف عن نفسه، فأقبل إليّ، وكن لي أم عليّ صديقاً أم عدوّاً [٨٠١].

ويؤيد هذا الكلام ما ذكره السيد الرضى أن عثمان تناقض في أوامره حين أربكه قيام المسلمين الكبير عليه.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٤٣

## الخطبة ٢٤١

### إشارة

يَحْتُّ بِهِ أَصْحَابُهُ عَلَى الْجِهَادِ [٨٠٢]

### نظرة إلى الخطبة

هدف الإمام عليه السلام كما يتضح من الخطبة حث أصحابه على الجهاد، لكنه أورد أموراً دقيقة بعبارات موجزة تعكس عمق تدبيره للقضايا المتعلقة بالحكومة والجهاد.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٤٥

وَاللّٰهُ مُسَيِّدٌ تَأْتِيكُمْ شُكْرُهُ وَمُورِثُكُمْ أَمْرُهُ، وَمُمَهِّلُكُمْ فِي مَضْمَارٍ مَّحْدُودٍ، لِتَنْتَازِعُوا سَبَقَهُ، فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ، وَاطُّوْا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ، وَلَا تَجْتَمِعْ عَزِيْمَةٌ وَوَلِيْمَةٌ. مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمَحَى الظُّلْمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!

### الشرح والتفسير: شَمروا واستعدوا للجهاد

صرح صاحب «تمام نهج البلاغة» الذي ألف لجمع وإكمال الخطب التي جمعها المرحوم الرضى فى «نهج البلاغة» أن الإمام عليه السلام خطبها يوم صَفِين ٨٠٣] ومضمون الخطبة يناسب هذا المعنى.

على كل حال فقد وعظ الإمام عليه السلام مخاطبيه بثلاث عبارات قصيرة لسماع رسالة الجهاد فقال: «وَاللّٰهُ مُسَيِّدٌ تَأْتِيكُمْ شُكْرُهُ وَمُورِثُكُمْ أَمْرُهُ، وَمُمَهِّلُكُمْ فِي مَضْمَارٍ مَّحْدُودٍ، لِتَنْتَازِعُوا سَبَقَهُ [٨٠٧]».

ورغم أن الشكر ذكر بصورة مطلقة فى هذه العبارة ومنسجمة مع إطلاقاته فى القرآن الكريم مثل: «وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» [٨٠٨] ولكن يبدو هدف الإمام عليه السلام بيان

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٤٦

الشكر الحكومى الذى أودعه الله الصالحين فى عصره عليه السلام ويؤكد ذلك العبارة الثانية «وَمُورِثُكُمْ أَمْرُهُ».

فالأمر هنا بمعنى أمر الحكومة. ويتضح من هنا كيفية مناسبة الشكر للحث على الجهاد، لأن الجهاد الخالص والباسل تحفظه حكومة الصالحين وحفظ النعمة والانتفاع بها مساوٍ لشكرها.

العبارة «وَمُمَهِّلُكُمْ فِي مَضْمَارٍ مَّحْدُودٍ...» إشارة لما ورد فى سائر خطب نهج البلاغة أنه عليه السلام قال: «أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَعَدَّ السَّبَاقَ وَالسَّبَقُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ» [٨٠٩].

ثم اتجه الإمام عليه السلام صوب ذى المقدمة والنتيجة فقال: «فَشُدُّوا عُقَدَ [٨١٠] الْمَآزِرِ [٨١١]، وَاطُّوْا [٨١٢] فُضُولَ الْخَوَاصِرِ [٨١٣]». فالعبارتان «فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ، وَاطُّوْا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ» كناية عن الاستعداد التام للقيام بالعمل، لأن الشخص الذى يحكم محزومه يقوى عموده الفقري على الإتيان بالأعمال الشاقة، كما تسهل عليه الحركة والانتقال إن جمع ثوبه ووضع تحت حزامه والذى كان عريضاً آنذاك، حتى اليوم الذى غاب فيه الثوب الطويل عن الرجال ما زال القول المتداول أن فلاناً شَمَّرَ عن ثياب الهمة ليفعل كذا. كما لم يستبعد بعض شراح نهج البلاغة أن المراد من العبارة «وَاطُّوْا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ» ترك النهم فى الطعام وترهل البدن، إلّا أن التفسير الأول أنسب.

نفحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٤٧

ثم حذر الإمام عليه السلام مخاطبيه بثلاث عبارات عميقة المعنى وفضيحة وبلغية وأوضح لهم سبيل الانتصار فقال عليه السلام بادي الأمر: «وَلَا تَجْتَمِعْ عَزِيْمَةٌ وَوَلِيْمَةٌ [٨١٤]».

وقال عليه السلام: «مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ».

وقال عليه السلام: «وَأَمَحَى الظُّلْمَ [٨١٥] لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!».

حيث أشار عليه السلام فى هذه العبارة الموجزة والعظيمة المضمون إلى بضعة أمور مهمة للموفقية فى الحياة والإدارة منها:

١. التحلى بالاستعداد على الدوام ومهما كانت الظروف أو حسب تعبير الإمام شدوا المآزر ...

٢. مقاطعة الترف والدعة التى لا تؤدى سوى إلى الضعف والكسل.



٣. مواجهته دواعي النسيان التي تجعل الإنسان ضعيفاً وذليلاً ومسلوب المنهج.

٤. الارتقاء بمستوى الهمة ومكافحة كل ما يضعفها ويهبطها.

فإن راعى مدرء المجتمعات الإسلامية هذه الوصايا الأربع سينتغلبون قطعاً على جميع المشاكل.

### تأمل: آفات النهم والترف

ما ورد في الخطبة بهذا الشأن مما ذكر مسهب في الروايات. عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا تُمَيِّتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ الْقُلُوبَ تَمُوتُ كَالزُّرُوعِ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهَا الْمَاءُ» [٨١٧].

كما قال صلى الله عليه وآله: «الْقَلْبُ يَمُحُّ الْحِكْمَةَ عِنْدَ امْتِلَاءِ الْبَطْنِ» [٨١٨].

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٤٨

وقال عليه السلام: «مَنْ قَلَّ أَكَلُهُ صَفَا فِكْرُهُ» [٨١٩].

وأخيراً قال في الحديث الرابع: «إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ الْمَطْعَمِ فَإِنَّهُ يَسِمُ الْقَلْبَ بِالْفَسْوَءِ وَيَبْطِئُهُ بِالْجَوَارِحِ لِلطَّاعَةِ وَيُصِمْ الْهَيْمَمَ عَنِ سَمَاعِ الْمُوعِظَةِ» [٨٢٠].

وجاء في رسالته أمير المؤمنين على عليه السلام إلى عثمان بن حنيف حين قيل له: كيف تقوى على الأعداء وهذا طعامك؟ فقال: «أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرْيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً وَالرَّوَاتِحَ الْخَضِرَةَ أَرْقُ جُلُوداً وَالتَّبَاتَاتِ الْغُدِيَّةَ أَقْوَى وَقُوداً» [٨٢١].

وتعبير الإمام بالوليمة لا تقتصر على الطعام والشراب وهي كناية عن مطلق اللذة والمتعة، أنشد المتنبى بهذا الخصوص:

بِقَدْرِ الْكُدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي

تَرُومُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يُعْوِصُ الْبُحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّتَالِي

وسيرة مختلف الأقسام تؤيد ما ورد في هذه الروايات والخطبة المذكورة، فالأقوام المثابرة والمجتهدة بلغت ذروة الاقتدار في العالم؛ أما تلك الكسله والمتعاسه كانت متخلفة وفاشله.

\*\*\*

وأخيراً حيث اختتمت الخطب بهذه الخطبة فقد قال الرضى: وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَالْعُرُوءِ الْوُثْقَى وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

ونحمد الله الذى وفقنا بعد أربع عشرة سنة من عمل دؤوب باختتام شرح خطب نهج البلاغه التى تعتبر أهم أجزاء نهج البلاغه بما يقارب ثلثيه.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٤٩

### خصائص هذا الشرح

١. شرح وتفسير جميع فصول وفقرات كل خطبة خلافاً لما ورد في أغلب الشروح التى تقتصر على الأقسام المطلوبة.

٢. إرتباط عبارات وأقسام الخطبة وصلتها الوثيقة والمنطقية مع بعضها والتى اغمض عنها فى أغلب الشروح، ففسروا كل قسم بصورة مستقلة دون الالتفات لارتباطها بما قبلها وبعدها.

٣. التركيز على الروح الحاكمة لجميع الخطبة وجميع الأبحاث فى إطارها وغض النظر عن المطالب الهامشية غير المرتبطة بالخطبة وإن كان يثير الوسواس.

٤. إرساء التأسيس للأصل فى تفسير العبارات؛ أى، استفادة مفهوم مستقل لكل عبارة خلافاً لما يشاهد فى بعض الشروح، حيث

يعتبرون العبارات المتشابهة تأكيداً وينحون اختلافاتها.

٥. إضافة مواضع تكميلية مرتبطة بالخطبة بصورة منفصلة تحت عنوان (تأملات) بما فيها المسائل التاريخية والأخلاقية والاجتماعية والعقائدية و ....

٦. ذكر اسناد الخطبة بالاستفادة من المصادر التي بحثت اسناد نهج البلاغة.

٧. ذكر جوّ و خلاصة كلّ خطبة في مستهلّ البحث تحت عنوان (نظرة إلى الخطبة).

٨. ذكر معاني المفردات الصعبة في الحاشية بالاضافة إلى جذورها ومعانيها الأصلية والفرعية.

نقحات الولاية، ج ٨، ص: ٤٥٠

٩. تناول الشرح بصورة مبسطة بما يخدم عامة الناس دون الهبوط بمستوى المواضيع.

١٠. الالتفات إلى المطالب المهمة التي وردت في الشرح من خلال قبولها أو نقدها أو إكمالها.

١١. والغاية الأساسية من هذا الشرح، هي أن يكون قابلاً للاستفادة للجميع للخاص والعام والعالم والعامي، وكل يستفيد منه بحسب طاقته وقدرته العلميّة وفهم وإداركه.

[١] (١). سند الخطبة:

نقل هذه الخطبة كثير من علماء الإسلام الذين عاشوا قبل وبعد السيد الرضى بشكل مرسل أو مسند، ويمكن ذكر أربعة أشخاص من

الذين الذين عاشوا قبل السيد الرضى وهم:

(أ) نقل أحمد بن محمد بن خالد البرقي في كتابه «المحاسن» قسماً من هذه الخطبة.

(ب) أوردتها النعماني في كتابه «الغيبة» بسندين.

(ج) ذكرها الطبري من علماء الإمامية في كتاب «المسترشد».

(د) أوردتها الشيخ المفيد في كتابه «الإرشاد».

[٢] (١). سورة الشعراء، الآية ١٥٧.

[٣] (٢). «شيع» على وزن «علل» لها معنى مصدرى وتعنى الشيع بصورة تامة.

[٤] (١). «السخط» ضدّ الرضا بمعنى الغضب.

[٥] (٢). زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام.

[٦] (١). وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤١٠، ح ٤.

[٧] (٢). «عقر» من «العقر» على وزن «قفل» تعنى فى الأصل أساس الشىء وإن استعملت فى الحيوان عنت البقر قطع أسفل الرجل

وصرعه، كما تعنى نحر الناقة.

[٨] (٣). سورة الشعراء، الآية ١٥٧.

[٩] (١). «خارت» من «الخوار» على وزن «غبار» صوتت كخوار الثور والناقة وماشابه ذلك وخواره صيغة مبالغتها.

[١٠] (٢). «السكّة» الحديدية والمحراث.

[١١] (٣). «محماة» اسم مفعول من مادة «احماء» وضع الشىء على النار وتطلق «محماة» على الشىء الذى يحمى بالنار.

[١٢] (٤). «تبه» الوادى الجاف كما وردت بمعنى الحَيْرَة.

[١٣] (١). سند الخطبة:

قال ابن أبى الحديد فى «شرح نهج البلاغة» أن تعبير السيد الرضى عن فاطمة الزهراء عليها السلام بـ «سيده نساء العالمين» اقتباس من خبر متواتر روى عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بهذه العبارة أو عبارة أخرى تفيد نفس المعنى.

وقال صاحب «مصادر نهج البلاغة» بعد نقله لهذا الكلام: إن هذا الحديث (حديث سيده نساء العالمين) متواتر عند علماء الإمامية؛ بل يعد جزءاً من عقائدهم. ثم روى عدّة روايات عن العامة بهذا الخصوص.

أمّا من روى هذه الخطبة من العلماء الذين عاشوا قبل السيد الرضى، فهم كلّ من المرحوم الكلينى فى الجزء الأوّل من كتاب «الكافى» (بعبارات أكثر ممّا أوردها السيد الرضى) والشيخ المفيد فى كتاب «المجالس» ورواتها طائفة أخرى ممن عاش بعد السيد الرضى مع اختلافات تفيد أنّهم استقوها من مصادر أخرى غير «نهج البلاغة»؛ مثل الطبرى فى «دلائل الإمامة» والشيخ الطوسى فى «الأمالى» وسبط ابن الجوزى فى «تذكرة الخواص» الذين ذكروا دفن الزهراء والأشعار التى أنشدها على عليه السلام فى وداعها. ثم نقل الكلام المذكور مع بعض الإضافات. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٣-٩٨).

[١٤] (٢). الجدير بالذكر أنّ الضمير فى «عند قبره» ورد بصيغة المذكر حيث يعود إلى النبى الأكرم صلى الله عليه وآله ويقول: إنّه قال هذا الكلام حين دفن فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا يعنى أنّ السيد الرضى يرى أنّ قبر الزهراء عليها السلام عند قبر النبى الأكرم صلى الله عليه وآله.

[١٥] (١). سورة البقرة، الآية ١٥٦.

[١٦] (١). الكافى، ج ١، ص ٤٦١، باب مولد الزهراء عليها السلام، ح ٩.

[١٧] (٢). «صفيّة» من مادة «صفو» على وزن «عفو» بمعنى الصافى والظاهر وصفى بمعنى المصطفى. وقد ذكر الإمام عليه السلام بنت النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بصفتها صفيّة ليعكس علو شأنها وجلالة قدرها.

[١٨] (٣). «تجلّد» من مادة «جلد»، على وزن «بلد» و«جلادة» التى تعنى الصبر والاستقامة و«تجلّد» هنا إشارة إلى التحمل والصبر على المصيبة.

[١٩] (٤). «تأسى» تأتى أحياناً بمعنى الاقتداء وأحياناً أخرى بمعنى الاغتمام والمعنى الثانى هنا أنسب، لأنّ الكلام عن الهم والغم والحزن وليس الاقتداء، وإن ذهب بعض الشراح إلى المعنى الأوّل ويبدو أنّ سبب خطأهم ما تعارف عليه فى الاستعمالات المتداولة.

[٢٠] (١). «فادح» من مادة «فدح»، على وزن «فتح» بمعنى المثقل وتعنى هنا المصيبة الجليلة.

[٢١] (٢). «تعزّى» أو «تعزّى» بمعنى الصبر على المصيبة ومادته «عزاء».

[٢٢] (٣). بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٧٣، ح ١٤. كما ورد هذا الحديث فى مصادر العامة؛ مثل كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٦٢٣، ح ١٠٦٧.

[٢٣] (٤). «وسد» من «وسادة»؛ التى تعنى هنا وضع الوسادة تحت الرأس.

[٢٤] (٥). «ملحودة» من مادة «لحد» على وزن «عهد» بمعنى الشق الذى يجعل فى جهة من القبر ويوضع داخله الميت حتى لا يصله التراب حين يمتلىء به القبر.

[٢٥] (١). سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١٤١؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٤١.

[٢٦] (٢). «سرمد» دائم وطويل ويطلق السرمدى أحياناً على الشىء الذى له بداية وليس له نهاية.

[٢٧] (٣). «مسيّه» من مادة «سهه» على وزن «صمد» بمعنى السهر وعدم النوم. جدير ذكره أنّ «مسيّه» وردت صفة للخبر «ليل» وقد قال الإمام عليه السلام أمّا ليلى فمسيه بدلاً من أن يقول أنا على هذه الحالة، وهذا فى الواقع يشعر بالتأكيد.

- [٢٨] (٤). بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٨٤، ح ٣١.
- [٢٩] (١). بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢١٣، ح ٤٤.
- [٣٠] (٢). «أحفها» من مادة «الإحفاء» بمعنى الإصرار في السؤال والاستخبار.
- [٣١] (١). «قال» من مادة «قلّى على وزن» وعى بمعنى المبغض ويطلق «قال» على الشخص المبغض لشيء.
- [٣٢] (٢). «سئم» من «السامة» على وزن «فلاحة» بمعنى الكسل والضجر ويطلق «سئم» على من يتصف بهذه الحالة.
- [٣٣] (٣). الكافي، ج ١، ص ٤٥٩، باب مولد فاطمة الزهراء عليها السلام.
- [٣٤] (١). فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ٨٤ وذكر البخاري هذا الحديث في قسم دلائل النبوة، ج ٦، ص ٤٩١، وأواخر المغازي، ج ٨، ص ١١٠.
- [٣٥] (٢). سورة التوبة، الآية ٦١.
- [٣٦] (٣). مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٥٤؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٠٣ وذكر الحاكم في كتاب المستدرک أحاديث جامعته الشرائط التي صرح بصحتها البخاري ومسلم.
- [٣٧] (٤). مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٥٦.
- [٣٨] (١). سورة النور، الآية ٣٦.
- [٣٩] (٢). الدر المنثور، ج ٦، ص ٢٠٣؛ تفسير سورة النور، روح المعاني، ج ١٨، ص ١٧٤.
- [٤٠] (٣). الدر المنثور، ج ٦، ص ٦٠٦.
- [٤١] (٤). سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
- [٤٢] (١). المصنف لأبن أبي شيبة، ج ٨، ص ٥٧٢، كتاب المغازي.
- [٤٣] (١). أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٨٦، طبع دار المعارف، القاهرة.
- [٤٤] (٢). الأعلام للزركلي، ج ٤، ص ١٣٧.
- [٤٥] (٣). الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ص ١٢، مطبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- [٤٦] (٤). المصدر السابق، ص ١٣.
- [٤٧] (١). معجم المطبوعات العربية، ج ١، ص ٢١٢.
- [٤٨] (٢). تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٣، طبعه بيروت.
- [٤٩] (١). العقد الفريد، ج ٤، ص ٩٣، طبع مكتبة الهلال.
- [٥٠] (١). الأموال، الحاشية ٤، نشر الكليات الأزهرية، كذلك ص ١٤٤، طبعه بيروت، كما روى ذلك ابن عبد ربه في العقد الفريد، ج ٤، ص ٩٣ كما سيرد علينا.
- [٥١] (٢). ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ١٩٥.
- [٥٢] (٣). المعجم الكبير للطبراني، ج ١، ص ٦٢، ح ٣٤، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.
- [٥٣] (١). العقد الفريد، ج ٤، ص ٩٣، طبع مكتبة الهلال.
- [٥٤] (٢). الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٧، رقم ٢٤٤٤؛ الملل والنحل للشهرستاني، ج ١، ص ٥٧، طبع دارالمعرفة، بيروت وللوقوف على ترجمة النظام راجع كتاب «بحوث في الملل والنحل»، ج ٣، ص ٢٤٨-٢٥٥.
- [٥٥] (٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٦ و ٤٧، طبعه مصر.
- [٥٦] (١). مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٠١، مطبعة دار الأندلس، بيروت.

[٥٧] (٢). ميزان الاعتدال، ج ١، ص ١٣٩، العدد ٥٥٢.

[٥٨] (٣). عبدالفتاح عبدالمقصود، على بن أبي طالب، ج ٤، ص ٢٧٦ و ٢٧٧.

[٥٩] (١). الإمامة والخلافة، ص ١٦٠ و ١٦١، تأليف مقاتل بن عطية مع مقدمة الدكتور حامد داود، استاذ جامعة عين شمس، الذي طبع بالقاهرة (مطبعة بيروت، مؤسسه البلاغ).

[٦٠] (١). بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١٩٨، ح ١٨.

[٦١] (٢). من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٧٢.

[٦٢] (٣). عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٨، ح ٧٦.

[٦٣] (١). دلائل الإمامة، ص ١٣٤، ح ٤٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٧٠، ح ١١. كتب المرحوم العلامة المجلسي في الشرح في الصفحة ٢١٥ بعد الحديث ٤٧: «في الخبر الصحيح أنها عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً».

[٦٤] (٢). بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٧٠، ح ١١.

[٦٥] (٣). زاد المعاد، ص ٤٥٦.

[٦٦] (٤). كشف الغمة، ج ٢، ص ٧٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٧، ح ٨.

[٦٧] (١). سند الخطبة:

ذكر بعض العلماء قبل وبعد السيد الرضى، هذه الخطبة في كتبهم؛ فقد رواها قبل السيد الرضى، المرحوم الصدوق، في «الأمالي» و«عيون أخبار الرضا عليه السلام»، والمرحوم الشيخ المفيد في كتاب «الإرشاد» (الأمالي للصدوق، ص ١٧٢، ح ١٧٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٦٧، ح ٥٦؛ الإرشاد، ج ١، ص ٢٩٦) ورواها من بعد السيد الرضى (بدون الاستناد لنهج البلاغة) المرحوم الطبرسى في «مشكاة الأنوار» وورام بن أبي فراس في «مجموعة ورام» (مشكاة الأنوار، ص ٤٦٧؛ مجموعة ورام، ج ٢، ص ١٦٥). مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٨.

[٦٨] (١). «مجاز» من مادة «جواز» بمعنى العبور وأريد بها هنا الممر والعبور (وإن كان لها معنى مصدرى). ومن هنا يطلق المجاز في الكلام كون المتكلم يتجاوز المعنى الحقيقي ويظفر بمعنى آخر يناسبه.

[٦٩] (٢). بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣١٩، ح ٢١.

[٧٠] (٣). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ١٣١.

[٧١] (١). روى هذا الحديث في عوالي اللئالى، ج ١، ص ٢٦٧، ح ٦٦ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

[٧٢] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٢٧٩، ح ٩.

[٧٣] (١). سورة العنكبوت، الآيتان ٢ و ٣.

[٧٤] (١). ظاهر هذه الجملة بصيغة مبتدأ وخبر، أى أن آباءكم لله ويلزم من ذلك رحمة الله عليهما.

[٧٥] (٢). سورة النحل، الآية ٩٦.

[٧٦] (٣). سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

[٧٧] (٤). الكافي، ج ٥، ص ٦٧، ح ١.

[٧٨] (٥). سورة البقرة، الآية ١٦٧.

[٧٩] (٦). الكافي، ج ٤، ص ٤٢.

[٨٠] (١). سند الخطبة:

ذكر هذه الخطبة عدد من الضالعين في العلوم الإسلامية ممن عاش قبل السيد الرضى وبعده، ومنهم المرحوم الصدوق في كتابه»

الأمالى»، المجلس الخامس والسبعين (أمالى الصدوق، ص ٥٨٨، ح ٨١٠). كما رواها الشيخ المفيد فى «المجالس» مرفوعة للإمام الباقر عليه السلام (أمالى المفيد، ص ١٩٩، ح ٣٢) وبعض الإضافات فى كتاب «الإرشاد» (الإرشاد، ج ١، ص ٢٣٤)، ورواها المرحوم الطبرسى فى «المشكاة» (مشكاة الأنوار، ص ٥٢٤) وبالنظر لبعض الاختلافات مع ما نقله الرضى يتضح أنها اقتبست من طرق أخرى. مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٩.

[٨١] (١). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٣٨٢، ح ٧.

[٨٢] (٢). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ١٣٢.

[٨٣] (٣). «حضرت» بمعنى «الحضور» وهى هنا إشارة إلى الفرص التى تنتظر الإنسان. واستعمال هذه المفردة بشأن العظام كونه لا يريد خطابهم، بل يلتفت إلى حضورهم.

[٨٤] (٤). «كؤود» من مادة «كأد» بمعنى الشدة والصعوبة وعقبة «كؤود» صعبة العبور.

[٨٥] (٥). «مهولة» من مادة «هول» بمعنى الخوف و«مهول» اسم مفعول؛ يعنى مخيف.

[٨٦] (١). بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٢٦، ح ٣.

[٨٧] (٢). المصدر السابق، ص ١١١، ح ٤٢.

[٨٨] (٣). سورة البلد، الآيات ١١-١٦.

[٨٩] (٤). سورة طه، الآيات ١٠٥-١٠٧.

[٩٠] (٥). للوقوف على كلام المرحوم الشيخ المفيد والعلماء المجلسى راجع كتاب بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٢٩.

[٩١] (١). سورة الحج، الآيات ١ و ٢.

[٩٢] (٢). «ملاحظ» جمع «ملحظ» مصدر ميمى، بمعنى النظر أو النظر بطرف العين.

[٩٣] (٣). «متية» من مادة «منى» على وزن «سعى» بمعنى التقدير وتطلق هذه المفردة على الموت كونه مقدرًا على مصير الإنسان.

[٩٤] (٤). «دانية» بمعنى قريبة من مادة «دتو» على وزن «علو».

[٩٥] (٥). «مخالب» جمع «مخلب» أظافر الحيوانات أو الطيور.

[٩٦] (٦). «نشت» من مادة «نشب» على وزن «غصب» بمعنى الانغماس.

[٩٧] (٧). «دهمت» من مادة «دهم» بمعنى باغتت.

[٩٨] (٨). «مفطعات» جمع «مفطعة» بمعنى الحادثة الشديدة أكثر من اللازم.

[٩٩] (٩). «معضلات» جمع «معضلة»؛ يعنى الشىء الذى يجعل الإنسان فى غاية الضيق كما يقال المعضلة للطريق الضيق.

[١٠٠] (١٠). «استظهوروا» من «الاستظهار» بمعنى الاستعانة بالشخص أو الشىء، ومادته الأصلية «ظهر».

[١٠١] (١). سند الخطبة:

المصدر الوحيد الذى ذكر هذه الخطبة قبل السيد الرضى كما ورد فى «مصادر نهج البلاغة»، كتاب «نقض العثمانية» لأبى جعفر الاسكافى (م ٢٤٠) ويفهم من كلامه أنه لم يشاهد بنفسه هذا الكتاب؛ بل استفاده من كلام ابن أبى الحديد فى «شرح نهج البلاغة»، ج ٧، ص ٣٦-٤١. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٢) كما رواها المرحوم العلماء المجلسى فى بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٢١ عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبى الحديد.

[١٠٢] (١). «نقمتما» من مادة «نقم» على وزن «قلم» تعنى فى الأصل الإنكار على الشخص أو الشىء؛ سواء باللسان أو بالعمل عن طريق العقاب ومنه الانتقام ووردت هنا بمعنى الإنكار اللفظى.

[١٠٣] (٢). «أرجأتما» من «الإرجاء» بمعنى التأخير ومادتها الأصلية «رجاء» بمعنى الأمل وقد استعملت بهذا المعنى كون الإنسان يؤخر

العمل في أغلب المواقع بغية تحقيق الهدف.

[١٠٤] (٣). «استأثرت» من «الاستئثار» يعني خص النفس بالشىء الحسن. وفسرت أحياناً بالاستبداد والاحتكار ومادتها الأصلية «اثر» بمعنى العلامة.

[١٠٥] (١). «إربة» من مادة «أرب» على وزن «عرب» تعنى فى الأصل شدة الحاجة التى يجهد الإنسان من أجل قضائها.

[١٠٦] (١). راجع كتاب «العين» و«لسان العرب» و«مجمع البحرين» مادة «أسوء». قال المرحوم الطبرسى فى «مجمع البيان» فى ذيل الآية ٢١ من سورة الأحزاب: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»: «أى قدوة صالحة يقال: لى فى فلان أسوء. أى لى به إقتداء... اسم وضع موضع المصدر» وطبق هذا البيان «اسوء» بمعنى الإقتداء وله وضع الاسم المصدرى، ويشهد على ذلك تعبير القرآن: «فى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ» ولم يقل: «رسول الله اسوء»، وكان الإقتداء بشخص يوجد نوعاً من المساواة به فقد وردت اسوء بمعنى المساواة وهذا المراد بها فى هذه العبارة.

ومن هنا قال الإمام إتما اقتديت برسول الله صلى الله عليه وآله وعملت بسيرته.

[١٠٧] (١). «عتبى» من مادة «عتب» على وزن «خطب» تعنى فى الأصل الانزعاج الباطنى وإذا وردت فى باب الأفعال عنت إزالته هذا الإنزعاج وبما أن عتاب الطرف المقابل أحد أسباب إطفاء غضبه، فإن العتبي ترد بمعنى العتاب وهذا هو المعنى المراد بها فى العبارة. والإمام عليه السلام يقول لطلحة والزبير ليس لكما حق عتابى والإنكار على.

[١٠٨] (٢). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٣٧٦.

[١٠٩] (١). «الأراضى الخراجية» الأراضى التى تقع بيد المسلمين فى الفتوحات الإسلامية وتوضع تحت تصرف المزارعين ويؤخذ منهم بالمقابل ضرائب تدعى «الخراج» والذى يبدو كثيراً بالنظر لسعة تلك الأراضى.

[١١٠] (١). سورة الزخرف، الآية ٤٣.

[١١١] (١). سورة الحجرات، الآية ١٣.

[١١٢] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ٧، ص ٣٨-٤٣.

[١١٣] (٢). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ١٦١.

[١١٤] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١١، ص ١١-١٣.

[١١٥] (١). سند الخطبة:

رواه عدد من المحدثين والمؤرخين قبل السيد الرضى وبعده؛ مثل أبوحنيفة الدينورى فى كتاب «الأخبار الطوال» (ص ١٦٥) ونصر بن مزاحم فى كتاب «صفين» (ص ١٠٣) وسبط بن الجوزى فى «تذكرة الخواص» (ص ١٤٢) وغيرهم. مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٣.

[١١٦] (١). «احقن» من «الحقن» على وزن «الحمد» تعنى فى الأصل حفظ الشىء وإذا استعملت بشأن الدماء عنت منع إراقة الدماء.

[١١٧] (٢). «يرعوى» من «رعو» على وزن «رعد» بمعنى الامتناع والعودة عن الفعل. جدير ذكره أن المفردة «رعو» تستعمل أحياناً بصيغة الرباعى (رعوى على وزن دعوى وتفيد نفس المعنى السابق وقال بعض أرباب اللغة المفردة: «ارعوى» من المفردات النادرة ولم يشاهد مثلها فى صيغ الأفعال المعتلة. للمزيد راجع «لسان العرب» مادة «رعو».

[١١٨] (٣). «لهج» من مادة «لهج» على وزن «هرج» بمعنى التعلق والولع بالشىء والحرص عليه.

[١١٩] (١). راجع «المصباح المنير» و«لسان العرب». وروى هذا المعنى المرحوم المحقق الخوئى فى شرحه لنهج البلاغة.

[١٢٠] (٢). للوقوف على المزيد راجع الجزء الثالث من هذا الشرح.

[١٢١] (٣). الكافى، ج ٢، ص ٣٦٠، باب السباب، ح ٢ و ٣.

[١٢٢] (١). الكافي، ج ٢، ص ٣٦٠، باب السباب، ح ٢ و ٣.

[١٢٣] (٢). سورة ص، الآية ٧٨.

[١٢٤] (٣). سورة آل عمران، الآية ٨٧.

[١٢٥] (٤). سورة هود، الآية ١٨.

[١٢٦] (٥). سورة الرعد، الآية ٢٥.

[١٢٧] (٦). سورة البقرة، الآية ١٥٩.

[١٢٨] (١). سند الخطبة:

نقل الطبري في تاريخه في حوادث سنة ٣٧ للهجرة عبارة عن أمير المؤمنين على عليه السلام تشبه عبارة بعض هذا الكلام؛ لكن ليس في يوم صفيين بل في موضع آخر ويتضح من ذلك أن الإمام عليه السلام بين هذه العبارات في عدة مواضع. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٣).

[١٢٩] (١). «لا يهدني» من مادة «هد» على وزن «سد» تعني في الأصل الإنهدام والإنهيار المقرون بصوت شديد. ثم استعمل في الأمور المعنوية فاطلق على الحزن الذي يعكر روح الإنسان من قبيل ما ورد في العبارة المذكورة.

[١٣٠] (٢). «أنفس» من مادة «نفس» على وزن «فقس» بمعنى الشح وحفظ الشيء وعدم فقدان الأشياء النفيسة التي لا يريد الإنسان فقدانها بسهولة.

[١٣١] (١). لسان العرب، مادة «غلم».

[١٣٢] (١). سورة آل عمران، الآية ٦١.

[١٣٣] (١). سند الخطبة:

كان ممن رواها قبل المرحوم السيد الرضي، نصر بن مزاحم في كتاب «صفيين» (وقعه صفيين، ص ٤٨٤) وابن قتيبة الدينوري في «الامامة والسياسة» (ص ١٠٤) والمسعودي في «مروج الذهب» (ج ٢، ص ٤٠٠). (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٧).

[١٣٤] (١). «نهكتكم» من مادة «نهك» على وزن «سفك» تعني في الأصل التآكل والقدم وتستعمل في الموارد التي يتعب فيها الإنسان ويرهق.

[١٣٥] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٣٠ و ٣١.

[١٣٦] (٢). انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢١٤.

[١٣٧] (١). سند الخطبة:

وردت عدة مصادر ذكرت هذا الكلام ومنها الجزء الأول من أصول الكافي والجزء الأول من العقد الفريد والجزء الرابع من ربيع الأبرار واختصاص الشيخ المفيد وتبلييس إبليس لابن الجوزي وقوت القلوب لأبي طالب المكي (ورد جانب من هذه الخطبة في بعض هذه الكتب). وقد التفت لهذه الخطبة العديد من العلماء وذكروها في كتبهم لما تضمنته من جوانب تاريخية وأخلاقية وتربوية. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٨).

[١٣٨] (١). قال بعض شراح نهج البلاغة، إن الجملة «كنت» زائدة هنا، والحال ليس الأمر كذلك، بل مراد الإمام عليه السلام منها بيان الاستمرار، لأن مفهوم العبارة ما الذي استفدته من هذه الدار وكانت لك لحد الآن.

[١٣٩] (١). «تقرى» من «قراء» على وزن «عباء» خدمة الضيف.

[١٤٠] (٢). «تطلع» من «الطلع» بمعنى الظهور والبروز وتعني الاظهار من باب الإفعال.

[١٤١] (٣). سورة البقرة، الآية ١٨٠.



- [١٤٢] (٤). تفسير القمى، ج ٢، ص ٢٠٣؛ وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٤٧٦، ح ١٢٥٣٣.
- [١٤٣] (٥). الكافي، ج ٦، ص ٥٢٦، ح ٧ (باب سعة المنزل).
- [١٤٤] (١). بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ١٥٣، ح ٣٠.
- [١٤٥] (١). «استهام» من مادة «هيم» على وزن «غيم» الحيرة والاضطراب والسير نحو العث و«استهام بك الخبيث» أضلك الشيطان.
- [١٤٦] (١). سورة الأعراف، الآية ٣٢.
- [١٤٧] (٢). «جشوبة» الخشونة من مادة «جشب» على وزن «جسب» ويقال للخبز دون غيره «جشب».
- [١٤٨] (٣). «يتبيغ» من مادة «بيغ» على وزن «بيع» يهيج، ويأتى أحياناً بمعنى الكثرة والمعنى الأول هو المراد فى العبارة.
- [١٤٩] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١١، ص ٣٦ و ٣٧.
- [١٥٠] (٢). سورة البقرة، الآية ١٤٣.
- [١٥١] (١). سورة القصص، الآية ٧٧.
- [١٥٢] (٢). وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٧٦، كتاب التجارة، ابواب مقدماتها، باب ٢٨، ح ١.
- [١٥٣] (١). مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ٣٢٣، ح ١٤٢٠٥.
- [١٥٤] (٢). سفينة البحار، مادة «صوف».
- [١٥٥] (١). انظر كتاب: «تجلى الحق» للمؤلف وكتاب «ما يقول العارف والصوفى» لآية الله الميرزا جواد الطهرانى رحمه الله وكتاب «التعليم والتربية فى الإسلام» للشهيد العلامة مرتضى المطهرى رحمه الله وشرح نهج البلاغة للعلامة الخوئى رحمه الله «منهاج البراعة» ج ١٣ ذيل هذه الخطبة) من ص ١٣٢.
- [١٥٦] (١). سورة الأعراف، الآية ٣٢.
- [١٥٧] (٢). سورة الأعراف، الآية ١٥٧.
- [١٥٨] (١). سند الخطبة:
- ذكر صاحب «مصادر نهج البلاغة» أنّ هذا الكلام ورد بسند تام أو مرسل فى أغلب المصادر قبل «نهج البلاغة» ومنها كتاب «الكافى» و«تحف العقول» و«الخصال» للصدوق و«الغيبه» للنعمانى (الكافى، ج ١، ص ٦٢، ح ١؛ تحف العقول، ص ١٩٣؛ الخصال، ص ٢٥٥، ح ١٣١؛ الغيبه للنعمانى، ص ٨١، ح ١٠) وسائر الكتب وبعد السيد الرضى ونهج البلاغة كالتذكرة لسبط ابن جوزى و«الاحتجاج» للطبرسى و«أربعين الشيخ البهائى» (تذكرة الخواص، ص ١٣٣؛ الاحتجاج، ج ١، ص ٢٩٣؛ أربعين البهائى، ص ٢٨٩). (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١١٥).
- [١٥٩] (١). الكافى، ج ١، ص ٦٢.
- [١٦٠] (١). «فليتوباً» من «بواء» على وزن «دواء» الرجوع والاطراق ويقال للموضع المستوى والمكان، والمعنى فليتهياً ويسكن.
- [١٦١] (٢). «مقعد» المكان والمحل وموضع الجلوس ويطلق أيضاً على الوسادة الصغيرة.
- [١٦٢] (١). الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٤٦.
- [١٦٣] (٢). مستدرک الحاكم، ج ١، ص ١١١ و ١١٣؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٤.
- [١٦٤] (١). «مُتصنَع» من مادة «صنع» على وزن «رُمح» من يحسن ظاهره ويبدى السيى حسناً.
- [١٦٥] (٢). «يتحرّج» من مادة «حرج» الخشية من الوقوع فى الذنب، باب تفعل.
- [١٦٦] (٣). «لقف» من مادة «لقف» على وزن «وقف» أخذ الشيء بسرعة وتناوله.
- [١٦٧] (١). «زور» تعنى فى الأصل الميل عن الوسط إلى الطرف ولذلك يطلق على الكذب لأنه انحراف عن الحق.

[١٦٨] (٢). ذكره والد المرحوم الشيخ البهائي في كتاب «أصول الأخيار إلى أصول الأخبار»، ص ٣٠ بعنوان «المثل السائر» والمرحوم الملا صالح المازندراني في «شرح أصول الكافي»، ج ١٢، ص ٥٦٠؛ ولكن قال في كتاب «كشف الغمّة»، ج ٢، ص ٢٣٠ بعد ذكر هذه الجملة: «كما ورد في الحديث والمثل».

[١٦٩] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤١.

[١٧٠] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٧٦.

[١٧١] (٢). شرح نهج البلاغة للمرحوم التستري، ج ٧، ص ٢١٢؛ تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٧٥. وأضاف الخطيب البغدادي بعد نقله لهذا الحديث: لم أجده إلا بسند واحد وأغلب رجال هذا السند مجهولون.

[١٧٢] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٤-٤٦.

[١٧٣] (٢). المصدر السابق، ص ٤٢.

[١٧٤] (١). كان ممن انتقد هذه النظرية من علماء العامة «أحمد حسين يعقوب» في كتاب نظرية عدالة الصحابة و«الشيخ محمود أبوري» في كتاب شيخ المضيرة، وأبوهريرة.

[١٧٥] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٧.

[١٧٦] (٢). عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١١٠؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١.

[١٧٧] (١). المراد من النيذ الحلال أن المسلمين لما دخلوا المدينة أصيب البعض ببرودة الماء فأمر النبي أن يلقي في الظرف تمر لتزول برودة الماء ولم يكن بالمقدار الذي يحيله خمراً ومن هنا قال في ذيل الرواية: «وكل مسكر حرام».

[١٧٨] (٢). وسائل الشيعة، ج ١٠، باب ٤١ من أبواب الذبح، ح ٧.

[١٧٩] (٣). بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٧٢، ح ٧.

[١٨٠] (١). انظر المزيد في النسخ، نفحات الولاية، ج ١، ص ٢٣٩ و ٢٥٠ ذيل الخطبة الاولى وتفسير الأمل، ج ١، ذيل الآية ١٠٦ من سورة البقرة، وأسهب من ذلك في كتاب أنوار الأصول، ج ١، ص ١٧٧.

[١٨١] (١). «لم يهجم» من مادة «وهم» مطلق الخيال والظن وتعني أحياناً الظن الباطل والخطأ وهذا هو المعنى المراد.

[١٨٢] (٢). «جَنَّب» من باب تفعيل ومادة «جنب تعني حسب بعض مصادر اللغة، الحفظ والإبعاد بالمعنى اللازم والمتعدى والمعنى الثاني هو المراد.

[١٨٣] (١). شرح نهج البلاغة للتستري، ج ٧، ص ٢٨٠.

[١٨٤] (٢). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ١٧.

[١٨٥] (٣). «طارئ» من «طروء» على وزن «غروب» حادث والخروج المفاجئ ومن هنا يقال للشخص الذي يرد حديثاً والزائر بغتة.

[١٨٦] (٤). كانت هنالك عوامل أخرى تحول دون السؤال كالاشتغال بالعبادات ظناً منهم أنهم مأمورون بها فقط أو الانهماك في الدنيا التي تغفل الإنسان عن كل شيء.

[١٨٧] (١). الكافي، ج ١، ص ٦٤، ح ١.

[١٨٨] (١). سند الخطبة:

رواها الزمخشري في «ربيع الأبرار» ورغم اختلافها مع ما ورد في «نهج البلاغة» فيتضح أنه استقاهها من مصدر آخر. كما ذكرها ابن الأثير في كتابه اللغوي «النهاية» في مادتي (يعجز) و(ازر) ويفيد اختلافها مع «نهج البلاغة» أنه رواها من مصدر آخر (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١١٧) لا بد من الالتفات إلى أن ابن الأثير أشار لهذه الخطبة في مادة (ازر) و(يعجز) لكنه لم يُشر إليها - حسب المصادر - في مادة (ازر).

[١٨٩] (١). «زاخر» من «زخور» المملوء و«بحر زاخر» البحر الممتلىء.

[١٩٠] (٢). «متقاصف» الجماعة التي يدفع بعضها الآخر من مادة «قصف» على وزن «عصف» بالكسر وفي العبارة إشارة إلى الأمواج المتلاطمة التي يضرب بعضها البعض.

[١٩١] (١). «اطباق» جمع «طبّق» الطبقات على بعضها.

[١٩٢] (٢). «ارتقاق» الاتصال من مادة «رتق» وضدها «فتق».

[١٩٣] (٣). «أرسي» من مادة «رسو» على وزن «مسح» الثابت والراسخ.

[١٩٤] (٤). «اخضر» إشارة إلى عمق البحار التي تبدو لكثرة العمق بهذا اللون.

[١٩٥] (١). «مثنعجر» الملىء بالماء من مادة «ثعجرة» على وزن «حنجرة» جريان الماء وما شابه.

[١٩٦] (٢). «قمقام» البحر العظيم في الأصل من مادة «قمقمة» على وزن «همهمة» بمعنى الجمع ومن هنا يقال قمقام للبحر العظيم والأحداث المهمة التي تجمع فيها المشاكل الكثيرة.

[١٩٧] (١). «جبل» من مادة «جبل» على وزن «جبر» الخلق ومنه الجبل المعروف.

[١٩٨] (٢). «جلاميد» جمع «جلمود» على وزن «خرطوم» الصخرة والجبل.

[١٩٩] (٣). «نشوز» جمع «نشز» على وزن «نشر» التل وما ارتفع من الأرض. ولهذه المفردة معنى مصدرى: الامتناع عن الإتيان بالوظيفة كنشوز الزوجة عن الزوج.

[٢٠٠] (٤). «متون» جمع «متن» المحكم وتأتى بمعنى المستوى والمراد هنا المعنى الأول.

[٢٠١] (١). «أطواد» جمع «طود» الجبل الشامخ.

[٢٠٢] (٢). «أنهد» من «النهود» بمعنى الظهور والانفصال.

[٢٠٣] (٣). «أساخ» من «السوخ» على وزن «قول» الغوص في الماء.

[٢٠٤] (٤). «انصاب» جمع «نصب» على وزن «كتب» الأجسام الأعلام وللنصب معنى المفرد أحياناً والجمع أخرى حسب ما ذكر المرحوم الطبرسي في «مجمع البيان»، ج ١٠، ص ١٢٦.

[٢٠٥] (٥). «أشهق» من «الشهوق» الارتفاع و«اشهق» يعنى رفع.

[٢٠٦] (٦). «أنشاز» جمع «نشز» على وزن «مرض» من «النشوز» ذكرت سابقاً في هذه الخطبة.

[٢٠٧] (٧). «ارز» من مادة «رَزَّ» على وزن «حظَّ» بمعنى ثبت.

[٢٠٨] (٨). «تميد» من «الميد» على وزن «صيد» الحركة والاضطراب.

[٢٠٩] (٩). «تسيخ» من «سوخ» فسرت في الخطبة.

[٢١٠] (١). مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١١٧.

[٢١١] (٢). «تكركر» من مادة «كركرة» على وزن «حنجرة» يرى البعض أنها من مادة والبعض الآخر أنها مادة مستقلة من الرباعى المجرد وتعنى التكرار.

[٢١٢] (٣). «تمخض» من مادة «مخض» على وزن «قرض» تعنى في الأصل حركة اللبن لاستخراج الزبدة ثم اطلقت على كل حركة شديدة.

[٢١٣] (٤). «ذوارف» من مادة «ذرف» على وزن «حرف» سيلان الدمع من العين أو مطلق السيل و«ذوارف» جمع «ذارفة» بمعنى الجارى والصابى.

[٢١٤] (١). سورة النازعات، الآية ٢٦. جدير ذكره أن هذه الآية القرآنية وردت في سياق الخلق وخلق السماء والأرض.

[٢١٥] (٢). سورة فاطر، الآية ٢٨.

[٢١٦] (١). سند الخطبة:

لم يذكر صاحب «مصادر نهج البلاغة» سنداً لهذه الخطبة؛ لكن يستفاد من كتاب «تمام نهج البلاغة» (وأشرنا لذلك في المتن) أن هذا الكلام كان ذيل الخطبة ١٩٨ ولم يذكر هذا الكتاب سنداً آخر غير «نهج البلاغة».

[٢١٧] (١). تمام نهج البلاغة، ص ٤٩١.

[٢١٨] (٢). «نكوص» مصدر يعنى الانسحاب والتراجع.

[٢١٩] (٣). «إبطاء» التأخير من مادة «بطؤ» على وزن «قفل».

[٢٢٠] (١). صفين لنصر بن مزاحم، ص ٩٤ و ٩٥.

[٢٢١] (١). سند الخطبة:

لم يذكر سند هذه الخطبة في المصادر المعروفة سوى «نهج البلاغة» وقد روى العلامة المجلسي قسمها الأول عن «نهج البلاغة» في الجزء الرابع من بحار الأنوار.

[٢٢٢] (١). «متوهمين» من مادة «وهم» الظن والخيال كما تعنى التفكير وهذا هو المعنى المراد والشاهد على ذلك كلمة الفكر قبل ذلك.

[٢٢٣] (١). «يرهقه» من مادة «رهق» على وزن «شقق» غشى الشيء أو القهر والغلبة كما وردت بمعنى تسلط الشيء.

[٢٢٤] (١). بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٩٣.

[٢٢٥] (١). «رتق» من «رتق» على وزن «حتم» الاتصال.

[٢٢٦] (٢). «مفاتق» المواضع المنشقة جمع «مفتق» على وزن «مكتب» من مادة «فتق» (ضد رتق).

[٢٢٧] (٣). «ساور» من «المساورة» الغلبة والسيطرة من مادة «سور» على وزن «غور».

[٢٢٨] (٤). «حزونة» ضد سهولة، الخشن والغلظ في الأرض.

[٢٢٩] (٥). «سرح» من «التسريح» الترك والطرود ومن هنا يقال للطلاق تسريح ومادته الأصلية «سرح» و «سروح» الاطلاق والتحرير.

[٢٣٠] (١). سند الخطبة:

روى الآمدى في «غررالحكم» جانباً من هذه الخطبة مع اختلاف يدل على أنه اقتبسها من مصدر آخر غير «نهج البلاغة».

[٢٣١] (١). هنالك عبارات في كتاب «تمام نهج البلاغة» الذى أورد عبارات مكملة لهذه الخطبة تشير بوضوح إلى أن الضمير فى «إنه» يرجع إلى الله تعالى لا إلى القضاء والقدر (تمام نهج البلاغة، الخطبة ٢٢، ص ٢٩٩).

[٢٣٢] (٢). «نسخ» من «النسخ» على وزن «مسخ» تعنى فى الأصل انتقال الشيء ومن هنا يقال حين ينتقل الظل إثر حركة الشمس: «نسخت الشمس الظل» كما يقال لكتابة شيء على كتابة أخرى استنساخ، لأنها تنقل المطلب. ومنه النسخ فى الأحكام لأن حكماً يحل محل آخر والنسخ فى العبارة إشارة إلى انتقال النطفة من الأب إلى الأب الآخر والذى تنتقل عن طريقه الصفات من الآباء إلى الأبناء.

[٢٣٣] (٣). «عاهر» الشخص الفاسق والفاجر.

[٢٣٤] (٤). مصباح المتهجد، ص ٧١٧.

[٢٣٥] (٥). بحار الأنوار، ج ١٥، ص ١١٧؛ مجمع البيان، ج ٣-٤، ص ٤٩٧.

[٢٣٦] (١). بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٣٧٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ٢، ص ٢٩٧.

[٢٣٧] (٢). الضمير «يقول» يعود إلى «الله» الذى ذكر سابقاً والمعنى أن الله يجعل لسانهم ناطقاً ويجرى عليه الخير.

[٢٣٨] (١). سورة طه، الآية ٤٦.

- [٢٣٩] (٢). سورة إبراهيم، الآية ٢٧.
- [٢٤٠] (٣). سورة الفاتحة، الآية ٥.
- [٢٤١] (١). «مستحفظين» من مادة «حفظ» من يحفظ ما يودع إليه.
- [٢٤٢] (١). «روية» صفة مشبهة من «رى» على وزن «حى» زوال العطش.
- [٢٤٣] (٢). «برية» تركيب من الباء الجارة و«ريّة» اسم المصدر من «رى» على وزن «حى» الرى من العطش.
- [٢٤٤] (١). «ينتقى» من «النفاءة» بمعنى الطاهر والخالص، وتعنى الاصطفاء والاختيار حين تأتى فى باب افتعال.
- [٢٤٥] (٢). «التمحيص» التطهير والإخلاص وورد بهذا المعنى أيضاً من مادة «محص» على وزن «فحص»، وإن تضمن التمحيص تأكيداً أكثر ولما كان الامتحان سبب التنقية والتطهير فقد وردت هذه المفردة بمعنى الامتحان.
- [٢٤٦] (١). «الكرامة» تعنى فى الأصل الشرف، الشخصية، المثل، الاحترام والنعمة وما معناها فى العبارة فىرى البعض أنّها مفعول به فقال: مفهوم الجملة أنه ينبغى على كل إنسان أن يقبل الكرامة الإلهية والنعمة بقبول هذه الصفات البارزة، وعليه فالكرامة بمعنى كرامة الله وإشارة إلى نعمه، الاحتمال الآخر «كرامة» من قبيل المفعول له ومفهوم الجملة كل إنسان يقبل هذا الكلام للكرامة والمحبة.
- [٢٤٧] (٢). «قارعة» من مادة «قرع» بمعنى الضرب وقارعة تطلق على الحوادث المهمة والصعبة؛ كالموت والزلازل. فأحد أسماء القيامة «القارعة» لأنها تقترن بحوادث صعبة.
- [٢٤٨] (١). «يردى» من مادة «ردى» على وزن «رعد» بمعنى الهلكة، أو السقوط المقرون بالهلكة و«يردى» (من باب أفعال) يعنى يهلك.
- [٢٤٩] (٢). «حوبه» تعنى فى الأصل الحاجة التى تسوق الإنسان إلى المعصية، ثم اطلقت على مطلق المعاصى أو الكبائر.
- [٢٥٠] (١). سورة الأنبياء، الآية ٧.
- [٢٥١] (١). بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٥٩.
- [٢٥٢] (١). سند الخطبة:
- ورد فى «مصادر نهج البلاغة» أنّ «السيد ابن باقى» معاصر «المحقق الحلى» ذكرها فى كتاب «الاختيار» كما فى «نهج البلاغة» سوى العبارة الأخيرة التى رواها بصيغة أخرى وأضاف لها سائر العبارات التى تشير إلى أنه استقاها من مصدر آخر غير «نهج البلاغة». وسترده إشارات أخرى بمصادر هذا الدعاء فى ذيل الخطبة ٢٢٥.
- [٢٥٣] (١). «عروق» جمع «عرق» على وزن «حرص» مجارى الدم فى البدن واطلقت على أصل كل شىء وجذره.
- [٢٥٤] (٢). «داير» تعنى فى الأصل الظهر أو الشخص التابع ومن هنا يطلق على الأولاد والأجيال التى تعقب الإنسان «داير».
- [٢٥٥] (١). «ملتبس» من مادة «لبس» على وزن «حبس» بمعنى الخطأ و«ملتبساً عقلى» بمعنى إرتباك الفكر والعقل.
- [٢٥٦] (١). خصال الصدوق، ج ٢، ص ٤٢٠، ح ١٤.
- [٢٥٧] (٢). بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢٣.
- [٢٥٨] (١). «أضام» من «الضيم» على وزن «غيم» بمعنى الظلم والإذلال.
- [٢٥٩] (٢). «أضطهد» من مادة «ضهد» على وزن «مهد» بمعنى قهر و«الاضطهاد» بمعنى التأكيد قى القهر.
- [٢٦٠] (٣). سورة فاطر، الآية ١٥.
- [٢٦١] (١). سورة الأعراف، الآية ١٧٨.
- [٢٦٢] (٢). سورة آل عمران، الآية ١٦٠.
- [٢٦٣] (٣). بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٤١٣، دعاء ليلة النصف من شعبان.

[٢٦٤] (٤). «تتابع» من مادة «تتابع» (مصدر باب تفاعل) بمعنى الحمل بسرعة نحو الشيء.

[٢٦٥] (١). سند الخطبة:

ورد في «مصادر نهج البلاغة» ذيل هذه الخطبة رواها قبل السيد الرضى المرحوم الكليني في «روضه الكافي»: ج ٨، ص ٣٥٢ عن الإمام الباقر عليه السلام. وما ورد في «الكافي» أكثر مما ورد في «نهج البلاغة» وتختلف بعض عباراته عمّا في «نهج البلاغة» دون تغيير في المعنى (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٢٩).

[٢٦٦] (١). «تواصف» من مادة «وصف» بمعنى أن بعض الأشياء وصف لبعضها الآخر. وتعنى في الخطبة أن الناس في الكلام كل يؤدى بشأن الحق.

[٢٦٧] (٢). «تناصف» من مادة «نصف» على وزن «هدف» وعلى وزن «حرص» الانصاف ومعنى «تناصف» أن كل شخص يراعى الانصاف بحق الآخر.

[٢٦٨] (٣). سورة البقرة، الآية ٢٨٠.

[٢٦٩] (٤). سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

[٢٧٠] (١). أورد المرحوم العلامة المجلسي رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام في بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٠.

[٢٧١] (٢). ورد في كتاب الحج من «وسائل الشيعة»، باب تحت عنوان «حقوق الدائبة الواجبة والمندوبة» وهو مهم للغاية واشير لهذا المعنى في الخطبة ١٦٧.

[٢٧٢] (١). سورة الأنعام، الآية ١٢، وورد هذا التعبير في الآية ٥٤ مع إضافة كلمة «ربكم».

[٢٧٣] (٢). سورة آل عمران، الآية ٩.

[٢٧٤] (١). «تتكافأ» يعنى تتساوى من مادة «كفأ» على وزن «كفر» التساوى فى المقام والمنزلة والقدر، ثم اطلقت على كل شبيه ومثيل.

[٢٧٥] (٢). «رعيّة» من مادة «رعى» على وزن «سعى» بمعنى الحفظ والمراقبة والمراعاة. ومنه «الرعى» لأنه يحفظ الماشية ويقال للحاكم «رعى» لأنه يرعى الناس ويطلق على الناس «رعية» لأنهم تحت رعايته وحفظ الحكومة.

[٢٧٦] (١). «اذلال» جمع «ذل» على وزن «ظل» بمعنى جادة محكمة ومستقيمة وبسبب كثرة المرور عليه أصبحت قوية، وأصل هذه الكلمة مأخوذة من «ذلت».

[٢٧٧] (١). «اجحف» من «الإجحاف» هضم حقوق الآخرين ومادته الأصلية «جحف» على وزن «محو» بمعنى إزالة الشيء.

[٢٧٨] (٢). «ادغال» إدخال ما يفسد الشيء. من مادة «دغل» على وزن «دخل» الدخول فى مكان خفية لاغفال الصيد.

[٢٧٩] (٣). «محتاج» جمع «محنة» الجادة الواضحة والسوية من «الحج» بمعنى القصد فالإنسان يقصد دائماً الطريق الواضح.

[٢٨٠] (١). بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٥٦، ح ١٠.

[٢٨١] (٢). «اقتحمت» من «الإقتحام» الإخفاء أو الدخول فى عمل دون تروّ وتعنى الاحتقار والازدراء ومادته «قحم» على وزن «فهم».

[٢٨٢] (١). بحار الأنوار، ج ٢، ص ٤٤.

[٢٨٣] (١). الفتوحات الإسلامية، احمد بن زينى دحلان (٢ مجلد)، الطبع مؤسسه الحلبي القاهرة (١٣٨٧ ق- ١٩٦٨ م).

[٢٨٤] (١). تمرّ علينا حين كتابة هذه السطور حادثان مهمتان هزتا العالم الإسلامى: الاولى حادثة الإهانة الأليمة للنبي صلى الله عليه و آله بتلك الصور المستهجنة التى عكستها أجهزة الإعلام الغربية التى انطلقت من الدانمارك لتعم أكثر البلدان الأوربية وموجة استنكار المسلمين التى عمّت العالم وقاطعوا بضائع تلك الدول حتى اضطروا للتراجع ودخلوا مرحلة الاعتذار.

أما الحادثة الثانية فكانت الجريمة التى انتهكت حرمة ضريح العسكريين عليهما السلام حيث استيقظ المسلمون يوم الأربعاء عام ٢٠٠٦ ليروا أيدى الاستعمار والاستكبار والعملاء الرعاع قد أحالوا الضريح إلى ركام من التراب من خلال خطة مدبرة مسبقاً، فأجج مشاعر

العالم الإسلامي برمته دون الاقتصار على الشيعة، مستنكرة تلك الجريمة التي سعت لبث الفرقة بين المسلمين وإثارة الحرب الأهلية، جدير ذكره أن كل هذه الأمور كانت تهدف إلى مواجهة الحكومات الشعبية التي تسلمت الأمور في العراق وفلسطين. «اللهم فَرِّقْ جَمْعَهُمْ وَشَتِّتْ شَمْلَهُمْ وَخُذْهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ».

[٢٨٥] (١). الكافي، ج ٨، ص ٣٥٥.

[٢٨٦] (٢). المصدر السابق.

[٢٨٧] (١). «اسخف» من «السخف» على وزن «قفل» و«سخافة» ضعف العقل والجهل.

[٢٨٨] (٢). «إطراء» من «الطراوة» الجديد، وتعني المدح والثناء من باب الإفعال.

[٢٨٩] (١). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٥٢.

[٢٩٠] (٢). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٣٤٧.

[٢٩١] (٣). المصدر السابق، الكلمة ٤٦٢.

[٢٩٢] (١). غرر الحكم، الحكمة ٢٦٩٦.

[٢٩٣] (٢). من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١١.

[٢٩٤] (١). عيون الحكم والمواعظ، ص ١١٧.

[٢٩٥] (٢). المصدر السابق، ص ١٧٧.

[٢٩٦] (٣). المصدر السابق، ص ٤٠٩.

[٢٩٧] (١). «بادرة» من «البدور» على وزن «غروب» تعني في الأصل المسارعة إلى القيام بعمل و«بادرة» الحركات السريعة والخاطئة التي تصدر من الغاضب.

[٢٩٨] (١). سورة يوسف، الآية ٣.

[٢٩٩] (٢). العقد الفريد، ج ١، ص ٥٣، طبق نقل شرح نهج البلاغة للمرحوم التستري، ج ٦، ص ٤٤٧ و ٤٤٨.

[٣٠٠] (٣). المصدر السابق.

[٣٠١] (١). سورة يوسف، الآية ٢٤.

[٣٠٢] (٢). بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٣٢٩.

[٣٠٣] (١). الكافي، ج ٨، ص ٣٥٨، ح ٥٤٥. تمتع هذا البحث في «الكافي» لطيفه للغاية فيمكن الرجوع إلى ما ذكر. فقد اغضضنا المواصلة حتى لانخرج عن اسلوبنا في الشرح.

[٣٠٤] (١). سند الخطبة:

ورد جانب من هذه الخطبة في الخطبة ١٧٢ وجانب آخر في الخطبة ٢٦ وكما مضى في سند الخطبة ١٧٢ يبدو أن هذه الخطبة جانب من رسالة كتبها الإمام أواخر خلافته وبين فيها باختصار الحوادث التي وقعت عقب وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حتى ذلك الزمان وأمر أن تقرأ على الناس.

وأضاف صاحب كتاب «مصادر نهج البلاغة» أن المرحوم الكليني في كتاب «كشف المحجّة» (ص ١٨٠) طبق نقل السيّد ابن طاووس في كتاب الرسائل. ويحتمل أيضاً أن الإمام بين بعض هذه الخطبة في مختلف المناسبات لأكثر من مرة. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٣٢).

[٣٠٥] (١). «اكفووا» من «الإكفاء» بمعنى قلب الإناء بحيث يسكب كل ما فيه، ومادته الأصلية «كفاء» على وزن «دفع» بمعنى التولى.

[٣٠٦] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٣٠٧.

[٣٠٧] (١). «رافد» من مادة «رفد» على وزن «رطب» بمعنى المعونة والعطاء والمساعدة.

[٣٠٨] (٢). «ضنت» من مادة «ضن» على وزن «فن» تعنى فى الأصل البخل الشديد؛ لكنها هنا التحفظ الشديد عن الشيء المطلوب.

[٣٠٩] (٣). «قذى» هذه المفردة تقابل تماماً الصفاء والإخلاص ويطلق القذى على الأشياء الملوثة التى تقع فى الماء والشوك الذى يدخل فى العين ويؤذيها.

[٣١٠] (٤). «شجى» من مادة «شجو» على وزن «هجو» بمعنى الحزن والشدة كما يطلق على ما يعترض حجرة الإنسان.

[٣١١] (٥). «علقم» نبتة مرّة للغاية ويطلق عليها أيضاً «حنظل» وتطلق هذ المفردة على كل شيء مر.

[٣١٢] (٦). «وخز» بمعنى اللسع والثقب والأذى.

[٣١٣] (٧). «شفار» جمع «شفرة» على وزن «دفعه» السكين.

[٣١٤] (١). سند الخطبة:

قال صاحب «مصادر نهج البلاغة»، مصادر هذا الكلام هى مصادر الكلام السابق، لأنّ كلّاً منه فصل من رسالته كتبها الإمام عليه السلام وأمر بأن تقرأ على الناس (ليقفوا على ما حدث منذ وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حتى عصر خلافته). ثم قال: «لذلك ذكر هذا الكلام متصلاً بالكلام السابق فى بعض نسخ نهج البلاغة». (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٣٣).

[٣١٥] (١). «عَضُوا» من مادة «عَضَّ» على وزن «سَدَّ» تعنى فى الأصل العَضُّ بالأسنان ثم استعملت لمن يتابع عمله بجد والعبارة «عَضُّوا على أسيافهم» من هذا القبيل.

[٣١٦] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ٩، ص ٣١٥.

[٣١٧] (٢). المصدر السابق.

[٣١٨] (١). سند الخطبة:

رواها أبو الفرج الاصفهاني فى «الأغانى» والمبرّد فى «الكامل» وابن عبد ربّه فى «العقد الفريد» وابن الأثير فى «النهاية». (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٣٥).

[٣١٩] (١). «وَتَرَّ» على وزن «سَطَرَ» و«وَتَرَّ» على وزن «فَطَرَ» بمعنى الجنابة أو الأذى ويطلق على القصاص ووردت بهذا المعنى فى العبارة المذكورة.

[٣٢٠] (٢). «أفلتنتى» من «الإفلات» وردت بمعنى الخلاص والهروب وهى هنا الهروب.

[٣٢١] (١). «أتلعوا» من «الإتلاع» بمعنى مد العنق من مادة «تلع» على وزن «طرب» بمعنى رفع العنق.

[٣٢٢] (٢). «وقصوا» من «الوقص» على وزن «نقص» بمعنى الكسر.

[٣٢٣] (١). روى المرحوم الكليني فى كتاب «الكافي» حديثاً مشهوراً فى شعب الذنوب ودوافعها عن الإمام زين العابدين عليه السلام جاء فى آخره: «فَقَالَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ بَعِيدَ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ: حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ». (الكافي، ج ٢، ص ١٣١، ح ١١، باب ذنب حبّ الدنيا).

[٣٢٤] (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١، ص ٢٤٧.

[٣٢٥] (١). سند الخطبة:

نقل صاحب «مصادر نهج البلاغة» هذا الكلام عن «غرر الحكم» للآمدى باختلاف كبير يدل على أنه رآها فى مصدر آخر غير «نهج البلاغة». (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٣٦).

[٣٢٦] (١). «الجليل» بمعنى الكبير أو القيم من «الجلال» بمعنى العظمة وهى هنا إشارة إلى الجسم الإنسانى القيم.

[٣٢٧] (٢). «غليظ» تعنى فى الأصل الخشن وتعنى هنا الغلظة الأخلاقية التى تزول فى ظل الرياضة النفسية وتتحول إلى لطافة خلقية.



- [٣٢٨] (١). سورة الحديد، الآية ٢٨.
- [٣٢٩] (٢). «تدافعت» من «التدافع» بمعنى الدفع والطرده وتعنى أحياناً التماس البدنى والمعنى الأول هو المراد هنا من مادة «دفع» على وزن «فخر» بمعنى الدفع.
- [٣٣٠] (٣). سورة الأنعام، الآية ١٢٧.
- [٣٣١] (١). سورة فاطر، الآيتان ٣٤ و ٣٥.
- [٣٣٢] (٢). سورة الفجر، الآيات ٢٧ - ٣٠.
- [٣٣٣] (٣). سورة الانشقاق، الآية ٦.
- [٣٣٤] (٤). سورة التحريم، الآية ٨.
- [٣٣٥] (١). سورة البقرة، الآية ١٥٦.
- [٣٣٦] (٢). الكافي، ج ٢، ص ٥٣، ح ٢.
- [٣٣٧] (١). سورة آل عمران، الآية ١٦٩.
- [٣٣٨] (٢). راجع خلاصة هذه الرسالة وسائر المناهج التي اعتمدها بعض كبار عارفي عصرنا في كتاب الأخلاق في القرآن، ج ١، ص ١٣٣.
- [٣٣٩] (٣). سورة الكهف، الآيتان ١٠٣ و ١٠٤.
- [٣٤٠] (١). سند الخطبة:
- أورد هذا الكلام على بن محمد شاکر اللیثی فی کتاب «عیون الحکم والمواعظ» الذی ألفه سنة ٤٥٣ للهجرة وکان متأخراً عن السید الرضی؛ ولكن الاختلافات والتعبيرات في عدة عبارات من الخطبة تشير إلى أنها اقتبست من مصدر آخر غير «نهج البلاغة». كما فسّر ابن الأثير مفرداتها الصعبة في كتابه «النهاية» (وا احتمالاً كان لديه مصدر آخر غير «نهج البلاغة»). (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٤٥ بتلخيص طفيف).
- [٣٤١] (٢). سورة التكاثر، الآيتان ١ و ٢.
- [٣٤٢] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ١٥٢ فصاعداً (بتلخيص).
- [٣٤٣] (١). «المرام» بمعنى الهدف والمطلوب ومن مادة «روم» على وزن «قوم» بمعنى الطلب والقصد.
- [٣٤٤] (٢). «الزور» بمعنى الزائر ويطلق على المفرد والجمع.
- [٣٤٥] (٣). «الخطر» تعنى أحياناً الأمر الخطير وأخرى الأمر المهم والمعنى الثاني هو المراد؛ أى أنّ هؤلاء كانوا يرون كثرة قبور موتاهم مهمة والحال هذا فخر بغيض وموهوم.
- [٣٤٦] (٤). «أفطع» من مادة «فضاعة» بمعنى القبيح والبغيض.
- [٣٤٧] (٥). «استخلوا» من مادة «خلو» على وزن «غلو» بمعنى الخلو والمضى.
- [٣٤٨] (٦). «تناوشوا» من مادة «تناوش» ومن «نوش» على وزن «خوف» بمعنى تناول الشيء بسهولة أو بقوة والتناوش من مكان بعيد الأخذ عن بعد.
- [٣٤٩] (٧). «خوت» من مادة «خوى» على وزن «هوا» تعنى فى الاصل خلت وتعنى أحياناً تهدمت وهذا هو المراد بها فى العبارة المذكورة.
- [٣٥٠] (١). «جناب» من مادة «جَنَب» الضلع واستعملت بمعنى الجانب والناحية والطرف وجناب ذلّة فى العبارة بهذا المعنى.
- [٣٥١] (٢). «أحجى» من «حجا» على وزن «رضا» العقل، وأحجى أعقل.

- [٣٥٢] (٣). سورة الدخان، الآيات ٢٥-٢٨.
- [٣٥٣] (٤). بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٢٧.
- [٣٥٤] (٥). «ربوع» جمع «ربع» على وزن «رفع» البيت والمسكن.
- [٣٥٥] (٦). «ضلال» جمع «ضال».
- [٣٥٦] (١). «هام» جمع «هامه» أعلى الرأس.
- [٣٥٧] (٢). «تستبتون» من مادة «نبت» على وزن «ضبط» الإنبات وتعنى الزراعة.
- [٣٥٨] (٣). «ترتعون» من مادة «رتع»، على وزن «قطع» تعنى فى الاصل الرعى وكثرة اكل الحيوانات؛ ولكن تستعمل أحياناً بشأن الإنسان بمعنى اللعب والمرح وكثرة الاكل والمعنى الثانى هو المراد فى العبارة.
- [٣٥٩] (٤). «لَفْظُوا» من مادة «لفظ» لفظوا وطرخوا وغالباً ما تعنى الطرح من الفم وبما أن الكلام يطرح من الفم فلذلك يطلق عليه اللفظ والمعنى الأول هو المراد فى العبارة.
- [٣٦٠] (٥). «بواك» جمع «باكية» تعنى فى الأصل بكاء النساء والعزاء.
- [٣٦١] (٦). «نوائح» جمع «نائحة» المرأة التى تنوح والاختلاف بينهما أن النواح بكاء وصوت وألغاز وذكر مطالب بينما البكاء مفهوم عام.
- [٣٦٢] (١). سورة التوبة، الآية ١٨.
- [٣٦٣] (١). «الغاية» النهاية وتعنى هنا الموت.
- [٣٦٤] (٢). «فَرَّاط» من مادة «فرط» على وزن «شرط» السرعة والعجلة و«فراط» جمع «فارط» تطلق غالباً على متقدم القوم إلى الماء ثم اطلق على كل من يتقدم فى أمر.
- [٣٦٥] (٣). «مناهل» جمع «منهل» من مادة «نهل» على وزن «أهل» موضع الشربة الأولى و«منهل» يقال لموضع ما لشرب الشاربه من النهر.
- [٣٦٦] (٤). «مقاوم» جمع «مقام» وقيل جمع «مقامة» وكلاهما بمعنى مجلس.
- [٣٦٧] (٥). «حلبات» جمع «حلبة» على وزن «دفعه» الدفعة من الخيل فى الرهان.
- [٣٦٨] (٦). «سوق» جمع «سوقه» على وزن «كوفه» الرعيه والناس من «سوق» على وزن «فوق»؛ لأن الرعا يسوقونهم إلى الأهداف المطلوبة.
- [٣٦٩] (١). سورة المؤمنون، الآية ١٠٠.
- [٣٧٠] (٢). بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢١٧.
- [٣٧١] (٣). المصدر السابق، ص ٢١٤؛ صحيح الترمذى، ج ٤، كتاب صفة القيامة، باب ٢٦، ح ٢٤٦٠.
- [٣٧٢] (٤). «فجوات» جمع «فجوة» الموضع الواسع ويعنى الفرجه وورد هنا بمعنى شق القبر.
- [٣٧٣] (٥). «ضمار» الغائب أو المال الذى لا يؤمل رجوعه ومن مادة «ضمير» على وزن «أمر» بمعنى الإخفاء.
- [٣٧٤] (٦). «يحفلون» من مادة «حفول» تجمع الأفراد وورد بمعنى اللامبالاه بالشىء و«لا يحفلون» هنا تعنى لا يبالون.
- [٣٧٥] (٧). «رواجف» جمع «راجفة» الزلازل ومن مادة «رجف» على وزن «ربط» بمعنى الاضطراب والزلازل الشديد.
- [٣٧٦] (٨). «قواصف» جمع «قاصف» بمعنى الرياح والعاصفة العاتية ومن مادة «قصف» على وزن «وصف» الكسر.
- [٣٧٧] (٩). «آلاف» جمع «أليف» بمعنى من يتعلق بالشىء ومن مادة «إلفه».
- [٣٧٨] (١). «ارتجال» بيان مطلب بدون مطالعة مسبقه ومن مادة «رجل» على وزن «أجر» المشى على القدمين واطلقت بهذا المعنى على

المبدع الذي يرتجل الكلام وكأنه يمشى على رجليه.

- [٣٧٩] (٢). «صرعى» جمع «صريع» الشخص أو الجنازة الملقاة على الأرض ومن جمع «صرع» على وزن «فرع» الالتقاء على الأرض.
- [٣٨٠] (٣). «سبات» من مادة «سبت» القطع والقص ثم وردت بمعنى الاستراحة بعد العمل ومن هنا يقال للنوم سبات.
- [٣٨١] (٤). «عرى» جمع «عروة» القبضة.
- [٣٨٢] (٥). «أفطع» من مادة «فطع» على وزن «جزع» بمعنى أخوف وأرهب.
- [٣٨٣] (٦). «مباءة» بمعنى المنزل تعنى فى الأصل الموضوع الذى تعود إليه الجمال ومن مادة «بواء» على وزن «دواء» الرجوع والاطراق.
- [٣٨٤] (١). «عَيُوا» من مادة «عَي» على وزن «حَي» العجز.
- [٣٨٥] (١). «كلحت» من «الكلوح» على وزن «طلوع» الوجه العابس والمقطب.
- [٣٨٦] (٢). «نواضر» من «نضرة» على وزن «دفعه» الحسنه الباسمه المتفتحة.
- [٣٨٧] (٣). «خوت» من «خواء» بمعنى تهدمت وتلاشت.
- [٣٨٨] (٤). «اهدام» جمع «هدم» على وزن «حرص» الثوب البالى والمرقع.
- [٣٨٩] (٥). «تكاؤدنا» من «التكاؤد» المشقة ومادته «كأد» على وزن «رعد».
- [٣٩٠] (٦). «تهكمت» من «التهكّم» السقوط فى بئر وما شابه ذلك أو التهدم.
- [٣٩١] (٧). «الصموت» السكوت وفى العبارة مصدر له معنى وصفى.
- [٣٩٢] (١). سنن الترمذى، ج ٣، ص ٣٧٩؛ ميزان الحكمة، مادة «قبر»، ح ١٦٢٥١.
- [٣٩٣] (٢). «ارتسخت» من «الارتساخت» المبالغة فى الرسخ ومن «الرسوخ» النفوذ.
- [٣٩٤] (٣). «هوام» جمع «هامه» الحشرات السامة؛ كالحية وتطلق على كل نوع حشرة.
- [٣٩٥] (٤). «استكت» من مادة «سك» على وزن «حك» بمعنى صمت.
- [٣٩٦] (٥). «الذلاقة» الحدة؛ ثم استعملت بمعنى اللسان وسرعة النطق ويقال: خطيب ذلق للمتكلم الفصيح والبليغ.
- [٣٩٧] (٦). «همدت» من «الهمود» على وزن «سجود» تعنى فى الأصل انطفاء النار. ثم استعملت بمعنى السكوت والسكون والتوقف عن العمل.
- [٣٩٨] (٧). «عاث» من مادة «عيث» على وزن «حيف» أفسد كما ورد بمعنى التبذير والمعنى الأوّل هو المراد فى العبارة.
- [٣٩٩] (٨). «جديد بلى» هنالك نوع من صناعة البديع فى العبارة من خلال كلمة جديد والتي تقابل البالى بصيغته مضاف ومضاف إليه ومعناه الفساد الجديد.
- [٤٠٠] (٩). «سَمَج» من «السماجة» القبيح والمنفر و«سمج» على وزن «خشن» تطلق على من ينشد شيئاً بطريقة قبيحة.
- [٤٠١] (١٠). «أشجان» جمع «شجن» على وزن «كفن» الهموم.
- [٤٠٢] (١١). «اقداء» جمع «قذى» على وزن «سجى» ما يسقط قى العيون ويؤذيها من أجسام صغيرة والتي تظهر كل ساعة على جسد الميت.
- [٤٠٣] (١٢). «غمرة» تعنى فى الأصل الماء الجارف الذى يغطى الأشياء ثم اطلق على كل أمر شديد.
- [٤٠٤] (١). «العزيز» تعنى فى الأصل القوى والقادر ويلزمه نفى الذل عن الإنسان؛ ولكن لم يتضح لم فسرها بعض الشراح بالجمال.
- [٤٠٥] (٢). «أنيق» جميل والماء الحسن والطيب الطعم.
- [٤٠٦] (٣). «غذّى» من «الغذاء» بمعنى الطعام و«غذّى ترف» والمراد أنه تغذى بالنعمة على أساس «ترف» التي تعنى النعمة.
- [٤٠٧] (٤). «ربيب» من مادة «رَبَّ» التربية والتدبير، وعليه «ربيب شرف» من تربي فى أحضان العزة والاحترام.

- [٤٠٨] (٥). «تعلّل» من «تعلّل» يتناسى ويتشاغل.
- [٤٠٩] (٦). «سلوة» المعيشة الطيبة.
- [٤١٠] (٧). «ضنّ» البخل الشديد.
- [٤١١] (٨). «غضارة عيش» الحياة المفعمة بالنعمة.
- [٤١٢] (٩). «الشحاحة» البخل وقيل: أعلى درجة البخل. فالبخيل من يبخل عما فى يده، أمّا الشحيح فيبخل بما فى يده وما فى أيدي الناس.
- [٤١٣] (١٠). «غفول» من مادة «غفلت» الذى يغفل أو يوجب الغفلة.
- [٤١٤] (١). «حسكة» من مادة «حسك» على وزن «فدك» نبات ذو أشواك يؤذى الإنسان بشدة وورد بمعنى البغض والكراهة والمعنى الأول هو المراد هنا.
- [٤١٥] (٢). «حتوف» جمع «حتف» الموت.
- [٤١٦] (٣). «كثب» من مادة «كثب» على وزن «كسب» بمعنى الاقتراب.
- [٤١٧] (٤). «بثّ» الحزن الشديد. ووردت بمعنى السعة والتناثر والانتشار والمراد هنا المعنى الأول.
- [٤١٨] (٥). «النجي» الخفى والمستور ومن «نجوى الهمس فى الاذن».
- [٤١٩] (٦). «قارّ» بارد من مادة «قرّ» على وزن «حرّ» البرودة.
- [٤٢٠] (٧). «ثور» من مادة «ثوران» الهيجان.
- [٤٢١] (٨). «ممازج» الأشياء التى تمزج مع بعضها.
- [٤٢٢] (١). «معلّل» المعالج واخذت فى الأصل من «عله» بمعنى المرض.
- [٤٢٣] (٢). «ممرّض» من مادة «مرض» المعالج.
- [٤٢٤] (٣). «تعايا» من مادة «عيا» العجز.
- [٤٢٥] (٤). «شجى» الغم من مادة «شجو» على وزن «هجو» الهم والغم.
- [٤٢٦] (١). «اسى» الغم والحزن ووردت فى بعض النسخ «اسى» (بضم الهمزة) جمع «أسو» بمعنى الأسوة والمعنيان مناسبان فى الخطبة.
- [٤٢٧] (٢). «فتصام» من مادة «صمّ» طرش الاذن و«تصام» تظاهر بالصمم.
- [٤٢٨] (٣). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١١، ص ١٦٧.
- [٤٢٩] (٤). «غمرات» جمع «غمره» مضى معناها فى الفقرة السابقة.
- [٤٣٠] (١). الكافى، ج ٣، ص ٢٦٠، ح ٣٨ (بتلخيص).
- [٤٣١] (١). بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٣٧، ح ٤٠.
- [٤٣٢] (٢). نهج البلاغة، الخطبة ٥.
- [٤٣٣] (٣). بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٧٢، ح ٥٠.
- [٤٣٤] (١). «آصال» جمع «أصل» على وزن «رسل» وجمع أصيل من مادة أصل بمعنى العصر أو آخر النهار لأنه يعتبر أصل الليل.
- [٤٣٥] (٢). سورة النور، الآيتان ٣٦ و ٣٧.
- [٤٣٦] (٣). سند الخطبة:

ذكر الأمدى فى حرف الألف من «غررالحكم» المقطع الأول من هذه الخطبة باختلاف مع ما ورد فى «نهج البلاغة»، ولم يرد مصدر آخر لهذا الجانب من الخطبة، ويدل الاختلاف على أنه أخذها من مصدر آخر غير «نهج البلاغة». (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص

(١٥١).

[٤٣٧] (١). سورة النور، الآيتان ٣٦ و ٣٧.

[٤٣٨] (١). «ذكر» المراد به هنا ذكر الله وهو على ثلاثة أنواع: القلبى، اللسانى والعملى فيتذكر الله حين تتوفر مقدمات المعصية فيتركها. وقيل: الذكر يشمل ذكر الله وكذلك القيامة والنبوة والولاية.

[٤٣٩] (٢). «جلاء» إزالة الصدأ والايضاح والإنارة. ويقال للكحل جلاء كونه ينور العين.

[٤٤٠] (٣). «وقرة» من مادة «قر» تعنى فى الأصل الثقل، ومن هنا يقال لتعظيم الأفراد توقيير، وقد استعمل الوقر فى القرآن الكريم بمعنى ثقل السمع وهذا هو المعنى المراد هنا.

[٤٤١] (٤). «عشوة» ضعف العين.

[٤٤٢] (٥). سورة الأنبياء، الآية ٥٠.

[٤٤٣] (٦). «ما برح» دائماً وأبداً.

[٤٤٤] (٧). «برهه» الزمان الطويل أو مدّة من الزمان.

[٤٤٥] (١). «فلوات» جمع «فلاة» الصحراء القاحلة أو الواسعة.

[٤٤٦] (١). بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٣٢٧.

[٤٤٧] (٢). المصدر السابق، ج ٦٧، ص ٢٠.

[٤٤٨] (١). سورة الأنفال، الآية ٢٩.

[٤٤٩] (٢). سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

[٤٥٠] (٣). سورة القصص، الآية ٧.

[٤٥١] (٤). ورد فى الحديث: لما دخل الكميت شاعر أهل البيت المعروف على الإمام الباقر عليه السلام وأنشد شعره المعروف: «مَنْ لِقَلْبٍ مُّتَيْمٍ مُّسَيِّئِهِمْ» فلما فرغ قال له الإمام: «لا تَرَأُ مُؤَيِّدًا بِرُوحِ الْقُدْسِ مَا دُمْتَ تَقُولُ فِينَا» (وسائل الشيعة، ج ١٠، باب ١٠٥، أبواب المزار، ح ٤). اقتبس الإمام هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذى قاله لحسان بن ثابت لما أنشده «يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ». (بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ١٥٠).

[٤٥٢] (١). الكافى، ج ٢، ص ١٣١، ح ١١؛ الخصال، ص ٢٥، ح ٨٧.

[٤٥٣] (١). «يهتفون» من مادة «هتف» على وزن «هتك» الصراخ بشخص.

[٤٥٤] (١). «عدات» جمع «عدة» بمعنى الوجود وقوله عليه السلام: (وحققت القيامة عليهم عداتها) فى الواقع نوع من المجاز، لأنّ الوجود الإلهيَّة وعود الثواب والعقاب عالم تحقّقه هو عالم القيامة، وعليه فلا ينبغي تصور الحاجة إلى الحذف والتقدير.

[٤٥٥] (١). «مثلتهم» من «التمثيل» على وزن «خليل» بمعنى التجسيد.

[٤٥٦] (١). «مقاوم» جمع «مقام» المكانة المعنوية أو البدنية.

[٤٥٧] (٢). «دواوين» جمع «ديوان» الدفتر وتعنى هنا صحيفة العمل.

[٤٥٨] (٣). «أوزار» جمع «وزر» على وزن «حرز» الحمل الثقيل وتعنى هنا حمل المسؤوليات الثقيل.

[٤٥٩] (٤). «النشيج» الاختناق بالبكاء وترجيع الصوت فى الحنجرة إثر البكاء.

[٤٦٠] (٥). «تجاوبوا» من «التجاوب» أجاز بعضهم بعضاً وتشير هنا إلى جماعة يجلسون فى مكان ويكون معاً.

[٤٦١] (٦). «النحيب» شدّة البكاء.

[٤٦٢] (٧). «يعجّون» من مادة «عج» على وزن «حج» الصياح.

[٤٦٣] (٨). «دُجِي» جمع «دُجِيَّة» على وزن «لِقمَة» الظلمة وتستعمل هذه المفردة أحياناً بمعنى المفرد.

[٤٦٤] (١). سورة فصلت، الآية ٣٠.

[٤٦٥] (٢). سورة الفتح، الآية ٤.

[٤٦٦] (٣). سورة القمر، الآيتان ٥٤ و ٥٥.

[٤٦٧] (٤). «يتنسمون» من «النسيم» فالعبارة «يتنسمون» تعني أنهم ينتظرون النسيم و«التنسم» بمعنى التنفس.

[٤٦٨] (٥). «الأسى» الحزن.

[٤٦٩] (٦). «المنادح» جمع «مندوحة» الأرض الواسعة ثم اطلقت على كل نظام واسع فيه حرية.

[٤٧٠] (١). وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٩٩، ح ٢١٠٨٢.

[٤٧١] (٢). سورة المائدة، الآية ١٠٥.

[٤٧٢] (١). سورة طه، الآية ١٤.

[٤٧٣] (٢). سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

[٤٧٤] (٣). سورة المائدة، الآية ٩١.

[٤٧٥] (٤). سورة يوسف، الآية ١٠٤.

[٤٧٦] (٥). سورة الزخرف، الآية ٣٦.

[٤٧٧] (٦). سورة الأنبياء، الآية ٧.

[٤٧٨] (٧). سورة الرعد، الآية ٢٨.

[٤٧٩] (١). الكافي، ج ٢، ص ٤٩٨، ح ١.

[٤٨٠] (٢). المصدر السابق، ص ٥٠٠، ح ٥.

[٤٨١] (٣). المصدر السابق، ح ٢.

[٤٨٢] (٤). وسائل الشيعة، ج ٦، ص ١٥، كتاب الزكاة، باب تحريم منع الزكاة، ح ٢٠.

[٤٨٣] (٥). الكافي، ج ٢، ص ٤٩٩، ح ٥.

[٤٨٤] (١). سورة الانفطار، الآية ٦.

[٤٨٥] (٢). سند الخطبة:

ذكر في «مصادر نهج البلاغة» مصدرين يستفاد من القرائن أنهم استقوا هذه الخطبة من مصدر غير «نهج البلاغة»: الأول «شرح نهج

البلاغة» لابن أبي الحديد الذي ذكر بعضها باختلاف مع ما ورد في «نهج البلاغة»، والآخر «غررالحكم» الذي أورد جانباً منها باختلاف

مع ما ورد في «نهج البلاغة». (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٥٥).

[٤٨٦] (١). «أدحض» من «الإدحاض» ابطل وغلب ومن مادة «دحض» الغلبة.

[٤٨٧] (٢). «أبرح» من مادة «برح» على وزن «حرف» الشدة كما وردت بمعنى الزوال والمعنى الأول هو المراد في العبارة.

[٤٨٨] (١). تفسير مجمع البيان، ذيل الآية ٦ من سورة الانفطار.

[٤٨٩] (٢). «البلول» التحسن من المرض كما وردت بمعنى الغنى والنشاط.

[٤٩٠] (٣). «الضاحي» الشخص المعرض لضوء الشمس، من مادة «ضحو» على وزن «محو» التعرض لأشعة الشمس ويقال «ضحى» حين

تتسع أشعة الشمس على الأرض.

[٤٩١] (٤). «يمض» من مادة «مض» على وزن «حض» يؤلم.

[٤٩٢] (٥). «الجلد» من مادة «جلد» على وزن «بلد» القوّة أو التحمل.

[٤٩٣] (١). «بيات» إن وردت هذه المفردة مصدرًا عنت البقاء والمبيت ليلاً في مكان وإن كان لها معنى الاسم عنت الليل وهذا هو المعنى المراد في العبارة.

[٤٩٤] (٢). «التورط» من مادة «ورط» على وزن «شرط» الإلقاء في المستنقع و«قد تورّط بمعاصيه» يعنى القيت بنفسى فى غضب الله بسبب المعاصى.

[٤٩٥] (٣). «سنوات» جمع «سطوه» القهر والغلبة والسلطة على الشىء.

[٤٩٦] (٤). «الكرى» النوم والنعاس.

[٤٩٧] (٥). سورة الأعراف، الآيتان ٩٧ و ٩٨.

[٤٩٨] (١). «تمثل» كما اشير إليه فى الخطبة السابقة من «المثول» على وزن «حلول» بمعنى التجسيد.

[٤٩٩] (٢). «يتغمّد» فى الأصل من «الغمد» على وزن «هند» بمعنى غطاء السيف و«تغمّد» الوضع فى الغطاء. ثم استعملت بمعنى الشمول وارىد بها فى العبارة أن فضل الله عمّمكم.

[٥٠٠] (١). «كنف» من مادة «كنف» على وزن «حرف» بمعنى محفوظ.

[٥٠١] (٢). «مطرف عين» من مادة «طرف» على وزن «حرف» إغماض العين وفتحها و«مطرف» مصدر ميمى بالمعنى المذكور.

[٥٠٢] (١). «أيم» فى الأصل «أيمن» حسب بعض أرباب اللغة جمع «يمين» بمعنى القسم سقطت نونه ومعنى العبارة أقسم بالله.

[٥٠٣] (١). «عظات» جمع «عظة» بمعنى الموعظة والنصيحة وهى هنا كناية عن حوادث الدنيا المريرة التى تؤدى إلى اليقظة.

[٥٠٤] (٢). «آذنت» من «الإيدان» بمعنى الإعلان المقرون بالتهديد وأحياناً تعنى إعلان الحرب ثم وردت بمعنى الإعلان المطلق واطلاق الأذان كونه يعلن الدخول فى الصلاة.

[٥٠٥] (١). «خاوية» اسم فاعل من مادة «خوى» بمعنى خالى ويعنى أحياناً المتهدم.

[٥٠٦] (٢). «ربوع» جمع «ربع» على وزن «رفع» البيت والسكن كما وردت بمعنى المنطقة أو الجماعة من الناس والمعنى الأوّل هو المراد هنا.

[٥٠٧] (٣). «شحيح» من مادة «شحّ» على وزن «مخ» البخل مع الحرص الذى يصبح عادةً لذلك يطلق «شحيح» أحياناً على الفرد الحريص على صديقه وهذا هو المعنى المراد فى العبارة.

[٥٠٨] (١). نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ١٣١.

[٥٠٩] (٢). المصدر السابق، الخطبة ٢٢٦.

[٥١٠] (٣). المصدر السابق، الكلمات القصار، الكلمة ١١٩.

[٥١١] (٤). المصدر السابق، الكلمة ٤١٥.

[٥١٢] (٥). المصدر السابق، الكلمة ٧٧.

[٥١٣] (١). سورة الزخرف، الآيات ٣٣-٣٥.

[٥١٤] (٢). سورة فاطر، الآية ٥.

[٥١٥] (٣). نهج البلاغة، الخطبة ٨٢.

[٥١٦] (١). «راجفة» من مادة «رجف» على وزن «وقف» بمعنى الاضطراب والهزة الشديدة ولما كانت الأخبار التى تشيرالفتنة مدعاة لاضطراب المجتمع لذلك يقال لها أراجيف. وتشير هذه المفردة فى القرآن وهذه الخطبة إلى زلزلة الساعة.

[٥١٧] (٢). «جلائل» جمع «جليله» كلّ صفة عظيمة وشديدة.

[٥١٨] (٣). «منسك» بمعنى العبادة وتعنى الدين والمعبد وهذا هو المراد بها فى العبارة.

[٥١٩] (٤). «لم يُجَزَّ» طبق ماورد فى المتن من مادة «جزاء» بمعنى الثواب؛ ولكن وردت فى بعض النسخ «لم يَجْرُ» من مادة «جريان»؛ يعنى لا يجرى أدنى خلاف فى عدالته وفى بعض النسخ الأخرى «لم يَجْرُ» من مادة «جور» إشارة إلى عدم جور الله فى جزاء الأعمال وفى نسخ «لم يَجْرُ» من مادة «جواز»؛ يعنى لا يجوز أدنى خلاف فى مقام عدالة الله.

[٥٢٠] (١). «هَمَس» بمعنى الصوت الخفى.

[٥٢١] (٢). وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٩٣، ح ٥ من باب ٦٦ من أبواب المزار وورد هذا المضمون باختلاف طفيف عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله فى كتاب «روضه الواعظين».

[٥٢٢] (٣). سورة الصافات، الآيات ٢٢ و ٢٣.

[٥٢٣] (٤). سورة الفرقان، الآيات ١٧ - ١٩.

[٥٢٤] (١). «داحضة» من «الدَّحْضُ» على وزن «محض» بمعنى خاطئه ويقال «حجة داحضة» للدليل الضعيف الذى لاأساس له.

[٥٢٥] (٢). «علائق» جمع «علاقة» (بفتح العين) الروابط والتعلق ومعنى العبارة المذكورة أن الروابط مقطوعة يوم القيامة، وكذلك جمع «علاقة» (بكسر العين) الحبل والشماعة وأمثال ذلك فىكون معنى العبارة أن حبال الأعذار مقطوعة يوم القيامة.

[٥٢٦] (٣). سورة المرسلات، الآية ٣٦.

[٥٢٧] (٤). «تحرّ» من «التحرى» البحث عن الأمر الأفضل.

[٥٢٨] (٥). سورة البقرة، الآية ١٩٧.

[٥٢٩] (٦). «شم» من مادة «شِيم» على وزن «دِيم» التطلع إلى الشىء.

[٥٣٠] (١). «مطايا» جمع «مطية» الدابة.

[٥٣١] (٢). «تشمير» من مادة «شمر» على وزن «تمر» تعنى فى الأصل رفع الكم والاستعداد لعمل ثم اطلق على مطلق الاستعداد والسعى.

[٥٣٢] (٣). وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٧٩، ح ٥ من الباب ١٤، أبواب الصدقات.

[٥٣٣] (١). سند الخطبة:

رواها المرحوم الشيخ الصدوق فى كتاب «الأمالى»، كما رواها بعد السيد الرضى، سبط ابن الجوزى فى كتاب «التذكرة» عن ابن عباس عن أمير المؤمنين على عليه السلام، والزمخشرى فى «ربيع الأبرار»، وابن شهر آشوب فى «المناقب»، ويستفاد من كلام الصدوق فى «الأمالى» أن ما أورده المرحوم السيد الرضى فى هذه الخطبة بعض ما ورد فى خطبة طويلة. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٥٩).

[٥٣٤] (١). تمام نهج البلاغة، ص ٦٧٩، الطبعة الثانية.

[٥٣٥] (٢). «حسك»؛ يعنى الشوك. كما يطلق على شوك الصحراء أو داخل بدن السمكة.

[٥٣٦] (٣). «سعدان» نبات رعاة الإبل له شوك تشبه به حلمة الثدي.

[٥٣٧] (٤). «مسهد» من «السهاد» على وزن «رقاد» بمعنى السهر و«مسهد» من لا ينام الليل.

[٥٣٨] (١). «مصفد» من مادة «صفا» على وزن «صيد» المقيد و«صفا» على وزن «عناد» تقال للحبل والقيد.

[٥٣٩] (٢). «حطام» من مادة «حطم» على وزن «حتم» بمعنى الكسر ويقال لمتاع الدنيا «حطام».

[٥٤٠] (٣). «قفول» مصدر بمعنى الرجوع والعودة ومفهوم العبارة كما ورد سابقاً طبق هذا المعنى، ولكن احتمال البعض أن «قفول» جمع «قفل» ومعنى العبارة كيف أظلم شخصاً تتأكل بسرعة أفعال ووشائج بدنه.

[٥٤١] (٤). «الثرى» التراب.



- [٥٤٢] (١). «أملق» من «الإملاق» بمعنى الفقر ومادته الأصلية «مَلَق» على وزن «شَفَق» النعومة ويقال الفرد المتملق كونه يتخذ حالة الذلّة والنعومة واستعملت بحق الفقير لهذه الحالة.
- [٥٤٣] (٢). «استماحنى» من «الاستماحة» الاستعطاء.
- [٥٤٤] (٣). «الْبَر» القمح.
- [٥٤٥] (٤). «صاع» أحد الأوزان وهو أربعة امداد وكل مد أقل من نصف كيلو، سبعمائة وخمسون غراماً تقريباً.
- [٥٤٦] (١). «شُعْث» جمع «أشعث» المجعد الشعر.
- [٥٤٧] (٢). «عُثْر» جمع «أغبر» من علاه الغبار.
- [٥٤٨] (٣). «عظلم» نبت يصبغ به ما يراد إسوداده.
- [٥٤٩] (٤). «أصغيت» من «الإصغاء» السمع.
- [٥٥٠] (١). «دنف» السقم الشديد.
- [٥٥١] (٢). «ميسم» اسم آلة من مادة «وسم» الحرارة الشديدة؛ ولكن يبدو أنّها وردت هنا بصيغة المصدر بمعنى الحرارة.
- [٥٥٢] (٣). «ثواكل» جمع «ثاكلة» الام في عزاء ابنها وتستعمل أحياناً المرأة المعزاة.
- [٥٥٣] (٤). «إنسانها» هنا بمعنى: صاحبها.
- [٥٥٤] (٥). «سجرها» من «السجور» تعنى فى الاصل اشعال نار التنور ثم اطلقت على كل اشعال.
- [٥٥٥] (٦). «تثن» من مادة «انن» الأنين والتألم.
- [٥٥٦] (٧). «لظى» شعله النار الخالصة والتي تكون شديدة الحرارة.
- [٥٥٧] (١). شرح نهج البلاغة للمرحوم مغنية، ج ٣، ص ٣١٦.
- [٥٥٨] (٢). سورة غافر، الآية ٧١.
- [٥٥٩] (٣). شرح نهج البلاغة ابن ابى الحديد، ج ١١، ص ٢٥٣.
- [٥٦٠] (٤). بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١١٣ و ١١٤ (روى المرحوم العلامة المجلسى هذا الحديث عن ابن شهر آشوب).
- [٥٦١] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١١، ص ٢٥٠؛ شرح نهج البلاغة للمرحوم التستري، ج ٦، ص ٥٢٣.
- [٥٦٢] (١). «طارق» من «الطروق» و«طرق» بمعنى الدق ويقال الطارق لمن يذهب ليلاً إلى آخر حيث الباب مغلق عادة ولا بد أن يدقّه ليدخل.
- [٥٦٣] (٢). «سنتت» من «الشنتان» على وزن «غثيان» البغض والكرهية و«سنتت» كرهت.
- [٥٦٤] (١). أشار الشيخ محمد عبده إلى هذا المعنى فى شرحه لنهج البلاغة (ج ٢، ص ٢١٨) وقال: كانت الملفوفة نوعاً من الحلواء أهداها إليه الأشعث بن قيس.
- [٥٦٥] (١). «هبول» صفة مشبهة، المرأة لا يبقى لها ولد فهى كثيرة البكاء.
- [٥٦٦] (١). الأقاليم السبعة، «أقاليم» جمع «إقليم» جزء من العالم أو البلد وقد قسم قدماء الجغرافيين العالم إلى سبعة أقاليم ولم تكن حدود تلك الأقاليم محددة لعدم وجود الخرائط الجغرافية الدقيقة عن العالم. على كلّ حال الأقاليم هى: الإقليم الأول، الهند. الثانى، بعض البلدان العربية والحبشة، الثالث، مصر والشام، الرابع، ايران. الخامس، الروم. السادس، الترك، السابع، الصين. (قاموس دهخدا، مادة إقليم). لعل هنالك تقسيماً آخر للجغرافيين وعلى كلّ حال مراد الإمام عليه السلام لو أعطيت كلّ مناطق الكرة الأرضية.
- [٥٦٧] (٢). «جلب» الغطاء الذى يحيط بحبة القمح أو الشعير كما يطلق «جلب» على ما يغطى به الجرح بعد أن يبرأ.
- [٥٦٨] (٣). «تقضمها» من مادة «قضم» على وزن «هضم» بمعنى العض والمضغ.

- [٥٦٩] (١). «سبات» من مادة «سبت» على وزن «وقت» التعطيل لأجل الاستراحة؛ ويطلق «سبات» على التوقف عن العمل وهذا هو المراد بها في العبارة وتسمية السبت لدى العرب كون هذه التسمية في الأصل جاءت من اليهود لأنهم يعطلون أعمالهم في يوم السبت.
- [٥٧٠] (١). شرح نهج البلاغة للمرحوم الخوئي، ج ١٤، ص ٢٩٧، الطبعة القديمة.
- [٥٧١] (٢). كتاب بلاغات النساء، ص ١٠٦ طبق نقل شرح نهج البلاغة للمرحوم التستري، ج ٦، ص ٥٤١.
- [٥٧٢] (١). سند الخطبة (الدعاء):

روى هذا الدعاء باضافات الراوندى في كتاب «الدعوات» وجاء بعد قوله: «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، «اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَامِي وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَزْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نَعِيمِكَ» وتشير هذه الإضافة إلى أن الراوندى اقتبس الدعاء من مصدر آخر غير «نهج البلاغة». كما ذكره باختلاف صاحب كتاب «الطراز» (السيد اليماني) وهذا يدل على أنه أخذه من مصدر آخر. وضمنه الإمام السجاد عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق باختلاف طفيف يدل على أنه كان معروفاً عند أهل البيت (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٦٠).

[٥٧٣] (١). «صن» من «الصيانة».

[٥٧٤] (٢). «وجه» تعنى هنا الكرامة وإن كان معناها الأصلي هو الوجه.

[٥٧٥] (٣). «اليسار» من «اليسر» السهولة والغنى وهو المعنى المراد في العبارة.

[٥٧٦] (٤). «جاه» القدر والمقام والشرف.

[٥٧٧] (٥). «اقتار» من «القتور» على وزن «فتور» المشقة في الإنفاق.

- [٥٧٨] (١). وردت هذه العبارة في الروايات وتطلق بصيغته مثل معروف بتعبيرات مختلفة، مثل «صاحِبُ الْحَاجَةِ لَا يَزُومُ إِلَّا قَضَاءَهَا» أو «صاحِبُ الْحَاجَةِ أَرَعَنَ لَا يُرِيدُ إِلَّا قَضَاءَهَا» أو «صاحِبُ الْحَاجَةِ أَعْمَى وَلَوْ كَانَ بَصِيرًا». (كشف الخفاء، العجلوني، ج ٢، ص ١٨).
- [٥٧٩] (١). الكافي، ج ٢، ص ٢٦٣، ح ١٢ من باب فضل فقراء المسلمين.

[٥٨٠] (٢). سورة فاطر، الآية ١٥.

[٥٨١] (٣). الخصال، ج ٢، ص ٤٢٠، ح ١٤.

[٥٨٢] (١). بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٣٦.

[٥٨٣] (٢). سورة المنافقون، الآية ٨.

[٥٨٤] (٣). بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٤٧، ح ٥٨، من باب فضل الفقر والفقراء.

[٥٨٥] (١). وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٧، ح ٧.

[٥٨٦] (٢). بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٠.

[٥٨٧] (٣). المصدر السابق.

[٥٨٨] (٤). المصدر السابق، ج ٨٧، ص ١٢.

[٥٨٩] (١). سند الخطبة:

روى هذه الخطبة المتقى الهندي من فقهاء العامية في كتاب «كنز العمال» (ج ١٦، ص ٢٠٠، ح ٤٤٢٢٤) وقال: روى الدينوري وابن عساكر عن عبد الله بن صالح العجلي عن أبيه أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطبنا يوماً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال: «عِبَادَ اللَّهِ لَا تَغْرُبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَخْضُوفَةٌ وَبِالْعَدْرِ مَعْرُوفَةٌ...» ورواها بإضافات سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» وقال: تعرف هذه الخطبة (لفصاحتها وبلاغتها) ب«الخطبة البالغة». ثم قال: إن أبانعيم نقل بعضها في كتاب الحلية. وأضاف عليها الخطيب الخوارزمي في كتاب «المناقب». قال صاحب «مصادر نهج البلاغة» بعد الإشارة إلى هذه المطالب: ولا نرى حاجة لذكر رواة الخطبة من علماء الإمامية بعد هذه الرواية الواسعة من كتب العامية. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٦٧).

[٥٩٠] (١) «غدر» له عدّة معانٍ متقاربة المكر والخداع وعدم الوفاء.

[٥٩١] (٢) «نزال» جمع «نازل» الضيف أو من يدخل مكاناً.

[٥٩٢] (١) «تارات» جمع «تارة» على وزن «غارة» بمعنى الزمان وتأتي عادةً بمعنى مرّة.

[٥٩٣] (٢) «متصرّف» من «التصرف» التغير.

[٥٩٤] (٣) «مستهدفة» من مادة «هدف» التي يصب نحوها السهم.

[٥٩٥] (٤) «حمام» من مادة «حم» على وزن «غم» التقدير ومن هنا يراد به الموت الذي قدره الله ويعنى الطير بالكسر.

[٥٩٦] (١) «هامدة» من «الهمود» تعنى فى الأصل انطفاء النار وانخفاض الحرارة ثم اطلقت على انطفاء الصوت وهذا هو المعنى المراد فى العبارة.

[٥٩٧] (٢) «عافية» من مادة «عفو» زوال آثار الشىء كأن تهب الريح وتزيل ذرات الرمل وتمحوها عن النظر ومنه العفو الذى يعنى إزالة آثار الذنب.

[٥٩٨] (٣) سورة الفجر، الآيات ٦-١٣.

[٥٩٩] (٤) شرح نهج البلاغة للعلامة الخوئي، ج ١٤، ص ٢٣٠.

[٦٠٠] (٥) سورة الحجر، الآية ٨٢.

[٦٠١] (١) «مشيدة» من مادة «شيد» على وزن «صيد» جعل الشىء مرتفعاً و«شيد» على وزن «بيد» الجص وماشابه ذلك الذى يطلى به البناء للزينة وعليه «اصول مشيدة» (بتشديد الياء) البناء المرتفع والمحكم و«مشيد» (على وزن شديد) أيضاً البناء المحكم وورد فى القرآن المجيد، فى سورة الحج، الآية ٤٥: «وَبَثْرٌ مُّعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ».

[٦٠٢] (٢) «نمارق» جمع «نمرقة» على وزن «سنبلة» الوسادة الصغيرة التى يستند عليها.

[٦٠٣] (٣) «مسندة» من «السنود» على وزن «قعود» الاستناد و«مسندة» فى العبارة الشىء الذى يتكى عليه.

[٦٠٤] (٤) «لاطئة» ملتصقة بالأرض من «اللطوء» على وزن «فروع» لصيقة بالأرض.

[٦٠٥] (٥) «ملحده» من مادة «لحد» على وزن «مهد» دفن الميت وهو جعل الشق وسط القبر أو جانبه.

[٦٠٦] (٦) «فناء» الفضاء المفتوح امام البيت وهكذا كانت بيوت الكبار.

[٦٠٧] (١) «كلكل» بمعنى الصدر.

[٦٠٨] (٢) «جنادل» جمع «جندلة» على وزن «مزرعة» الصخور.

[٦٠٩] (٣) «ثرى» التراب.

[٦١٠] (٤) البيت للإمام الحسين عليه السلام، لما وضع أخاه الحسن عليه السلام فى لحده، انظر: مناقب آل أبى طالب عليه السلام، ج ٣، ص ٢٠٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٦٠، ح ٢٩.

[٦١١] (١) سورة غافر، الآية ٤٦.

[٦١٢] (٢) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

[٦١٣] (٣) الكافي، ج ٣، ص ٢٤٣، باب فى أرواح المؤمنين، ح ١.

[٦١٤] (١) «مضجع» الفراش والمنام وتعنى هنا القبر ومن مادة «ضجع» على وزن «ضرب» النوم على الجانب.

[٦١٥] (٢) «تناهت» من «التناهى» الوصول إلى الغاية.

[٦١٦] (٣) «بعثرت» من «البعثرة» على وزن «مرتبة» تعنى فى الأصل القلب رأساً على عقب والاستخراج ولما كانت القبور تقلب يوم القيامة عند إحياء الأموات ويظهر ما بداخلها فقد استعمل فى القيامة.

[٦١٧] (٤). «تلو» من مادة «بلاء» الامتحان وكون الامتحان سبب العلم فاستعملت بهذا المعنى.

[٦١٨] (١). سند الخطبة (الدعاء):

الكتاب الوحيد الذى ورد فيه هذا الدعاء ويشير إلى اقتباسها من مصدر آخر غير «نهج البلاغة» باضافات يتضح منها أنه استقاها من مصدر آخر جمعها فى (الصحيفة العلوية الاولى) للعالم الفاضل السماهجي، كما وردت فى مصباح الشيخ الطوسى أن الإمام السجاد عليه السلام كان يدعو به بعد الركعة الثالثة عشرة والرابعة عشرة يوم الجمعة (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧٠) السماهجي هو الشيخ عبدالله بن صالح بن على أحمد البحرانى من سماهج قرية فى إحدى جزائر نواحي البحرين من علماء القرن الثانى عشر الهجرى، كان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وله مؤلفات منها الصحيفة العلوية الاولى، توفى سنة ١١٣٥ (مصادر نهج البلاغة، ج ١، ص ٨١).

[٦١٩] (١). «آنس» صيغة افعال التفضيل من مادة «انس» تعنى هنا أشد الانس وحقيقة الانس، الهدوء عند الشىء وقال البعض يقال الإنسان: لأنسه بالروح الاجتماعية.

[٦٢٠] (٢). «ملهوفة» المشتاق أو المضطر ومن مادة «لهف» على وزن «كهف» والمعنى الأول أنسب.

[٦٢١] (١). سورة ق، الآية ١٦.

[٦٢٢] (١). «فَهَيْتُ» من «الفهامة» على وزن «كرامة» العجز والنسيان.

[٦٢٣] (١). بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٥٣، ح ١٧.

[٦٢٤] (٢). المصدر السابق، ج ٧، ص ١١.

[٦٢٥] (١). جمعت وطبعت هذه المجموعة من قبل بعض المحققين فى مؤسسة أبحاث الروضة الرضوية فى خمسة أجزاء.

[٦٢٦] (١). سند الخطبة:

لم ينقل جانب من هذه الخطبة قبل السيد الرضى عن على عليه السلام سوى الطبرى ضمن قصة عن المغيرة بن شعبه. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧١).

[٦٢٧] (٢). تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٢٨٥، حوادث السنة ٣٣ من الهجرة.

[٦٢٨] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٢، ص ٣.

[٦٢٩] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ٩٨.

[٦٣٠] (١). «قَوْم» من «القيام» الصواب.

[٦٣١] (٢). «أود» العوج من «الأود» على وزن «قول» الإنحناء والإعوجاج.

[٦٣٢] (٣). «عمد» المرض وفى الأصل من مادة الجرح الذى يحصل فى ظهر الدابة من الركوب.

[٦٣٣] (٤). «خلف» تقال هذه العبارة حين يموت الإنسان قبل الحادثة من مادة «خَلَف».

[٦٣٤] (١). «متشعبة» مختلفة ولها شعب.

[٦٣٥] (١). سند الخطبة:

قال المرحوم العلامة التستري فى شرحه لنهج البلاغة إن الأصل فى هذه الخطبة ما ذكره المرحوم الكلينى فى رسائله ثم نقل هذه الخطبة مع إضافات وقال: ذكرها باختلاف طيف ابن قتيبة فى «الإمامة والسياسة» وابراهيم الثقفى فى «الغارات» وابن رستم الطبرى فى كتابه «المسترشد» (شرح نهج البلاغة للتستري، ج ٩، ص ٥١٧).

[٦٣٦] (١). «تداككتم» من مادة «دك» تعنى فى الأصل الأرض المنبسطة وحيث لا بد أن تدق بإحكام فهى تعنى الدق وإذا وردت فى باب الأفعال عنت الإزدحام الشديد الذى يسبب التدافع.

[٦٣٧] (٢). «هيم» جمع «هائم» الشخص أو الحيوان الشديد العطش وتطلق على العاشق الذى لا سبيل له للهروب.

- [٦٣٨] (١). سورة الفجر، الآيتان ١١ و ١٢.
- [٦٣٩] (٢). شرح نهج البلاغة للمرحوم مغنية، ج ٣، ص ٣٣٢.
- [٦٤٠] (٣). «هدج» من مادة «هدج» على وزن «نهج» مشى الضعيف والمضطرب وتستعمل عادة في الكهول العجزة.
- [٦٤١] (٤). «تحامل» من مادة «تحامل» (مصدر باب تفاعل) القيام بعمل بالمشقة والتكلف.
- [٦٤٢] (٥). «حسرت» من مادة «حسر» على وزن «حصر» تعنى هنا كشف النقاب عن الوجه؛ إلا أن المعنى الأصلي التحفى وأحياناً التعب.
- [٦٤٣] (٦). «كعاب» و«كعاب» الناهدة وتشير إلى الفتيات.
- [٦٤٤] (١). سند الخطبة:
- ذكر بعضها مع بعض التغييرات عدد من العلماء بعد السيد الرضى بما يفيد أنها أخذت من مصدر آخر غير «نهج البلاغة»:
١. ابن الأثير في عدّه موارد من كتاب «النهاية» ومنها في مادة «خلس» و«عبل» و«حدم» و«دجى».
٢. أورد الآمدى جوانب كثيرة من هذه الخطبة في كتاب «غررالحكم» مع اختلافات. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧٥-١٧٦).
- [٦٤٥] (١). «سداد» من مادة «سد» على وزن «حد» العمل الصحيح والكلام الصائب.
- [٦٤٦] (٢). سورة البقرة، الآية ١٩٧.
- [٦٤٧] (٣). «ملكة» تعنى هنا المعاصى التى تؤثر على الإنسان.
- [٦٤٨] (١). «رغائب» جمع «رغيبه» الطلب المهم من مادة رغبة.
- [٦٤٩] (٢). سورة الحجرات، الآية ١٣.
- [٦٥٠] (٣). سورة مريم، الآية ٦٣.
- [٦٥١] (١). «هادئة» من مادة «هدوء» السكوت.
- [٦٥٢] (٢). من عجائب الدهر أن المحقق الفاضل صاحب «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» المعروف بشرح الخوئى، المرحوم الحاج الميرزا حبيب الله هاشمى الخوئى، مرض وتوفى لما بلغ هذه الخطبة، والعبارة «والعمل يرفع» ويدل هذا التزامن على قبول عمله عند الله ورفع له فواصل المحقق الجليل الشعرانى الشرح من الجزء الرابع إلى الرابع عشر ثم واصل تلميذه حسن زادة الأملى شرح الجزء الخامس عشر حتى التاسع عشر وشرح الجزءين الآخرين العشرين والحادى والعشرين بقلم المرحوم الحاج محمد باقر الكمرئى حتى انتهى الشرح.
- [٦٥٣] (١). «ناكس» من مادة «نكس» على وزن «حس» قلب الشىء.
- [٦٥٤] (٢). «خالس» الخاطف من مادة «خلس» على وزن «فلس» خطف الشىء بالحيلة والاختلاس بهذا المعنى.
- [٦٥٥] (٣). «طيات» جمع «طية» الجانب والجهة والهدف. من مادة «طى» على وزن «حى» الجمع والترتيب وتستعمل أحياناً بمعنى العبور وطى الطريق.
- [٦٥٦] (٤). «قرن» الكفو فى الشجاعة.
- [٦٥٧] (٥). «واتر» الجانى من مادة «وتر» على وزن «سفر» رامى السهم.
- [٦٥٨] (١). «تكنف» من مادة «تكنف» الإحاطة بالشىء.
- [٦٥٩] (٢). «غوائل» جمع «غائلة» الشر والداهية.
- [٦٦٠] (٣). «معابل» جمع «معل» على وزن «مدخل» النصل الحاد.
- [٦٦١] (٤). «عدوة» العدوان.

[٦٦٢] (٥). «نبوة» الخطأ في الضربة بالسيف والسهم ونحوه.

[٦٦٣] (٦). سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

[٦٦٤] (٧). «دواجي» جمع «داجية» الظلمة من مادة «دجو» على وزن «غلو».

[٦٦٥] (٨). «ظلل» جمع «ظلة» على وزن «قله» السحابة.

[٦٦٦] (٩). «الإحتدام» الاشتداد من مادة «حدم» على وزن «حتم».

[٦٦٧] (١٠). «حنادس» جمع «حنس» على وزن «قبرص» الظلمة الشديدة.

[٦٦٨] (١). «غمرات» جمع «غمرة» على وزن «ضربة» الشدائد و«غمرات الموت» شدائد وصعاب الموت والاحتضار التي تصيب

الإنسان فالغمرة تقال للماء الكثير الذي يأخذ الشيء.

[٦٦٩] (٢). «ارهاق» من مادة «رهب» على وزن «شفق» تغطية الشيء بالقهر والغلبة ويطلق على الأعمال الشاقة، جدير ذكره وردت في

بعض النسخ بدل «ارهاق»، «ازهاق» من مادة «زهوق» الاضمحلال والهلكة و«ازهاق الروح» فصل الروح عن البدن.

[٦٧٠] (٣). «الدجو» الظلمة كما ورد أعلاه.

[٦٧١] (٤). «اطباق» جمع «طبق» وضع شيء على آخر كأن للظلمة طبقات تتراكم على بعضها.

[٦٧٢] (٥). «الجشوبة» الخشونة؛ سواء في الطعام أو الكلام وما شابه ذلك.

[٦٧٣] (٦). «النجي» المناجي والذي يهمس في الاذن من مادة «نجوى».

[٦٧٤] (٧). «الندى» الجماعة الذين يجتمعون للمشورة أو الأحاديث المتعارفة.

[٦٧٥] (٨). «عفى» أزال الأثر من مادة «عفى» له عدّة معانٍ بحكم باب التفعيل منها المحو.

[٦٧٦] (٩). شرح نهج البلاغة للمرحوم التستري، ج ١١، ص ٢٧٥.

[٦٧٧] (١). سورة البقرة، الآية ١٥٦.

[٦٧٨] (٢). الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ص ١٧٥.

[٦٧٩] (٣). تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٥.

[٦٨٠] (١). «التأهب» الاستعداد للشيء من «الاهبة» وله أحياناً معنى المصدر والاسم الجامد.

[٦٨١] (٢). شرح نهج البلاغة للعلامة الخوئي، ج ١٤، ص ٤١٩.

[٦٨٢] (١). البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٤٨.

[٦٨٣] (١). «احتلبوا» من «حلب» على وزن «طرب» و«حلب» على وزن «حرب» بمعنى استخراج الحليب.

[٦٨٤] (٢). «درّة» اللبن أو الحليب الكثير.

[٦٨٥] (٣). «غزة» الغفلة والسهولة.

[٦٨٦] (٤). «أخلقوا» من مادة «اخلاق» القدم من مادة «خلق» على وزن «ورق» التآكل.

[٦٨٧] (٥). «جدة» جديد ولهذه المفردة معنى الاسم.

[٦٨٨] (٦). «أجدات» جمع «جدث» على وزن «هوس» القبر.

[٦٨٩] (٧). «لا يحفلون» لا يبالون من مادة «حفل» على وزن «حرب» الاهتمام.

[٦٩٠] (١). الكافي، ج ٣، ص ٢٢٨ باب زيارة القبور، ح ٤.

[٦٩١] (٢). «نزوع» من مادة «نزع» على وزن «نذر» الفصل.

[٦٩٢] (٣). «لايركد» من مادة «ركود» السكون وانعدام الحركة.

[٦٩٣] (١). سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

[٦٩٤] (١). «بادروا» من «المبادرة» الاسراع في العمل أحياناً وأخرى السبق (تتعدى الأولى بدون «الى» وتتعدى الثانية ب«إلى»).

[٦٩٥] (٢). «ظهراني» يعنى وسط شخصين أو أشخاص والأصل «ظَهْرَيْن» تشبيهة «ظَهْر» وكان للإنسان داعم من أمامه وخلفه إن كان وسط جماعة ثم أضيف له الألف والنون للتأكيد ونون التشبيه حذفت عند الاضافة لتصبح «بين ظهراني» وعليه «بين ظهراني» أن يكون الإنسان بين أفراد يحمونه. (راجع مادة ظهر في لسان العرب).

[٦٩٦] (٣). نهج البلاغة، الخطبة ٨١.

[٦٩٧] (١). «ذى قار» منطقة قرب البصرة وقعت فيها الحرب بين العرب والفرس قبل الإسلام.

[٦٩٨] (٢). محمد بن عمر الواقدي من مفسرى ومؤرخى القرن الهجرى الثانى والمتوفى سنة ٢٠٧ هجرية.

[٦٩٩] (٣). سند الخطبة:

رغم أن المرحوم السيد الرضى نقل هذه الخطبة من كتاب «الجمال» للواقدي إلا أن صاحب «مصادر نهج البلاغة» ذكر أنه رواها ابن عبد ربه المالكي في «العقد الفريد» والمرحوم المفيد في «الإرشاد». ورواها ابن أبي الحديد بصورة مفصلة في شرحه لنهج البلاغة (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧٦).

[٧٠٠] (١). «الشمل» الجمع وله أحياناً معنى اسم المصدر ويعنى الاجتماع.

[٧٠١] (٢). «الواغرة» الحارة والساخنة من مادة «وغر» على وزن «فقر» شدة الحرارة وهى تستعمل بمعنى البغض والعداء الشديد.

[٧٠٢] (١). «الضغائن» جمع «ضغينة» العداوة الشديدة وتعنى فى الأصل التغطية المقرونة بالانحراف.

[٧٠٣] (٢). «القادحة» المشتعلة من مادة «قدح» على وزن «مدح» إشعال النار.

[٧٠٤] (٣). سورة الأنفال، الآيتان ٦٢ و ٦٣.

[٧٠٥] (١). عبدالله بن زمعة بن الأسود من أعدى أعداء النبى الأكرم صلى الله عليه وآله. عبدالله ابن اخت ام سلمة وصهرها وقد قتل الإمام عليه السلام أباه وعمه وأخاه فى بدر (راجع دائرة المعارف الشيعية للمرحوم الأعلمى: ج ١٢ ص ٣٠٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ١٠؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى، ج ٥، ص ١٩٢).

[٧٠٦] (٢). سند الخطبة:

المصدر الوحيد الذى عثر عليه صاحب كتاب المصادر فى هذه الخطبة غير نهج البلاغة، غررالحكم للآمدى فى حرف الألف باختلاف يفيد أنه أخذها من مصدر آخر. (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧٨).

[٧٠٧] (١). «جناة» الثمار التى تقطف من الشجرة وهى مفرد من مادة «جنا» على وزن «جفا».

[٧٠٨] (٢). انظر: جواهرالكلام، ج ١٦، ص ١٠٦؛ المعبر المحقق الحلى، ج ٢، ص ٦٣١، كتاب الخمس.

[٧٠٩] (١). سند الخطبة:

لما بلغ ابن أبى الحديد هذه الخطبة فى شرحه لنهج البلاغة قال: اعلم أن هذا الكلام بينه أمير المؤمنين عليه السلام فى حادثه اقتضت ذلك حيث أمر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومى أن يخطب بالناس، فصعد المنبر لكن (لجلالة الإمام وعظم الجماعة) لم يستطع الكلام ونزل. فصعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر وأورد هذه الخطبة الطويلة التى ذكر السيد الرضى هنا بعضها (ويتضح من هذا الكلام أنه أخذها من مصدر آخر). ورواها باختلاف المرحوم الكليني فى «روضه الكافى» والآمدى فى «غررالحكم» كما رواها الزمخشري فى الجزء الأول من كتابه «ربيع الابرار» (مصادر نهج البلاغة: ج ٣، ص ١٧٩).

[٧١٠] (١). «بضعة» (بفتح الباء) و«بضعة» (بكسر الباء) القطعة من كل شىء ويقال أحياناً حين يكون الشخص شديد القرب من آخر: «هو بضعة منى».

- [٧١١] (٢). سورة الرحمن، الآيات ١-٤.
- [٧١٢] (١). «تنشبت» من «النشوب» التثبت في الشيء.
- [٧١٣] (٢). «عروق» جمع «عرق» على وزن «صدق» أصل الشيء وأساسه.
- [٧١٤] (٣). «تهدلت» من مادة «هدل» على وزن «جدل» المعلقة بضعف وتطلق على الغصون النازلة والمعلقة.
- [٧١٥] (١). انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٣ و ١٤.
- [٧١٦] (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٤.
- [٧١٧] (٢). السابق طبق نقل المرحوم العلامة المطهرى فى رحاب نهج البلاغة، ص ٢٨.
- [٧١٨] (٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ١٥٣.
- [٧١٩] (١). «كليل» من مادة «كلّ» على وزن «حلّ» التعب والعجز والضعف والكليل التعبان والعاجز والضعيف.
- [٧٢٠] (١). «مصطلحون» اتفاق الأفراد على شيء، من مادة «صلح».
- [٧٢١] (٢). «إدهان» تعنى فى الأصل التدهين. ثم استعملت فى الخداع والمساومة على أمر مرفوض.
- [٧٢٢] (٣). «عارم» سبىء الخلق من «العرامة» الخشونة وسوء الخلق والسيول الجارفة والموانع التى تقام لصدّها فى الوديان.
- [٧٢٣] (٤). «شائب» الكهل والعجوز من مادة «شيب» على وزن «غيب» الكهولة.
- [٧٢٤] (٥). «مماذق» المرأى من مادة «مذق» على وزن «حذف» مزج اللبن بالماء.
- [٧٢٥] (١). «لا يعول» من مادة «عول» على وزن «قول» كفالة الشخص، ومنه العيال.
- [٧٢٦] (١). سند الخطبة:
- رواه الزمخشري فى الجزء الأول من كتاب «ربيع الأبرار». (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٨١).
- [٧٢٧] (١). «مبادئ» جمع مبدأ بديهة كلّ شيء والمراد هنا العناصر التى تكون طبيعتهم.
- [٧٢٨] (٢). «فلقة» القطعة من الشيء من مادة «فلق» على وزن «حلق» الشق وبما أنّ الشق يقسم القطع وردت فلقة بمعنى القطعة.
- [٧٢٩] (٣). «سبخ» الأرض المالحة.
- [٧٣٠] (١). «عذب» الحلو.
- [٧٣١] (٢). «حزن» إن استعملت فى الأرض عنت المتموجة و«حزن» تعنى الغم من هذه المادة.
- [٧٣٢] (٣). «سهل» إن استعملت عنت المستوية المنبسطة ومنه أيضاً السهل أى البسيط.
- [٧٣٣] (١). «رواء» من مادة «رى» على وزن «حى» تعنى فى الأصل الإرتواء ومن هنا يطلق رواء على الفرد الحسن المنظر كأنه كالنبات الذى ارتوى من الماء وحسن منظره.
- [٧٣٤] (١). «قعر» تعنى هنا الباطن ويطلق القعر على آخر نقطة فى الشيء.
- [٧٣٥] (٢). «السبر» الاختبار والامتحان ويقال لمن يصعب الوقوف على أسرارّه بسهولة «بعيد السبر».
- [٧٣٦] (٣). «التائه» الحيران من مادة «تیه» على وزن «سعى» و«تیه» على وزن «جيم» الحيرة والضلال.
- [٧٣٧] (١). وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٣٧، ح ٤.
- [٧٣٨] (١). بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٣٦، ح ٢٢.
- [٧٣٩] (١). سند الخطبة:
- رواه عدد ممن عاش قبل السيد الرضى ومنهم: (أ) محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥) أى قبل ولادة السيد الرضى ب. ١١٤ سنة فى «الأمالى».



- (ب) أبو اسحاق إبراهيم الزجاج (المتوفى سنة ٣١١ أى ٤٨ سنة قبل الرضى فى كتابه «الأمالى» عن بريد المبرد.
- (ج) رواها الشيخ المفيد فى كتابه «الأمالى» بسنده عن ابن عباس. قال صاحب «مصادر نهج البلاغة»: لا شك أن هذا كلام على عليه السلام وإن نسبت لغيره فى زهر الأدب فذلك من الوهم (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٨٢-١٨٣).
- [٧٤٠] (١). وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٦٥٣، ح ١.
- [٧٤١] (١). «مسلياً» من مادة «سلو» على وزن «غلو» الهدوء بعد الشدة.
- [٧٤٢] (٢). نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٢.
- [٧٤٣] (١). الكافي، ج ٣، ص ٢٢٠، ح ٢.
- [٧٤٤] (٢). «انفدنا» من «انفاد» انتهاء الشيء و«انفاد» مصدر باب افعال الانتهاء.
- [٧٤٥] (٣). «البال» الخاطر والقلب والحال.
- [٧٤٦] (١). من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٧٧، ح ٥٢٧.
- [٧٤٧] (٢). المصدر السابق، ص ١٨٣، ح ٥٥٣.
- [٧٤٨] (٣). مستدرک وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٤٣١، ح ٤٠.
- [٧٤٩] (١). تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٢-٣.
- [٧٥٠] (٢). بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٥٢٥.
- [٧٥١] (١). سند الخطبة:
- رواه ابن الأثير فى «النهاية» فى مادة «وطأ» مصادر نهج البلاغة» ج ٣، ص ٢٣٤.
- [٧٥٢] (١). كتاب تمام نهج البلاغة، ص ٢٤٦، خطبه ١٩ (وردت هذه العبارة فى تتمه الخطبة، ص ٢٤٩).
- [٧٥٣] (١). انظر للمزيد من الاطلاع: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد فى شرح ذيل الخطبة، وتفسير الإمام الحسن العسكرى عليه السلام وكتاب «فروغ أبدية» لآية الله جعفر السبحانى.
- [٧٥٤] (١). سند الخطبة:
- كل ما ورد فى كتاب «مصادر نهج البلاغة» بالإضافة إلى «نهج البلاغة» فى سند الخطبة أن الأمدى روى العبارة الاولى من الخطبة فى «غررالحكم» باختلاف ويفيد أنه كان لديه مصدر آخر ولو كان مصدره الوحيد «نهج البلاغة» لما كان ذلك الاختلاف (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٨٥).
- [٧٥٥] (٢). شرح الخطبة الغراء طبق نقل السيد الرضى ذيل الخطبة ٨٣.
- [٧٥٦] (١). «المنشورة» الواسعة والمفتوحة من مادة «نشر» البسط.
- [٧٥٧] (١). الكافي، ج ٢، ص ٤٤٠، ح ١.
- [٧٥٨] (٢). سورة الزمر، الآية ٥٣.
- [٧٥٩] (٣). سورة الزمر، الآية ٥٤.
- [٧٦٠] (٤). «يخمد» من «الخمود» على وزن «جحود» تعنى فى الأصل إنطفاء النار. ثم اطلقت على انتهاء كل شىء ومنهائياً الحياة.
- [٧٦١] (٥). «مهل» جمع «مهلة» وتستعمل هذه الكلمة عادة فى أمور الخير.
- [٧٦٢] (١). غررالحكم، الرقم ٢٤٦٢.
- [٧٦٣] (١). «منظور» الممهّل من مادة «نظر» التى لها معنيان: الأوّل الالتفات إلى الشىء والثانى الامهال.
- [٧٦٤] (١). غرر الحكم، ح ٨٩٨٤.

[٧٦٥] (٢). المصدر السابق، ح ٤٨٢٠.

[٧٦٦] (١). سند الخطبة:

قال صاحب كتاب «مصادر نهج البلاغة»: «ذكرنا مصادر هذه الخطبة في ذيل الخطبة ٢٦ والخطبة فصل من كتاب كتبه الإمام وأمر بقراءته في مختلف المناطق» وإذا عدنا إلى مصادر الخطبة (الخطبة ٢٦) نجد أنه قال هناك: هذه الخطبة جزء من خطب طويلة اقتطف السيد الرضى بعضها وذكرها جماعة من قبل السيد بما يختلف مع ما ذكره ومنهم «إبراهيم بن هلال الثقفى» فى كتاب «الغارات»، «ابن قتيبة» فى كتاب «الإمامة والسياسة»، «الطبرى» فى كتاب «المسترشد» و«الكلىنى» فى كتاب الرسائل وقال هناك: «الخطبة ٢٣٦ هى عندنا جزء من الخطبة ٢٣٨ والدافع من الرسالة أنه سئل عن سبقة من الخلفاء. فكتب لهم هذه الرسالة وأوصاهم برص صفوفهم» (الغارات، ج ١، ص ٣١٢؛ الإمامة والسياسة، ص ١٣٥ و ١٧٦؛ المسترشد، ص ٤٢٦) (مصادر نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٩٠).

[٧٦٧] (١). «جفاء» جمع «جافٍ» غليظ وفظّ جاهل.

[٧٦٨] (٢). «طغام» جمع «طغامة» الأوغاد والأوباش والأشرار وترد أحياناً بمعنى المفرد.

[٧٦٩] (٣). «أقزام» جمع «قزم» على وزن «خشن» الأفراد الأراذل.

[٧٧٠] (٤). «أوب» الناحية.

[٧٧١] (٥). «تلقطوا» من مادة «تلقط» جمع الشيء من هنا وهناك.

[٧٧٢] (٦). «شوب» خلط الشيء بآخر. ولها معنى اسمى؛ أى الأشياء المخلوطة والمراد فى العبارة معناها الاسمى.

[٧٧٣] (٧). «يدرّب» من «التدريب» التمرين والتعويد لتعلم الشيء.

[٧٧٤] (٨). «تبوّأ» من «التبؤأ» السكن فى مكان بقصد البقاء والدوام من مادة «بؤأ» بمعنى تساوى أجزاء المكان.

[٧٧٥] (١). مروج الذهب، ج ٢، ص ٧٢ مطابق لما نقله المرحوم العلامة الأمينى فى الغدير، ج ١٠، ص ١٩٥.

[٧٧٦] (١). الغدير، ج ١٠، ص ١٩٦.

[٧٧٧] (١). «أوتار» جمع «وتر» على وزن «سفر» السهم الذى يجمع طرفاه كالقوس فإذا سحب تقوس أكثر فإن اطلق قذف إلى الأمام وقطع الأوتار هنا كناية عن عدم الاطلاق.

[٧٧٨] (٢). «شيموا» من مادة «غيم» على وزن «عيب» سل السيف ووضع فى الغمد.

[٧٧٩] (٣). ذكر هذه الرواية أولاً ابن أبى الحديد فى الجزء ١٣، ص ٢١٥ فى شرح الخطبة، ثم ذكرها المرحوم ابن ميثم والعلامة التستري فى شرحهما لهذه الخطبة.

[٧٨٠] (٤). «قواصى» جمع «قاصية» الطرف والناحية و«قواصى الإسلام» إشارة الى أطراف العراق والحجاز ومناطق أخرى تابعة لحكومة أمير المؤمنين على عليه السلام.

[٧٨١] (٥). «صفاء» مفرد وتعنى فى الأصل الحجر الصلد وتستعمل كناية عن القوة وفسرت بأرض الحياة التى ينظمها الإنسان.

[٧٨٢] (١). شرح نهج البلاغة للمرحوم مغنية، ج ٣، ص ٣٦٢.

[٧٨٣] (٢). المصدر السابق.

[٧٨٤] (٣). ورد المزيد بشأن الحكمين فى ذيل الخطب ١٢٥، ١٢٧، ١٧٧.

[٧٨٥] (١). سند الخطبة:

جاء فى مصادر نهج البلاغة أنّ هذا الكلام جزء من الخطبة ١٤٥ (حسب ترقيمنا ١٤٧) التى تبدأ بالعبارة (بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله) حتى يقول: (فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل) وأوردها السيد الرضى منفصلة. ورواها الكلىنى فى «الكافى» باختلاف طفيف فى بعض الكلمات كما ذكرت فى آخرها بعض العبارات فى «محاضرات الادباء» للراغب الاصفهانى.

مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٧٦ و ١٧٧).

[٧٨٦] (١). ورد هذا الحديث في مصادر الفريقين فقد رواه الذهبي في ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٨٢؛ ابن حجر في لسان الميزان، ج ١، ص ١٣٦.

[٧٨٧] (١). مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٤٩.

[٧٨٨] (٢). بحار الأنوار، ج ١، ص ١٥٤.

[٧٨٩] (٣). روى المرحوم العلامة الأميني هذين الحديثين بعبارات متفاوتة لكنها قريبة المعنى من مختلف مصادر العامة مثل: مناقب الخوارزمي؛ فرائد السمطين للحمويني؛ وربع الأبرار للزمخشري؛ والإمامة والسياسة لابن قتيبة. (الغديري، ج ٣، ص ١٧٨ وما بعدها). [٧٩٠] (١). الكافي، ج ١، ص ٦١، ح ٩.

[٧٩١] (٢). «ولائج» جمع «وليجة» من «الولوج» الدخول وتطلق على حامل أسرار الشخص أو جامعها ولكن ليس من أهله. ويقال وليجة لكل من يرد قوماً من الخارج ويحمل أسرارهم وهي قريبة المعنى من مفردة البطانة. [٧٩٢] (٣). «نصاب» الأصل وموضع الرجوع والمكان المناسب لكل شيء وأساسه وبدايته. ثم اطلق على المقدار في باب الزكاة وأمثال ذلك.

[٧٩٣] (٤). «انزاح» من مادة «زوح» على وزن «زوج» تعنى فى الأصل الرحيل من المكان. ثم اطلق على كل شيء يزال عن مكانه.

[٧٩٤] (٥). انظر: تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٤٤٠ و ٤٤١.

[٧٩٥] (١). لم ترد هذه المفردة بهذه الصيغة فى المصادر اللغوية وصحيحها «وعاء» ظرف الشيء ويبدو أن النسخة الأصلية كانت وعاء التى تلائم السماع فى العبارة اللاحقة.

[٧٩٦] (٢). «رعاة» جمع «راع» المرعى.

[٧٩٧] (١). «هتف» المناداة والصراخ والمراد هنا أن الأمة كانت تنادى بخلافة على عليه السلام وقيل: «هتف» تعنى الصوت الذى يسمع ولا يعرف قائله.

[٧٩٨] (٢). سند الخطبة:

ذكر ابن عبد ربه بعض هذا الكلام فى «العقد الفريد» وكتب أن علياً عليه السلام خرج من المدينة وذهب إلى ينبع (ينبع موضع قرب المدينة قرب البحر الأحمر الذى كان آنذاك بعضه لعلى وأوقفه) لكن عثمان كتب كتاباً آخر بعد مدة قصيرة وطلب منه الرجوع إلى المدينة (ويدافع عنه) ثم قال صاحب كتاب نهج البلاغة: ذكر ذلك أيضاً المبرد فى «الكامل» وابن قتيبة فى «الإمامة والسياسة». مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٨٩).

[٧٩٩] (١). «ناضح» الجمل الذى يحمل الماء من مادة «نضح» على وزن «نظم» رش الماء.

[٨٠٠] (٢). «غرب» بمعنى الدلو العظيمة.

[٨٠١] (١). شرح نهج البلاغة للمرحوم التستري، ج ٩، ص ٢٥٤ (بتلخيص طفيف).

[٨٠٢] (١). سند الخطبة:

ذكر الآمدى فى «غرر الحكم» بعض عبارات الخطبة بكلمات قصيرة (مصادر نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٩٠).

[٨٠٣] (١). تمام نهج البلاغة، ص ٤٦٥.

[٨٠٤] (٢). «مستأدى» الطالب من مادة أداء طلب أداء الشيء.

[٨٠٥] (٣). «ممهله» معطى المهلة.

[٨٠٦] (٤). «مضمار» الميدان الذى تضم فيه الخيل للسباق كما وردت بمعنى اسم الزمان.

- [٨٠٧] (٥). «سبق» المال الذي يقرر للفائزين بالسباق.
- [٨٠٨] (٦). سورة البقرة، الآية ١٥٢.
- [٨٠٩] (١). نهج البلاغة، الخطبة ٢٨.
- [٨١٠] (٢). «عقد» جمع «عقدة» ما تربط به الأشياء.
- [٨١١] (٣). «مآزر» جمع «مئزر» على وزن منبر الثياب الداخلية.
- [٨١٢] (٤). «اطوا» من مادة «طى» معروف.
- [٨١٣] (٥). «خواصر» جمع «خاصرة» الضلع.
- [٨١٤] (١). «وليمة» الطعام الذي يعدّ في العرس. ثم اطلقت على كل طعام يعدّ في الدعوة للضيافة وهي هنا كناية عن الترف.
- [٨١٥] (٢). «ظلم» جمع «ظلمة» العتمة.
- [٨١٦] (٣). «تذاكير» جمع «تذكار» على وزن «منقار» التذكير.
- [٨١٧] (٤). بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٣٣١، ح ٧.
- [٨١٨] (٥). مجموعة ورام، ج ٢، ص ١١٩.
- [٨١٩] (١). غرر الحكم، ح ٧٤٠٢.
- [٨٢٠] (٢). بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٧، ح ٤٠.
- [٨٢١] (٣). نهج البلاغة، الرسالة ٤٥.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعبه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحرّي الحاسوبي - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرّي الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم

الإسلامية، إنالة المنافع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبّهات المنتشرة في الجامعة، و...  
 - منها العدالة الاجتماعية: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -  
 في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهةٍ أخرى.  
 - من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة  
 (ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول  
 (ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...  
 (د) إبداع الموقع الانترنتي " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقعٍ أُخرى  
 (ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية  
 (و) الإطلاق و الدّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)  
 (ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS  
 (ح) التعاون الفخرى مع عشراتِ مراكزٍ طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد  
 جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسه  
 (ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه  
 المكتب الرئيسي: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و مُفترق " وفائي / بنايه " القائمية "  
 تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريه الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجريه القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّه، تبرعيّه، غير حكوميّه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا تُوفى الحجم  
 المتزايد و المتسعّ للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى  
 بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم  
 - في حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

